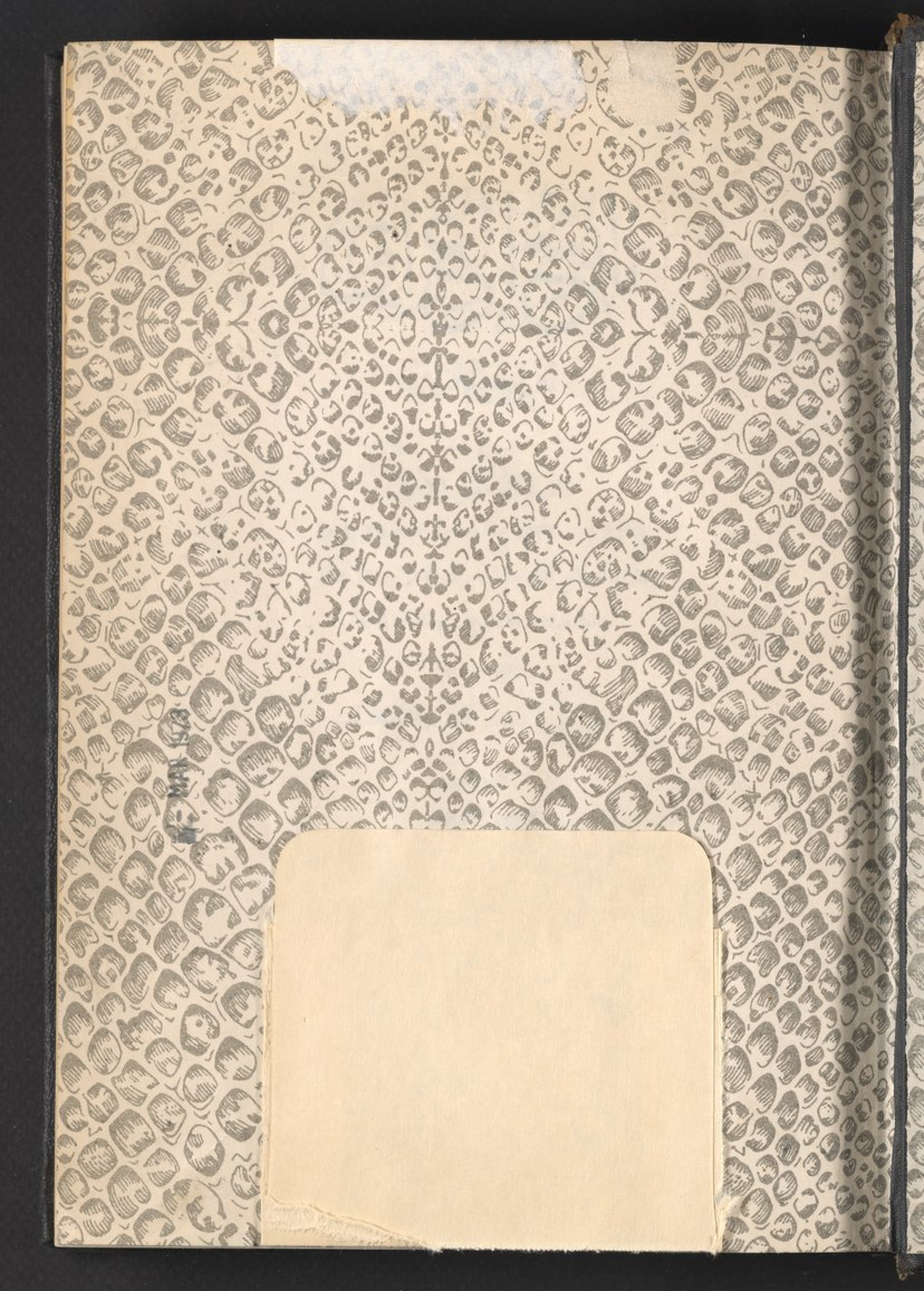
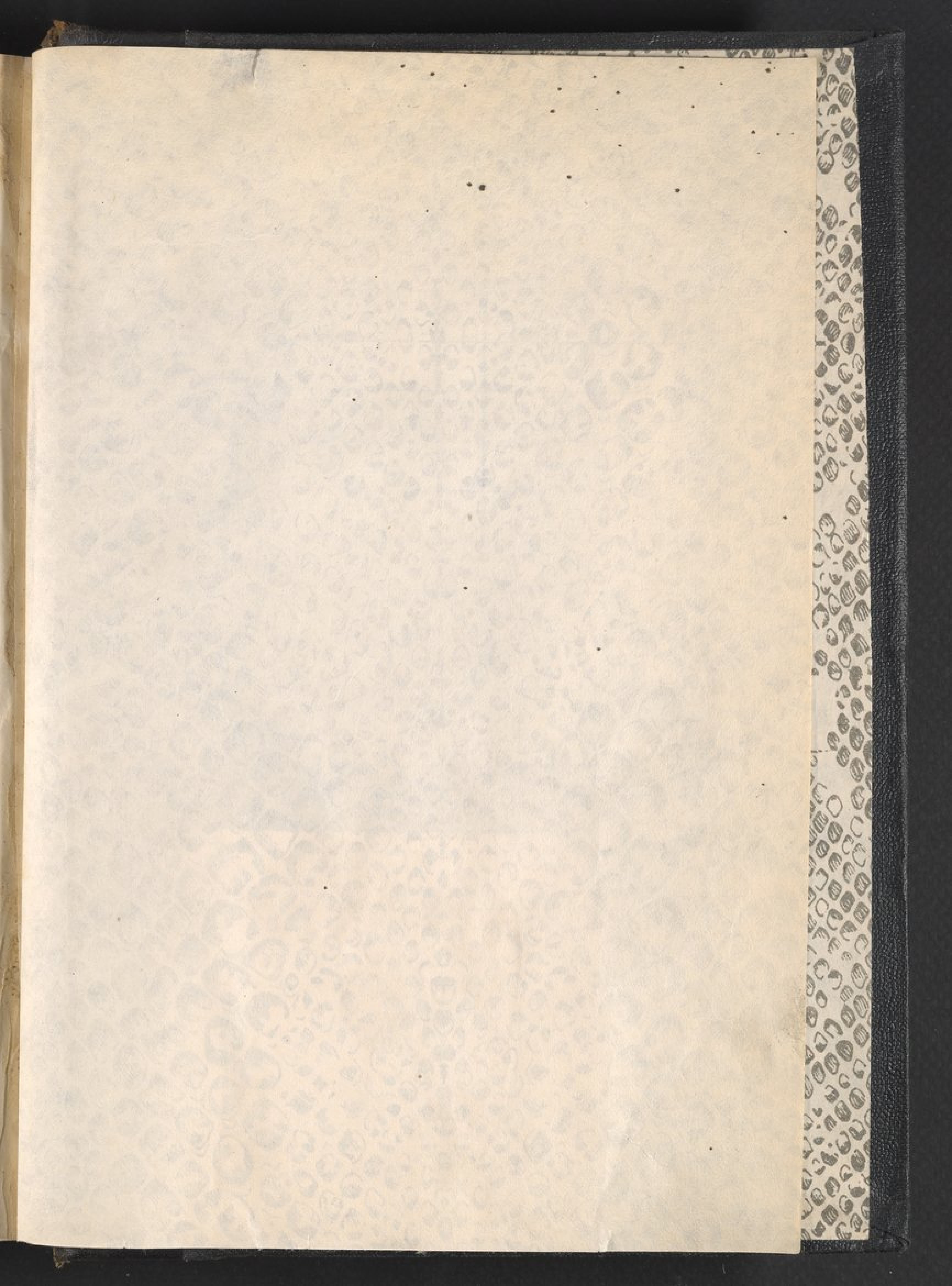
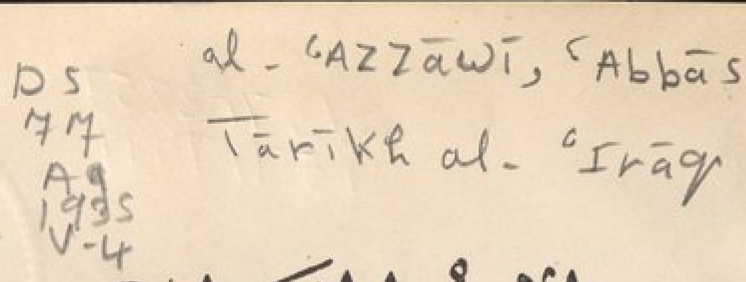

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01162 6433







تاريخ العراق

بين احتلالين

— ٤ —

العهد العثمانى الأول

(٩٤١ هـ – ١٥٣٤ م : ١٠٤٨ هـ – ١٦٣٨ م)

يتناول الوقائع التاريخية ، والصلات بين الأقطار ،
والتشكيلات الادارية ، والثقافة العامة

ويليه

ملحق فى المستدركات والتعليقات

للمحامى
عباس العزاوى

طبع
شركة التجارة والطباعة المحدودة
شارع الملك فيصل الاول – الكرخ – بغداد
١٣٦٩ هـ – ١٩٤٩ م

عواطف أديب فاضل

أبا (فاضل) أضحى بك الفضل يزدهى ... وغر السجايا فى خلالك تنمع
نفذت من الأيام فى مستسرها ... فأرجعت منها غابرا ليس يرجع
قفوت بها الماضى بماض من النهى ... اذا استل يفرى المعضلات ويقطع
سلكت دياجيه برأى كأنما ... هو النجم فى جوف الدجنة يسطع
قطعت من الأعوام فى خلواتها ... مجاهل أخفاها الزمان المضيع
جمعت شتاتا من حوادث أهلها ... فكان لنا منها الى العلم مهيع
نشرت لرواد الحقائق ما طوت ... من العصر الخالى خطوب تروع
وجئت بـ (تاريخ العراق) كأنه ... معاد لماضيه البعيد ومرجع
تضمن ما (بين احتلاليه) صفحة ... تسيل لها من لوعة الحزن أدمع
تداول فيها الناس شتى حوادث ... لها ذكريات تستقيم وتضلع
تنقلت الدولات بين عروشها ... وربك يعطى من يشاء وينزع
وقفت لها يا عالم العصر وقفة ... بها العدل يعلو والرجاحة ترفع

خضر الطائى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فان العراق كان أصابته الضربة القاسية من المغول سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م فلم يصح منها حتى أعقبته أخرى وأخرى ولا يزال الى هذا العهد . تداولته الايدى القاهرة وتناوبته الاحداث المزعجة ، فلم يتمكن من استعادة مجده واستقلاله ، بل تواترت عليه الاحن وتوالت النكبات ، فعبثت به ولم تدع له مجالا للتفكير بشؤونه ، بل لم يتنفس الصعداء الا فى ٢٤ جمادى الاولى سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م ابان الفتح العثمانى . دام هذا لامد محدود ، ثم اختلت ادارته بما حدث من حروب بين العراق وايران ، فرأى ضروب الضيم وأنواع الحيف من الادارات العاتية . فى خلالها خنع مرة ، وأبدى الشموس أخرى . لكنه كان مهيض الجناح ، متأثرا بأوضاع دولتـــه فى غالب أحواله وان كانت له خصوصيته الى أن حدث احتلال بغداد فى ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ هـ ـ ١١ آذار سنة ١٩١٧ م . وفى هذا التاريخ انتهى الحكم العثمانى ، فقطعت العلاقة بيننا وبينه كما أنه بعـــد مـدة وجيزة زال من البين ، وخلفته (الجمهورية التركية) .

والدولة العثمانية واحدة فى أصلها متنوعة فى مظاهر ادارتهـــا نظرا لطول عمرها . ولا يمكن بوجه أن تسرد وقائعها من أولها الى آخرها ولكن حالتها القطعية يصح أن توزع الى فصول بما حدث من وقائع جليلة وتقسم على أشهر الحوادث وما حصل من أهم الوقائع وتعتبر هذه وقفات مهمة .

وموضوع بحثنا مقصور على ما كان بين فتح بغداد على يد السلطان سليمان القانوني وبين استعادتها للمرة الثانية أيام السلطان مراد الرابع في ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ هـ - ١٦٣٨ م . وهو الحكم المباشر الاول .

المراجع والمآخذ

حدثت في هذا العهد وقائع عظيمة في العراق ، وتعاقبت ادارات مختلفة متأثرة بالدولة أو بشخصية الوزراء . وفي خلال ذلك ضاعت حوادث عديدة ، وكثرت فترات متسببة عن انحلال في الدولة ، واضطراب في الحكم ، وتدمير للوثائق ، فنحن في أشد الحاجة الى معرفة ما ضاع ، والحصول على ما فات والتماسه من مظانه ... والنهم العلمي لا يهدأ عن الاستزادة ، ولا يمنع من نشر الميسور على أن نكون في تثبيت لما يعثر عليه . ولعل في المعروف ما يبصر بالحالة .

ولا شك أن الوثائق كثيرة والمؤلفات عديدة الا أنها لا تعين الا علاقة حروب أو صلة بالحكومة أو بالاهلين فلا تبين أحوال القطر مفصلا بل نراه مبتور الحوادث ، تتخلله فواصل فلا نجد الوقائع متسلسلة للولاة وان كانت متعلقة بالحكومة . والكتب التاريخية المعول عليها لا تذكر الولاة على التوالي بل ان مراجعة النصوص المتعددة تكشف النقاب عن ولاة غير من ذكروا في (گلشن خلفاء) أو في (تاريخ الغرابي) مع أنهما من المؤلفات المحلية . وبينهم من تكررت ولايته فلم يتعرض لها ، أو من ولي العراق ولم نشاهد له ذكرا للفاصلة التي تخللت الحكم العثماني بالمتغلبة وبالمجاورين مع قرب العهد ممن كتبوا . شاهدنا في الوثائق بعض الخلل ولا سبب الا اختلاف الادارة ، وتعاقب الحكومات وتلف المصادر من جراء ما حدث من ثورات او استيلاء ...

ومن الضروري أن نرجع الى مؤلفات عديدة لرفع الجهالة وأن نكشف الستار عن الثقافة نوعا ونزيل الخفاء بقدر الامكان عن وقائع هذا القطر الذي له مكانته عندنا ، وعند الاقطار العربية والاسلامية جمعاء .

وهذه التواريخ متفرقة المادة ، تهتم بالحكومة وعلاقاتهـــا ، ولم تذكر الشعب وأوضاعه ، ولا تسلسل الوقائع واطرادها ، بل نراها مقصورة على حياة الولاة أحيانا دون سواهم ، وأخلت فى الكثير منها . وهذا النقص مشهود الا أننا من مجموعها حصل لنا ما نعده وافرا فتمكنا من تدوينه مترقبين غيره .

نهجنا نهجا علميا فى تسجيل ما عرف وراعينا حالات مسهلة أو موضحة بقدر الامكان .

اتخذنا الوقائع السياسية الكبرى وســيلة لجمع الحوادث وربطها مع ملاحظة العلاقات مما نعتقد أن لها أثرا بالغا فى المعرفة .

وموضوعنا محدد بما بين السلطان سليمان القــانونى من أول ادارة العثمانيين فى العراق والسلطان مراد الرابع . وقد مر بنـــا من المراجع فى الاجزاء السابقة ما تمتد حوادثها الى هذا العهد ، وهذه لا نعيد القول فيهـــا من جراء استمرارها فى هذا الجزء أيضا .

وهذه أشـــهر مراجعنا الجديدة :

١ ـ المراجع المحليـــة :

وهذه تهمنا فى الدرجة الاولى لما تحويه من ايضاح وضبط للوقائع أو علاقة بالحوادث . وهى على قلتها جليلة الفائدة عظيمة الأثر لا يصح اهمالهـا بوجه بل الاستزادة لما يتجدد منها ضرورية . ولما كانت هذه المراجع موضوع بحثنا فى خلال سطور الكتاب قد أوضحتها واســتوعبت ذكرها فى (كتاب التعريف بالمؤرخين) فلا أرى ضرورة للتفصيل هنا . وانما أذكر من المراجع المحلية :

(١) تاريخ آل افراسياب .

(٢) زاد المســافر .

(٣) ديوان فضولى .

(٤) ديوان روحى .

(٥) گلشن شعرا .

(٦) تاريخ الغرابى .

(٧) گلشن خلفا .

وكل هذه أوسعنا القول فيها عند ورود بحثها فى حينه ، فلا نرى العجلة لا سيما وقد وجدنا بعضها يتأخر الكلام عليه الى الاجزاء التالية من هذا التاريخ .

٢ - المراجع الاخرى :

وهذه من التواريخ الاجنبية وهى كثيرة جدا . ومنها للمجاورين أو للاقطار العربية الاخرى . وهذه أشهرها :

(١) تاريخ مطراقى :

يتضمن (فتح السلطان سليمان) بغداد ولعله المعروف بـ (تحفهٔ غزاة)، يذكر منازل سفر هذا السلطان الى العراقين ذهابا وايابا . وفيه ألواح مهمة ، وصفحات فى تصاوير البلدان العراقية ومراقدها المباركة مما لم يبق له اليوم ذكر ، أو رسم الا قليلا والكتاب رأيته فى (خزانة الجامعة) باستانبول بين نفائس كتب السلطان عبدالحميد الثانى كتب سنة ٩٤٤ هـ أى بعد فتح بغداد بثلاث سنوات ، قدم للسلطان سليمان القانونى والكتاب ينبىء عن معرفة المؤلف بالرسم والتصوير ، وبالتاريخ كما انه جامع للفنون الجميلة ومعلوم أن المؤلف مؤسس لنوع من أنواع الخطوط يقال له (چپ) فيوصف بأنه (چپ نويس) وهذا الخط قريب من الديوانى ... وعصر هذا السلطان نظرا لعظم حكومته وصولتها يجب أن لا يخلو من أمثال هذا المؤرخ واطلاعاته القويمة واتقانه للرسم . وتصاوير الكتاب تعين صناعة ذلك العصر وكأننا نراها كتبت حديثا لصحة ألوانها وثبوتها ودوامها الى هذه المدة ... ولعلها خيالية أكثر منها حقيقية . فالكتاب من نفائس الآثار . ومن الضرورى أن نحتفظ بأمثال هذه الخواطر فى العراق كذكرى للماضى سواء من ناحية تصوير البلدان العراقية ، أو المراقد المباركة . بأن تنقل التصاوير عينا ، ونحصل على نفس التاريخ بالاستعانة برسامين ماهرين ... واستنساخه بوضعه الحالى .

كتب عليه انه (بيان منازل سـفر العراقين) و(كتاب تواريخ آل عثمان) لايام السلطان سليمان • كتبه باللغة التركية نصوح السلاحى المطراقى من رجال السلطان سليمان •••

والمؤلف معدود من المؤرخين العثمانيين • كتب تاريخا فى مجلد واحد عن أيام السلطان سليمان القانونى • من حين جلوسه الى سنة ٩٥٤ هـ ثم شرع فى تدوين ما بعد هذا التاريخ الا انه لم يوفق لاكماله ••• وسمى بالمطراقى لاتقانه لعبة المطراق ومهارته فيها • وهى نوع لعب بالسلاح يقال له مطراق[١] • ويقال ان كتاب الديوان آنئذ كان يقال لصنف منهم (مطراقى) •••

ومن مؤلفاته (فتحنامهٔ قره بغداى) ، ونقل تاريخ الطبرى الى التركية باسم السلطان سليمان سنة ٩٢٦ هـ وسماه (مجمع التواريخ) وهذه غير الترجمة المطبوعة ومخالفة لها تماما ••• ويعد أيضا من مشـاهير الرياضيين ••• وله مؤلفات فى الرياضيات واشعار سلسة وغزل رقيق وأسـاليب خاصة لا يكاد يضارع فيها • ومن مؤلفاته (تقويم نصوحى) فى علم النجوم[٢] •

(٢) **تاريخ السلطان سليمان :**

تأليف فردى • وهو مما اعتمـــده هامر فى تاريخ الدولة العثمانيـة ، ويقال له (سليماننامه) •

(٣) **سـليماننامه :**

تاريخ تركى لعهد السلطان سليمان القانونى • وفيه ذكر وقائعه من حين سلطنته الى يوم وفاته ، وبيان علماء عصره ووزرائه •••

طبع ببولاق مصر سنة ١٢٤٨ هـ باذن والى مصر محمدعلى باشا الكبير • والكتاب من تأليفات عبدالعزيز آل قره چلبى المتوفى سنة ١٠٦٨ • وهذا التاريخ عولنا عليه فى كثير من الحوادث •

---

(١) لعل هذه اللعبة هى المعروفة عندنا (بالطابق) •

(٢) تذكرهٔ سهى ص ١٠٠ وعثمانلى مؤلفلرى ج٣ ص١٥١ و٣٠٠ •

قال صاحب عثمانلى مؤلفلرى : وهناك سـليمانتامات أخرى احداها لشمسى البرسى من القضاة وأخرى لفردى من الشعراء[١] ...

وللمؤلف (روضة الابرار المبين لحقائق الاخبار) . طبع فى بولاق أيضا سنة ١٢٤٨ هـ . والفصل الرابع منه فى دولة آل عثمان .

وله أيضا (روضة الابرار فى فتح بغداد أيام السلطان مراد الرابع) وسماها صاحب (عثمانلى مؤلفلرى) بـ (ظفر نامه) .

وهذه من المراجع المهمة .

(٤) مرآة الممالك :

رحلة تركية لسيدى على رئيس المتوفى سنة ٩٧٠ هـ ـ ١٥٦٣ م . سار من بغداد الى البصرة بأمل الذهاب الى مصر بأمر من السلطان سليمان القانونى ليتولى قيادة الاسطول هناك فلقى فى طريقه البورتغـال فحاربهم ، ولم يطق المقاومة بل دمرت غالب سفنه ، فاضطر أن يميل الى الهند ومن هناك ساح برا حتى عاد الى بغداد حاكيا ما رآه فى طريقه . وسياحته مهمة جدا تنبىء عن عصر غمضت وقائعه ... وفيها حوادث كثيرة عن العراق وبيان عن المشاهد وعن الطريق التى مر بهـا . وصف بعض أحواله وعلاقة العثمانيين به وما جرى عليه فى سفره من عناء ...

طبعت هذه الرحلة فى مطبعة اقدام عام ١٣١٣ هـ فسدت ثلمة فى تاريخ العراق .. كان أتم رحلته فى (غلطة) فى أوائل شعبان سنة ٩٦٤ هـ ـ ١٥٥٧م وأبرزها فى أواسط صفر سنة ٩٦٥ هـ . أشار الى ذلك فى آخرها .

والمؤلف قائد بحرى مشهور ، عارف بأمور البحرية معرفة تامة وكاتب أديب شاعر ماهر ويلقب بـ (الكاتبى الرومى[٢]) ... وله مؤلف جمع فيـه

---

(١) عثمانلى مؤلفلرى ج٣ ص١٢٠ .

(٢) الكاتبى القزوينى كان فى عهـد المغول وهو معروف .. والوصف بالرومى للتفريق بينهما . وعرف آخرون بـ (الكاتبى) ويفرق بينهم بما يدفع اللبس .

رسائل ابن ماجد الربان العربى المعروف وغيرها . سـماه (المحيط) يتعلق بالبحرية وأحوال بحر الهند المسمى (بحر عمان) كتبه فى أحمد آباد باللغة التركية ونقله الى اللغة الالمانية ال (بارون هامر) ونشر فى ويانة (فينة) عاصمة النمسة كما نقلت رحلته الى الانكليزية نقلها (ا. فامبيرى) عن التركية وطبعت فى لندن سنة ١٨٩٩ م[١] . وكذا نقلت الى الفرنسية .

وله مؤلفات منهـا (مرآة كائنـات) فى الاسطرلاب ، والربع المجيب ، والمقنطرات ، ومعدل ذات الكرسى .

(٥) فذلكة أقوال الاخيار فى علم التاريخ والاخبار :

مجلد فى التاريخ عربى العبارة لكاتب چلبى ، مصطفى بن عبدالله صاحب كشف الظنون ، منه نسخة رأيتها فى المكتبة العامة باستانبول فى كافة دول الاسلام وفيها معلومات وافرة عن حكومة قراقوينلو والعثمـانيين والصفويين وغيرهم ... أولها : الحمد لله الذى أرشد الاولياء الى احاطـة أخبار الزمان الخ بخط يده . لخص بها تواريخ عديدة وتكلم على كل حكومة برأسها وبدأ فى فصل عن التاريخ وآخر عن الكتب المؤلفـة فيـه ثم فى بدء الخلقة ، وفى الانبياء ، وفى سيرة الرسول (ص) وغزواته وفى الخلفاء ومن وليهم على توالى القرون ... يذكر النصوص التى جعلها أساس بحثه بالفارسية أو غيرها عينا فى هامش الكتاب . رأيته باستانبول . وهذه النسخة هى التى وصفها صاحب عثمانلى مؤلفلرى . قال : « هذا الكتاب طولانى ، فى قطع متوسـط ، عربى العبارة ، وتاريخ عام يحتوى على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة وفى آخره بعض فوائد تاريخية وفى تتمته ألقـاب الملوك والدول مرتبـة على حروف الهجاء ... » اهـ[٢] .

---

(١) ترجمته فى كتاب اسفار بحريه‌ٔ عثمانيه ، وفى عثمانلى مؤلفلرى ج ٣ ص ٢٧٠ وهنا ذكر مؤلفاته .

(٢) عثمانلى مؤلفلرى ج٣ ص ١٢٩ .

ومن مؤلفاته المهمة (جهاننما) فى الجغرافيـة . طبع ابراهيم متفرقة . وتاريخ الفذلكة التركى[١] اعتمدناها . وله (ميزان الحق) ... توفى سـنة ١٠٦٧ هـ . وفى الطبعة الجديدة من كشف الظنون تفصيل حياته .

(٦) روضة الحسين فى أخبار الخافقين (تاريخ نعيما) :

تاريخ تركى ، فى الدولة العثمانية تأليف «نعيما أفندى » . وله قيمـة أدبية ، وأسلوب خاص عند الترك ، ولد مؤلفه سنة ١٠٦٥ هـ فى مدينة حلب وأصل اسمه مصطفى . ورد اسـتانبول بعد أن حصل العلوم ونال مناصب عـديدة .

وكان عموجه زاده حسين باشـا ميالا الى التاريخ فجىء اليـه بكتاب كان فى حالة مسودة كتبه أحمد أفندى من أبناء أحـد العلمـاء محمد أفندى (شارح المنار) يتناول الحوادث من عهد السلطان أحمد الاول الى أيام محمد باشا الكوپريلى ، وان أحمد افندى الموما اليه لم تتح له الفرصة أن يبيض المسودة فتوفى فكلف عموجه زادة المترجم نعيما أن يتم هذا الكتاب ، ويدون الوقائع الرسمية فيكون (وقعه نويس) أى (محرر الوقائع) .

ومن ثم اتخذ نعيما ذلك الاثر أصلا ، وراجع تواريخ ووثائق وحقق ما سمع ، ودون ما شاهد فأضاف ما علم ... ولم يتحاش من نقد سلفه ، فأبرز كتابه . وسماه (روضة الحسين فى أخبار الخافقين) الا أنه عرف (بتاريخ نعيما) .

وهـذا التاريخ كتب فى عهد انحطاط العثمانيين ، صور عصره فأبدع تصويره ، فلم يتجاوز الحقيقة ... وتبتدىء حوادثه من الالف وتنتهى بسنة ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٥ م . وهذا التاريخ قدمه الى الصدر الاعظم عموجه زاده . وبعد وفاة هذا الصدر أتم حوادثه الى سنة ١٠٧٠ هـ - ١٦٦٠ م ، أيام داماد حسن باشا الصدر الاعظم .

---

(١) تبتدىء حوادثه بسنة ١٠٠٠ هـ ، وتنتهى بسنة ١٠٦٥ هـ ، طبع فى مطبعة جريدة الحوادث باسـتانبول سنة ١٢٨٧ هـ . وعندى نسخته المطبوعة .

وفى مقدمته بين ما يجب على المؤرخ مراعاته ... وبذا عين نهجه التاريخى وخطته التى سار عليها موضحا أن يكون المؤرخ صادق اللهجة ، لا يلتفت الى الاقاويل الزائغة ، وأن يكون ملما بالوقائع عن علم ، ولا يلتفت الى ما يشيع على ألسنة الناس من الاراجيف ، وأن يعتمد الثقات ، ويدون الصحيح لا أن يستهويه الرأى العام بأباطيله ، وأن لا يتعصب ، وأن يترك تزويق الالفاظ وتنميقها بحيث يرتبك الامر بأن يستخدم البساطة أو قل الفصاحة فى البيان ، وأن يهمل طريقة العتبى ووصاف ... فيراعى النصائح المفيدة[١] التى لا تبلى جدتها الايام ... طبع فى مطبعة ابراهيم متفرقة وطبعات أخرى .

(٧) منشآت السلاطين :

وهى المعروفة بمنشآت فريدون ، (فريدون أحمد باشا) المتوفى سنة ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م والمؤلف من الكتاب القدماء ومن أشهرهم ، كان رئيس الكتاب لدى الوزير الاعظم صوقوللى محمد باشا . فهو مرجع تاريخى للوقائع ومثال مشاهد للآداب فى عصره . طبع فى مجلدين . وفيه وثائق كثيرة تخص العراق سواء منها ما يتعلق بفتح العراق وغير ذلك ...

والكتاب لا يخلو من غمز ، فانه نسب منشآت عديدة للعثمانيين ، منقولة من مراسلات كانت للخوارزميين وغيرهم فقلبها ، أو عدل فيها ونسبها الى السلاطين العثمانيين ، وربما كان كتاب الدواوين اتخذوا تلك المراسلات أصلا فى مدوناتهم السلطانية .

ومن مؤلفاته الاخرى (نزهة الاخبار) . يتضمن وقائع سنتين حدثتا بعد واقعة سكتوار . وله (مفتاح جنت) فى الاخلاق ...[٢]

(٨) تاريخ رمضان زادة :

تاريخ تركى أوله : الحمد لله على ألطافه السنية الخ عندى نسخة خطية

---

(١) نعيما تاريخى .

(٢) عثمانلى مؤلفلرى ج٢ ص٣٦٣ - ٣٦٤ .

منه كتبت سنة ١٠٠٦ هـ ، وفيها بعض التعليقات وتواريخ بعض السلاطين وأخرى مطبوعة ... يتكلم فيه عن أوائل التاريخ ، ثم عن العثمانيين وفصل تاريخهم أكثر . وفيه بيان عن الوزراء والمشاهير والعلماء فى أيامهم ...

ومؤلفه رمضان زاده نشانجى محمد بك من رجال السلطان سليمان القانونى ومن مشاهير المؤرخين . أصله مرزيفونى كان رئيس الكتاب ثم أمين الدفتر ... كان يكتب الطغراء فى المناشير ويوقع التواقيع السلطانية ، ويحرر الطوامير الصادرة من الخاقان . وتاريخه معروف بتاريخ (محمد باشا النشانجى) أى من الرماة وله (سبحة الاخيار وتحفة الاخبار) فى أنساب الانبياء والملوك الى زمن السلطان سليمان القانونى ... توفى سنة ٩٧٩ هـ - ١٥٧٢ م فى استانبول .[١]

(٩) تاريخ صولاق زادة :

فى مجلد واحد تأليف محمد همدمى چلبى المعروف بصولاق زادة . كتبه من أول تأسيس الدولة العثمانية الى آخر أيام السلطان سليمان القانونى بافادة سهلة بسيطة . لم يحو التفصيلات المهمة . طبع عام ١٢٩٨ هـ باستانبول ونسخه الخطية نادرة ... أوله : الحمد لله الذى خلق الخلق وهداهم الى الصراط المستقيم الخ.. توفى عام ١٠٦٨ هـ فى استانبول وله مؤلفات أخرى. منها (فهرست شاهان) منظومة فى تواريخ آل عثمان ، ذيل عليها بعض الادباء وجاء ذكرها فى مقدمة التاريخ . وله تاريخ عام أيضا كما نقل عنه صاحب تذكرة صفايى وله اطلاع واسع على الموسيقى[٢] .

(١٠) مرآة كائنات :

لمحمد القدسى المعروف بـ (رمضان زادة) . من أحفاد سابقه وهو محمد بن احمد بن محمد بن رمضان وكان من العلماء . ولى قضاء بغداد لمرتين . وتوفى سنة ١٠٣١ هـ . وتاريخه ينتهى بسلطنة السلطان سليمان القانونى . طبع سنة ١٢٦٩ هـ .

---

(١) عثمانلى مؤلفلرى ج٣ ص ٥٣ .
(٢) صولاق زاده . وعثمانلى مؤلفلرى .

عليه وكان حكم العثمانيين سابقا لحكمه • وان هذه الدولة ممرنة على الحروب والادارة والتزام السياسة المكينة • أرعبت الشرق والغرب وأرهبت المجاورين ، وعاملت الشعوب والملل المحكومة بالحسنى •

ـ نعم لم تر الحكومة الصفوية مزاحما لها بعد انقراض حكومة آق قويونلو سوى (الدولة العثمانية)[١] • فحاولت القضاء عليها ليصفو الجو لها خالصا بالتوغل فى قلب مملكتها بدعايات واسعة النطاق كان يقوم بها رجال الشاه وأعوانه بنشر التصوف ، والدعوة له ••• ومن ثم تولد النزاع بين الحكومتين وكثيرا ما كانت دولة العجم عائقا مهما ، وصارفا عظيما للدولة العثمانية من التوغل فى جهات الغرب بسبب تدخلها فى أمرها ، واطماعها بأمل ابتلاعها ، توسع نفوذها فى الدولة العثمانية وكان بازعاج لا مزيد عليه • فتكون على الدولة خطر •

وأول عمل قامت به الدولة الصفوية كان على يد (شاه قولى) أى (عبد الشاه) المعروف عند الترك (بشيطان قولى) أى (عبد الشيطان) • استعمل كثيرا •

تنازعتا السلطة وكل واحدة من هاتين الدولتين وجدت الاخرى حجر عثرة فى طريقها والفروق بينهما كبيرة تمنع من اندماج الواحدة بالاخرى • وأهمها الفروق الدينية والقومية • بقيتا مترافقتى النزاع الى أن قضى على الحكومة الصفوية من جانب الافغان قبيل أيام نادر شاه فخلفتها حكومات جديدة لم تغير من وضعها الا اسم الاسرة المالكة بحلول غيرها محلها الى أن جاءت

---

(١) ان الترك يتكلمون باثنتى عشرة لغة • ومنهم التركمان • خرجوا من وراء النهر وجاؤا الى بلاد الروم زرافات وبأسماء مختلفة مثل دانشمندى، وأق قوينلو، وسلجوق•••فجاسوا خلال هذه الديار واستولوا عليها••• ولهم لهجات متنوعة ، وان اللغة التركمانية متشعبة من التتارية ، ولهم اصطلاحات فى لهجاتهم خاصة ولغات غريبة ، لا يفهم بعضهم بعضا الا بترجمان ، وان الجغتاى أفصحها ، وان تركمان آل عثمان من هؤلاء ••• أما تتار قالماق أى الصين والخطا والختن فانهم غير اولئك وانما هم تتار آخرون ••• ولهم اثنتا عشرة لغة بعدد ملوكهم ، فلا يتفاهم بعضهم بعضهم مع بعض الا بترجمان • (أوليا جلبى ج٣ ص ١٧١) •

منه كتبت سنة ١٠٠٦ هـ ، وفيها بعض التعليقات وتواريخ بعض السلاطين وأخرى مطبوعة ... يتكلم فيه عن أوائل التاريخ ، ثم عن العثمانيين وفصل تاريخهم أكثر . وفيه بيان عن الوزراء والمشاهير والعلماء فى أيامهم ...

ومؤلفه رمضان زاده نشانچى محمد بك من رجال السلطان سليمان القانونى ومن مشاهير المؤرخين . أصله مرزيفونى كان رئيس الكتاب ثم أمين الدفتر ... كان يكتب الطغراء فى المناشير ويوقع التواقيع السلطانية ، ويحرر الطوامير الصادرة من الخاقان . وتاريخه معروف بتاريخ (محمد باشا النشانجى) أى من الرماة وله (سبحة الاخيار وتحفة الاخبار) فى أنساب الانبياء والملوك الى زمن السلطان سليمان القانونى ... توفى سنة ٩٧٩ هـ - ١٥٧٢ م فى استانبول .(١)

(٩) تاريخ صولاق زادة :

فى مجلد واحد تأليف محمد همدمى چلبى المعروف بصولاق زادة . كتبه من أول تأسيس الدولة العثمانية الى آخر أيام السلطان سليمان القانونى بافادة سهلة بسيطة . لم يحو التفصيلات المهمة . طبع عام ١٢٩٨ هـ باستانبول ونسخه الخطية نادرة ... أوله : الحمد لله الذى خلق الخلق وهداهم الى الصراط المستقيم الخ.. توفى عام ١٠٦٨ هـ فى استانبول وله مؤلفات أخرى. منها (فهرست شاهان) منظومة فى تواريخ آل عثمان ، ذيل عليها بعض الادباء وجاء ذكرها فى مقدمة التاريخ . وله تاريخ عام أيضا كما نقل عنه صاحب تذكرة صفايى وله اطلاع واسع على الموسيقى (٢) .

(١٠) مرآة كائنات :

لمحمد القدسى المعروف بـ (رمضان زادة) . من أحفاد سابقه وهو محمد بن احمد بن محمد بن رمضان وكان من العلماء . ولى قضاء بغداد لمرتين . وتوفى سنة ١٠٣١ هـ . وتاريخه ينتهى بسلطنة السلطان سليمان القانونى . طبع سنة ١٢٦٩ هـ .

---

(١) عثمانلى مؤلفلرى ج٣ ص ٥٣ .

(٢) صولاق زاده . وعثمانلى مؤلفلرى .

عليه وكان حكم العثمانيين سابقا لحكمه • وان هذه الدولة ممرنة على الحروب والادارة والتزام السياسة المكينة • أرعبت الشرق والغرب وأرهبت المجاورين ، وعاملت الشعوب والملل المحكومة بالحسنى •

– نعم لم تر الحكومة الصفوية مزاحما لهـــا بعــد انقراض حكومة آق قويونلو سوى (الدولة العثمانية)[١] • فحاولت القضاء عليها ليصفو الجو لها خالصا بالتوغل فى قلب مملكتها بدعايات واسعة النطاق كان يقوم بهـــا رجال الشاه وأعوانه بنشر التصوف ، والدعوة له ••• ومن ثم تولد النزاع بين الحكومتين وكثيرا ما كانت دولة العجم عائقـــا مهما ، وصارفا عظيما للدولة العثمانية من التوغل فى جهات الغرب بسبب تدخلها فى أمرها ، واطماعها بأمل ابتلاعها ، توسع نفوذها فى الدولة العثمانية وكان بازعاج لا مزيد عليه • فتكون على الدولة خطر •

وأول عمل قامت به الدولة الصفوية كان على يد (شاه قولى) أى (عبد الشاه) المعروف عند الترك (بشيطان قولى) أى (عبد الشيطان) • استعمل كثيرا

تنازعتا السلطة وكل واحدة من هاتين الدولتين وجدت الاخرى حجر عثرة فى طريقها والفروق بينهما كبيرة تمنع من اندماج الواحدة بالاخرى • وأهمها الفروق الدينية والقوميـــة • بقيتا مترافقتى النزاع الى أن قضى على الحكومة الصفوية من جانب الافغان قبيل أيام نادر شاه فخلفتها حكومات جديدة لم تغير من وضعها الا اسم الاسرة المالكة بحلول غيرها محلها الى أن جاءت

---

(١) ان الترك يتكلمون باثنتى عشرة لغـــة • ومنهم التركمان • خرجوا من وراء النهر وجاؤا الى بلاد الروم زرافات وبأسماء مختلفة مثل دانشمندى ، وأققوينلو ، وسلجوق ••• فجاسوا خلال هذه الديار واستولوا عليها ••• ولهم لهجات متنوعة ، وان اللغة التركمانية متشعبة من التتارية ، ولهم اصطلاحات فى لهجاتهم خاصة ولغات غريبة ، لا يفهم بعضهم بعضا الا بترجمان ، وان الجغتاى أفصحها ، وان تركمان آل عثمان من هؤلاء ••• أما تتار قالماق أى الصين والخطا والختن فانهم غير اولئك وانمــا هم تتار آخرون ••• ولهم اثنتا عشرة لغة بعدد ملوكهم ، فلا يتفاهم بعضهم مع بعض الا بترجمان • (أوليا جلبى ج٣ ص ١٧١) •

الدولة البهلوية فأحدثت تجددا . وهكذا بقى الجدال الى أن انقرضت الدولة العثمانية أيضا بظهور (الجمهورية التركية) ، فبدت آمالها كما هو المشهود فى الاصلاح لا فى الفتح .

ولا تزال الفروق موجودة الى اليوم ولكن التقرب ـ دون الاندماج ـ مأمول والمصافاة أكيدة . نظرا لتغير الوجهات وتبدل أشـــكال الحكومات وتطورها لا سيما بعد الحروب العامة لسنة ١٩١٤ م و١٩٣٩ م . بدت بوادر التقارب السلمى . لان كل دولة تريد أن تنال حظهـا من الاصلاح ، وأن تلحظ مصلحتها ، وليس لها أمل فى التسلط على غيرهـــا . ففى كل مملكة ما يغنيها عن التطلع الى الاطماع خارج حـــــدودها ، وان تحصل على الرفاه والثقافة من طريقهما . وهذا لا يتم الا بالركون الى الطمأنينة والراحـــة . والعدول عما هو أشبه بالغزو العشائرى .

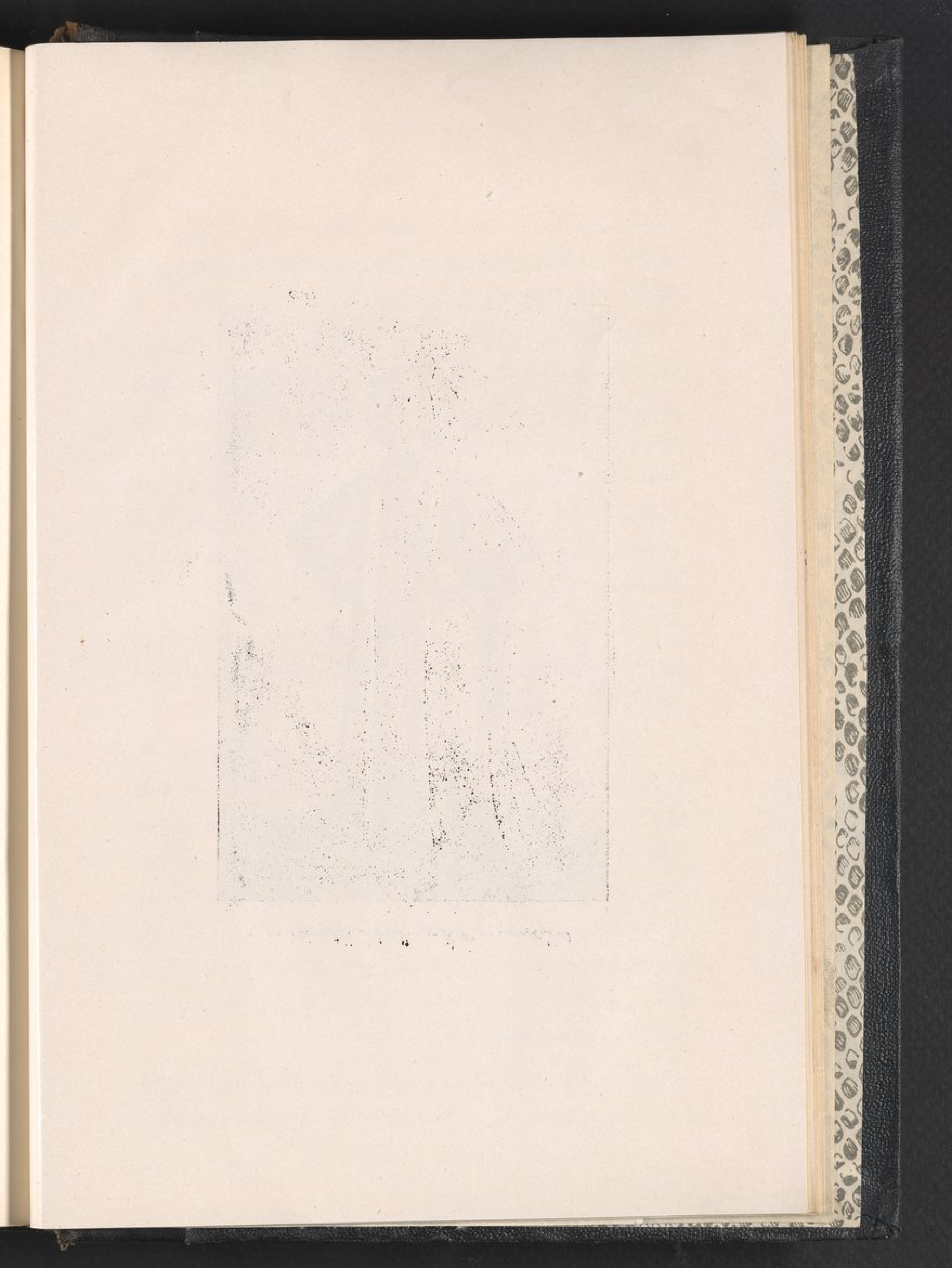
رأت الدولة العثمانية فى أيام السلطان بايزيد أن قد توسع أمر الصفويين فى مملكتها وكون خطرا عليها من جراء ان القدرة على المقارعة كانت مفقودة نوعا لان السلطان بايزيد كان خاملا وادارته منحلة ...

ثم ولى السلطان سليم الياوز . وهـذا من أعاظم ملوك العثمانيين ، كان ولا يزال يحرق الارم على الايرانيين . خاف من توسـعهم لهذا الحد فتولى ادارة الجيوش بنفسه . وقبل الدخول في المعمعة انتقى الادارة وأتلف الاعضاء الزائغةوعد كل مخالفة أكبر جريرة حتى فيما وقع من وزيره الاعظم . حدثت بينه وبين العجم (حادثة چالديران) . كاد فيهـــا يدمر الايرانيين وهم فى بدء تكونهم وان صدمة كبرى مثل هذه كانت تكفى آنئذ للقضاء على آمالهـم . والاهلون لم يخلصوا لهم بعد ، وبينهم من أكره على الطاعة ، ولكن لم يحصل آنئذ من يشاطرهم السلطة أو له أمل في السيادة ... لما نال الناس من ظلم وقسوة فى مختلف الايام فشغلوا بأنفسهم ...

ومن نتائج أعمال الدولة العثمانية أن قضت على نفوذ (المتصوفة فى الاناضول) وصار العجم فى رعب من صولات الترك . ذاقوا المرارة فعلا ، ولم تكتف



١ ـ السلطان سليمان القانوني ـ أحمد راسم



الدولة العثمانية بهذا الحادث من كسر شوكة ايران بل مالت الى متفقتهـــا (مصر) ، فضربتها الضربة القاضية ودمرتها تدميرا تاما لا عودة بعده فخلصت مصر للدولة العثمانية بل دخلت فى حوزتها أنحاء أفريقية الشمالية .

كانت دولة المماليك فى مصر بسبب المجاورة ، وتوسع الدولة العثمانية تخشى أن ينالها منها ما تحذر ، فاتفقت مع ايران أو أن ايران أوجدت فيهـا هذا الخوف مما دعا الى هذا الاتفاق . ذلك ما أكسب الدولة العثمانية الاهتمام للامر وأن تقضى على هاتين الحكومتين قبل أن تستكملا العـــدة . فالدولة العثمانية كانت ممرنة على الحروب أكثر من غيرها وان كانت الدولة الصفويه اكتسبت بعض الممارسة فى حروبها للاستيلاء على كافة انحاء ايران وعلى بغداد .

وقوة السلطان سليم الياوز أعقبتها سطوة أكبر أيام السلطان (سليمان القانونى) . وهذا لم يستطع العجم أن يقفوا فى وجهه . وحكومته آنئـــذ نالت شهرة بلغت الغاية لما وصلت اليه من العز والمنعـــة فى الشرق والغرب ولكن تدابير العجم السياسية مكنتهم من المحافظة على الوحـدة من جراء أن حكومتهم لم ترتكب الخطأ الاول فى (چالديران) للدخول فى مقارعة عنليمة لها خطرها ولا تأمن نتائجها ... أو أن تجرب تجربة أخرى تجازف بهـا ، فركن الشاه الى الاختفاء مدة والحكومة لا تطارد المختفين الهاربين فمالت الى بغداد واكتفت بأخذها وما والاها وعادت ظافرة ...

والعراق كان من الضعف والعجز بمكان ، فلم يقدر أن يحرك ساكنا ، والحكومات السابقة أنهكت قواه ، لا يختلف عن ايران وسائر الممالك الشرقية الاخرى ... ولا يزال الخوف مستوليا عليه مما أصابه من أقوام ليس لهم رأفة به ولا رحمة أو شفقة والقوة لا تزيحها الا القوة . ولم تكن له قدرة النهوض أو بالتعبير الاصح لم يبق من رجاله من ينقاد له الرأى العـام ليقوم بالاستقلال ويربح قضيته استفادة من الفرصة السانحة . ولعل ضف الاهلين كان أهم سبب فلا مجال للقيام ولا قدرة هنـاك تكفى لصد العـدو . والروح قد أميت ، فركنوا الى قوة العثمانيين .

انحلت ادارة العراق فتكونت ادارة تركية • ولم يوسع على الاهلين • ولولا أن الثقافة مكينـة ، قائمـة على أسس ثابتة من مدارس موقوفة ، وريع وافر لتأمين ادارتها ، وتأكيد معرفتها لكانت فى خبر كان •

ان المدارس الموقوفة ثبتت الوضع الثقافى وغيرت الحـالة ، ولم تدع مجالا للتخريب والقضاء على الآداب والعلوم • بل حييت حياة طيبة فى كل فرصة وجدت فيها راحة وطمأنينة ، وان العثمانيين كانوا فى بدء عمل ثقافى ، فكانت الاستفادة من هذه المدارس كبيرة لاقتباس نظامهـا ومراعاة طرق تدريسها ••• فصار لا يستغنى موظف ، أو عالم أو أديب عن العلاقة بهذه المدارس للاخذ بالثقافة الصحيحة •

وعلى كل حال تيسر للسلطان سليمان القانونى (فتح بغداد) بسـهولة دون أن يرى أدنى عقبة أو صعوبة ، ولم يجد مقـاومة من عـدو ولا قياما من أهلين بل فتحوا له الابواب مستبشرين ، مسرورين •

والشعب لا يريد الا الراحة والطمأنينة ، انهكته الحروب ، وتسلطت عليه الاوهام حذر أن تعود اليه هذه الحروب جذعة •

والحق أن العراق اكتسب الراحة ، وسكن مدة ، ولكن بعد قليل دب فى الدولة الضعف من جراء استمرار الحروب ، ودوام غوائلها ، فاضطرت الدولة الى التضييق على الاهلين ، شعر علماء كثيرون بهذا الخطر ، وحذروا الدولة من نتائجه ••• فظهر التغلب فى مواطن عديدة فى بغـداد وغيرها ، فتشوشت الحالة فى أواخر هذا العهد ، واستفاد منها المجاور وهو بالمرصاد فكان ما كان من وقائع انتهت بدخول السلطان مراد بغداد وانتزاعها من أيدى الايرانيين •••

وفى هذا العهد لم يستفد العراق من العلاقات الاقتصادية بأصل الدولة ولا بغيرها فليس هناك ما يستحق الذكر سواء فى أيام الراحة أو الاضطراب بل بقى العراق على حالته المعتادة ، فلم يظهر ما يزيد فى الاقتصاديات ، ولا فى السياسة ما يدعو للارتياح •

ولا يسأل عن الثقافة فى هذه الزعازع ، والاضطرابات ، وان الفرصة مكنت من استعادتها نوعا فى أول العهد الا أن الايام الاخيرة حتى اسـتيلاء السلطان مراد قد قضت على الكثير من آثارها ، فصرنا اليوم لا نستطيع أن نعلم عنها الا القليل النزر . ولعل الايام تكشف أكثر عما غاب عنا فى خزائن الكتب الخاصة ، أو فى البيوت من مصادر .

دامت بغداد فى ادارة العثمانيين الى أن حدثت حوادث كان آخرها واقعة (بكر الصوباشى) سـنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٩ م ، ثار على العثمانيين ، وأعلن حكومته فى بغداد . ولما رأى تضيقا من هذه الدولة طلب المساعدة من ايران ، فكان من نتائج ذلك أن استولت ايران على بغداد . دخلتها فى يوم الاحـد ٢٣ ربيع الاول سنة ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣ م .

جرت هذه الى حروب وبيلة وقاسية بين العثمانيين والايرانيين . اكتسبت عنفا وشدة ، ونالت وضعا خطرا على الدولتين ، فصارت كل واحدة منهما على وشك الهلاك ، ولم يبق بين الحياة والموت الا أنفاس معدودة . جاء السلطان مراد الرابع بنفسه لفتحها ، فحدثت المعـارك الهائلة والحروب الطاحنة بين الطرفين مما ولدته الاطماع ، كأن قد ذهبت لهم ذاهبـة ، أو كأن العراق مخلوق لاحدهما . فتمكن السلطان مراد من استعادة بغـداد فى ١٨ شـعبان سنة ١٠٤٨ هـ - ١٦٣٩ م وتم الفتح . ومن ثم عادت بغداد . وكانت هـذه المرة الاخيرة ، فلم يتمكن الايرانيون بعدها من الاستيلاء عليها وان كانت لم تنقطع الحروب ولا هدأ الامل .

فتح بغداد

١ - بغـداد وحاكمها :

كان العراق من الضعف بمكانة ، وبغداد قاعدة بلاده . كانت ادارتها بيد العجم ، فان محمد خان تكلو كان حاكم بغداد من ايران وهذا علم أن جل أمانى السلطان أن تتم سفرته بفتح بغداد فارتبك أمره وأصابه الرعب ...

وأول ما قام به السلطان أن أرسل اولامه بك مع الوزير الاعظم ابراهيم باشا الى الموصل فاستولوا عليها ٠

ثم ان اولامه بك بعث بعض رجال قبيلته الى من هناك من قبيلة (تكلو) برسائل يحث بها على لزوم اظهار الطاعة للسلطان ... وأبدى النصح بوجوب تسليم بغداد بلا حرب وقد صاغ رسائله هذه بتعابير تدل على الترغيب من جهة والترهيب من أخرى فأبدع فى الاسلوب وحسن البيان بقصد جلب القوم واستهوائهم لجانب السلطان ...

أما الخان فلم يلتفت وأظهر أنه متأهب للطوارىء ، عازم على القراع ، وصار يعد العدة للنضال ٠ وفى هذا الحين ورد ابن الغزالى من قبيلة تكلو أيضا الى بغداد حاملا رسالة الشاه يخبر بها محمد خان الوالى ببغداد بأن السلطان قد تحرك قاصدا بغداد ، وفيها حث بالانصراف عن المدينة وان يأتى الى ايران على وجه العجلة لينجو بنفسه وبمن معه ٠ وعلى هذا دعا الخان أعوانه وقص عليهم ما وقع ، وشاور فى الامر فلم يوافقه قبيلة تكلو على الذهاب الى الشاه وامتنعت عن طاعته ... فكان مجموع من وافقه نحو ألف فلم ير بدا من الذهاب الى الشاه وبينا هو يفكر فى الامر اذ ورد كتاب آخر يدعوه الشاه فيه الى لزوم الاسراع فكان داعية التشوش أكثر ٠ جاء هذا الكتاب مع نديم الشاه (رجب دده) فلم يطق صبرا لا سيما وقد تواترت الاخبار بوصول السلطان واكتساحه الحدود بجيوشه الجرارة واجتيازه خانقين وقله[1] مما زاد فى ارتباكه ٠ فدعا جماعة تكلو ٠ فاوضهم وبالغ فى نصحهم ٠ دعاهم للخروج معه من المدينة واللحاق بالشاه فلم يلب دعوته أحد ٠ فتابعه من أعوان الشاه نحو سبعمائة بيت ... وافقوه واستعدوا للذهاب معه امتثالا للامر ٠

ولما ألح فى الطلب على طائفة تكلو قام فى وجهه نحو ثلاثة آلاف ٠ ناصبوه العداء وتحصنوا فى المدرسة المستنصرية بقرب الجسر[2] تأهبا لمقارعته وكمنوا له هناك ٠

---

(١) أى قولاى المقاطعة المعروفة فى خانقين ٠
(٢) تعين أن محل الجسر فى مكانه المعروف اليوم من سنة ٩٤١هـ ٠

وكان فى نية الخان آنئذ تخريب دورهم واهلاك أهليهم ومتعلقاتهم . وفى أمله الهجوم عليهم والتنكيل بهم فخالفه السيد محمد كمونه وسكن الخصام بينهما . وجل غرضهم أن لا يوافقوا الخان ولا ينصاعوا لقوله . تعندوا فلم يمضوا طبق مرغوبه ...

لم يبق للخان أمل ، ولم ير تدبيرا ناجعا ينقذه من هـذه الورطة فندم على ما فعل ، وأبدى للقوم أنه عدل عما كان عزم من الذهاب الى الشاه وانما مال الى السلطان وانه مطيع له . فسر الجميع لقوله هذا . وصوب الجماعة رأيه ...

وعلى هذا ذهب جماعة من رجال تكلو . سارعوا فى الوصول الى السلطان سليمان ليقدموا له مفاتيح بغداد وليعرضوا الطاعة . وكان هؤلاء من أهل الحل والعقد . رأى الخان الحالة وصلت الى هذا الحد فلم يبق له أمل فى أن يبقى رئيسا كما كان فيحافظ على مكانته وان المذكورين قد غلبوه على أمره . وانه فقدت منزلته ... ورأى الأسلم له أن يعبر الجسر باتباعه ويذهب الى الشاه من طريق البصرة فتوجه الى الشاه(١) .

٢ ـ السلطان سليمان القانونى :

الدولة العثمانية كانت ولا تزال فى حالة توسع الى هذه الايام ، تترقب الفرص وتتوسل بالاسباب للدخول فى معمعة أخرى لتكسر شوكة الصفويين فلا تدع لدولتهم مجالا للدعاية فى مملكتها ، وان التشنيع على ايران من آل الكيلانى من كل صوب ، ومن المغلوبين وفلولهم مما ذكر بواقعة چالديران ، وان كانت لا تعد اسبابا للدخول فى معارك جديدة وانما قرب الحالة الحربية ما جرى على ذى الفقار من حادث . يضاف الى ذلك ان اولامه بك من قبيلة تكلو حاكم أذربيجان من جهة الشاه التجأ الى السلطان سليمان لما وجد من الشاه من خوف ، فرغبه فى حرب ايران وزاد فى نشاطه . وربما يعد ميله الى السلطان

---

(١) كلشن خلفا ص ٦١ ـ ٢ ونخبة التواريخ وابن كمونة هذا هو غير المذكور فى المجلد الثالث من تاريخ العراق بين احتلالين .

من أكبر أسباب الاشتباه من والى بغداد محمد خان تكلو ، فمالت قبيلته الى السلطان فعلا • وهذه من قبائل التركمان المعروفة[١] •

كانت هذه من أكبر المسهلات للدخول فى المعمعة مع العجم • جاء فى جامع الدول[٢] وفى غيره أنه فى هذه السنة (٩٤٠ هـ) أمر السلطان بالتجهيز لسفر الشرق وجعل الوزير ابراهيم باشا سردارا فعبر الوزير فى جمع من الحرس الملكى (قپو قولى) الى اسكدار فى ٢ ربيع الآخر من هذه السنة ثم سار وشتى فى حلب وكان سبب ذلك يرجع الى أمرين :

(١) أن حاكم بغداد ذا الفقار مال الى السلطان سليمان فأرسل اليه مفاتيح بغداد وأظهر الانقياد ولما بلغ ذلك الشاه طهماسب سار اليه فحاصر بغداد مدة فقاتله ذو الفقار وقتل • فكان الباعث لقصد السلطان •

(٢) أن حاكم بدليس (بتليس) شرف خان أعلن العصيان على السلطان وانقاد للشاه طهماسب كما أن حاكم تبريز اولامه تكلو كان قد تقلد مناصب فى ايران الى أن نال حكومة تبريز • ولما دخلت هذه السنة أوجس خيفة من الشاه طهماسب فهرب الى الروم • التجأ الى السلطان فأكرمه وأقطعه بدليس وأمده بعسكر ديار بكر • أرسله الى قتال (شرف خان) فقاتله قتالا شديدا فقتله ، وكسر جيشه ببدليس وأهلك كثيرا من أتباعه • وصار ذلك أيضا سببا لقصد بلاد الشرق •

وفى أيام وجود الوزير فى مشتى حلب فى منزل (سواريك) فى أول ذى الحجة من هذه السنة بلغه تسخيروان • ففرح بذلك الا أنه علم أن العسكر يقولون لا يقاتل السلطان الا السلطان فخاف من الفتنة فأرسل الى

---

(١) قاموس الاعلام ج٣ ص ١٦٦٥ مادة (تكه تركمانلرى) • وغالب قوة الشاه تستند الى القبائل التركمانية مثل استاجلو ، وتكه‌لو ، وبهارلو ، وذى القدرية ، والقاجار ، والافشار ، ذكرهم فى تاريخ مختصر ايران تأليف باول هورن • ترجمه الى الفارسية الدكتور رضا زادة شفق • طبع سنة ١٣١٤ هـ • ش فى طهران •

(٢) ومثله فى كلشن خلفا ص ٦١ ـ ١ الا أن ما فى جامع الدول أوسع •

السلطان يعرفه بالحال ويلتمس قدومه فأجاب السلطان ملتمسه • عبر الى اسكدار في آخر سنة ٩٤٠ هـ وتوجه مبادرا نحو الشرق حتى وصل الى تبريز فى ٢٠ ربيع الاول سنة ٩٤١ هـ • (جرت وقائع بين الوزير والعجم فى مواقع حتى وصل السلطان والوزير الى همذان ثم قطعا بعدها المنازل متوجهين نحو بغداد فوصلا الى قصرشيرين) ومن ثم دخل السلطان بجيشه الحدود العراقية•••

وكل ما عرف عن الوزير فى ايران أنه قام بما يجب القيام به لتسهيل الضربة على الشاه فتعقب أثره وقارعه فى بعض المواطن ••• فكانت الحروب دامية • أخذ الخوف من العجم أكبر مأخذ كان نهض السلطان من استانبول فى ٢٨ ذي القعدة سنة ٩٤٠ هـ ـ ١٥٣٤ م وصار يطوى المراحل حتى اتصل بجيش الوزير • وصل الى السلطانية فى ٦ ربيع الآخر سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م ومنها كانت وجهته همذان فوردها فى ٢٤ منه • اما الشاه فكان فى حالة يرثى لها يفر من ناحية الى أخرى ، ويتخفى فى الجبال الصعبة ، ويميل عن الطرق المعتادة فرارا من وجه السلطان • والرعب استولى عليه • • وحينئذ أمال السلطان عنان عزمه نحو بغداد وكانت الغاية المقصودة •

٣ ـ بين قصر شيرين وبغداد (فى طريق بغداد) :

لم يتعرض صاحب گلشن خلفا لتفصيل طريق السلطان ولكن ذلك جاء ذكره من مؤرخين كثيرين • قصوا سير السلطان وطريق حركته الى بغداد وبين هؤلاء المؤرخ نصوح المطراقى والمؤرخ فريدون سوى أن نصوح المطراقى كان مصاحبا للسلطان فى سفره هذا ، فحكى ما شاهد بل لم يكتف بذلك وانما صور البلدان والمراقد المباركة التى مر بها بألوان عديدة وعليه عولنا • ولم نهمل أقوال المؤرخين الآخرين ما أمكن الجمع •

ان السلطان كان قد وصل الى (ماهى دشت)[1] فى غرة جمادى الأولى

---

(١) وردت فى معجم البلدان بلفظ (مايدشت) وعدها من مضافات خانقين • وعين موطنها فى رحلة المنشى البغدادى ص ٤٦ •

تهض من مرقد اويس القرني[١] اليهـــا • وفي الســـادس منه وصلوا الى (قلعة شاهين) وهذا المنزل هو الحد الفاصل بين عراق العرب وبين ايران ومن هنا تبدأ حلوان البلدة والمدينة[٢] • وهذا المنزل خال من القرى وكان ذلك يوم الخميس وبقوا الجمعة في مكانهم • وهناك دفن نشانجي سيدي بك[٣] • وكانت أصابت الجيش في هذا المحل أمطار غزيرة ورعد وبرق بما لا يوصف •• ويوم السبت ٨ منه وصلوا الى يكى امام (يني امام) اى الامام الجديد وكانت

---

(١) في أراضي الهارونية مما يحاذي جبل حمرين بالقرب من المكان المسمى (وادي الحصان) قبر يسمى (مرقد أويس القرني) والحال ان مرقد أويس هذا قد جاء ذكره في المحل المذكور أعلاه قبل أن يصل الوارد من ايران الى ماهي دشت بمرحلة • وهذا محل نظر أيضا • فلا يصح أن تتعدد المواطن ، وتكثر التسميات لمرقد واحد •

والهارونية على نهر ديالى من ملحقات شهربان ، تأخذ ماءها من نهر ديالى ، وكانت البلدة في الصدر ، وتمتد أراضيهـا الى (بلدروز) أو (براز الروز) •

(٢) حلوان ذكرتها في ملحق تاريخ العراق ج٢ ص٦ عند الكلام على (درتنك) • وقلعة شاهين قرية من قرى درتنك • ويقال لها (كاوروان) • وتعـد اليوم من أنحاء (زهاو) • وسميت كاوروان باسم جبل هنـاك • وأما حلوان فيسمى محلها اليوم باسم (سربل) ويقع بين قلعة شاهين ونفس زهاب وبشيوه وتقع على ضفة نهر الوند • وهناك كانت مدينة حلوان ولم يبق منها الا أطلال وقنطرة صخرية لا تزال قائمة • (سياحتنامهٔ حدود) وجاء ذكر (درتنك) في مسالك الابصار ج٣ المخطوط في أياصوفيا وفي أوليا جلبي ج٤ ص ٣٨٨ وج١ ص ١٨٦ •

(٣) هذا كان الموقع الديواني فقـام مقـامه جلال زادة نشانجي مصطفى • وهذا فاق في الخط الديواني ودام ٢٤ سنة في هـذا المنصب وله معرفة تامة بالقوانين الديوانية • ثم صار طغراكش (طغرائيا) في سنة ٩٧٤هـ وتوفي سنة ٩٧٥ هـ • وهو مؤرخ ، له طبقات الممالك • وتاريخ عثماني • ومنصب طغرائي كان معروفا عند العثمانيين وكان آخرهم الحاج أحمد كامل آكدك ويعرف بـ (طغراكش) أي طغرائي ، وبين هذين حاز هـذا المنصب كثيرون في الدولة • والتفصيل في (تاريخ الخط العـربي في العراق)

قلعة خربة آنئذ • حدث هنا من الاضرار ما لا يوصف • وفي التاسع منه جاؤا الى قصر شيرين[١] وعاد هذا يبابا • وجدت فيه قلعة خالية •••

ومن قصر شيرين مضوا الى (نهر شمران)[٢] كما في نصوح المطراقي وهو (طقوز اولوم) وجاء في غيره أنهـم يوم الاثنين في العاشر وصلوا الى خانقين وفي هذا المنزل[٣] ورد القاضي ومعه جماعة أرسلوا من محمد خان حاكم بغداد يبدون انه طائع منقاد لاوامر السلطان ، فانعم السلطان على هؤلاء بالخلع وانتظروا يوما واحدا لورود الاثقال والمهمات وفي يوم الاربعاء ١٢ منه وصلوا الى (طقوز اولوم) وحطوا أثقالهم وجاء أنه (أولوصو) ومعنـاه النهر الكبير ويقصد به (ديالى)[٤] • رأوا المياه في فيضان زائد فاضطروا على البقاء • وفي هذا اليوم أصاب الجيش من الغرق ما لا يوصف ومن نجا لحقه السيل لحد أن فريدون قال : ان هذه المصيبة لم ينلها جيش في التاريخ ولا رأى مثل هذا

---

(١) كان في العهد العثماني امارة مستقلة • واحيانا تابعا لزهاو • ومن سنة ١٢٢٦ هـ دخل في حوزايران أيام امارة (محمد علي ميرزا) كان الايرانيون بمقتضى المعاهدة المعقودة سنة ١٢٣٨ هـ التزموا أن يعيدو زهاو وقصر شيرين • وقبلوا الحدود السابقة الا انهم لم يبالوا بذلك واستمرت تلك الاصقاع بتصرفهم •

(٢) وجاء (شميلان) بتفخيم اللام على لهجة الكرد ويراد بها حشائش خاصة تسمى بهذا الاسم واطلقت على جبل شمران ، وسمي نهر ديالى باسم الجبل المار منه تسمية غريبة أو مغلوطة عن (نهر سيروان) فحرف اللفظ • وهو اسم نهر ديالى حتى يصل الى محل يقال له (دربند خان) فليست اسم (ديالى) • ويقال له (سيروان) عند الكرد الى المحل المذكور ثم يطلق عليه ديالى • والتسمية تتعاقب فالكرد يعرفون (نهر سيروان) ويسمى (نهر شروان) • وبعد ذلك يمضي في سيره فيقال له (نهر ديالى) • وفي معجم ياقوت يسمى (تامرا) ، ونهر بعقوبا الاعظم ، الجانب الايمن منه وما تفرع منه من انهار يقال له (الخالص) ، وما كان في الجانب الايسر ومشتقاته يقال له (نهر طريق خراسان) ثم خفف فصار ينطق به (خريسان) •

(٣) ومنهم من قال انه في قلعة شاهين ورد اليه كتاب محمد خان يقدم له فيه الطاعة •

(٤) عبروا من بنكدره (بين كدره) • وجاء في رحلة المنشي البغدادي ان المعبر كان من قرية رزه من بنكدره • والظاهر انه لم يختلف • ص ٤٢ •

الهول • وفى ١٤ منه كان الفيضان مستمرا فلم يستطيعوا العبور واستراحوا يوم الاحد ١٦ منه وانعم السلطان فى هذا المنزل على من رآه بخلعه ، ثم جاؤا الى كوشك سيلان[١] ومنها الى صحراء بردان فوصلوها فى ١٩ منه ثم عبروا (نهر نارين) • هول المؤرخون بالخسائر والاضرار وانها لا يمكن تقديرها وكان فيضان ديالى مرعبا جدا • ومنها اجتازوا جبل حمرين فجاؤا الى قرية شروين المسماة (طاش كوپرى) وتعرف بـ (دللى عباس) والآن سميت بناحية (المنصورية) • وفى ٢٠ منه عبروا نهرا هناك (الخالص) ، وفى ٢٢ منه وصلوا الى قرب قرية (الوندية) فلم يقفوا وساروا فى طريقهم وفى يوم الاحد ٢٣ منه وصلوا مرقد (الشيخ سكران) • و(مرقد لقمان الحكيم) بالقرب منه ، ورأوا فى طريقهم مرقد (الشيخ مكارم) وفى ٢٤ منه وصلوا (الامام الاعظم) وان السلطان حينئذ نزل من فرسه وزار مرقده ثم ركب ومضى بجيوشه الى (بغداد) •••

وكانت المدينة قبل هذا سلمت مفاتيحها الى (جعفر بك) • وجاء فى جامع الدول : « ولما قرب الموكب من بغداد هرب حاكمها محمد خان تكلو • تركها خالية فبلغ الخبر الى الركاب السلطانى فأرسل أولا الوزير فدخلها فى ٢٢ جمادى الاولى بلا نزاع ولا قتال ، ثم دخلها السلطان بعد يومين فى ٢٤ من الشهر المذكور ••• » اهـ[٢] •

وفى گلشن خلفا أن الشاه لم يستطع مقاومة السلطان حينما توجه الى بلاده وتوغل فى ايران فاستولى على آذربيجان ، ولم يقدر على صده ، فصار يهرب من وجهه الى هنا وهناك خائفا ، متخفيا ، وغرضه تعجيز السلطان • ولذا عزم السلطان أن يمضى الى بغداد ، فوصل الخبر الى والى بغداد محمد خان تكلو ، فأصابه الهلع ، واستولى عليه الرعب •

---

(١) لعله (كوشك زنكى) كما فى رحلة المنشى البغدادى •

(٢) جامع الدول • ومنشآت فريدون • ومنازل العراقين • وتاريخ العراق ج٣ ص٣٦٧ • وفى الاخير ايضاح •

وفى هذه الاثناء اكتسح ابراهيم پاشا مع أولامه بك تكلو مدينة الموصل ، وان أولامه بك هذا كتب الى رجال قبيلته (تكلو) فى بغداد رسائل ينصحهم ويحثهم على تسليم بغداد الى السلطان ، فيها من الترغيب تارة والترهيب أخرى ما يقتضيه المقام ويحذرهم عاقبة العناد ، فكان جواب محمد خان تكلو الرد • وأبدى عدم الاذعان وبين انه مستعد للكفاح الا أن الشاه بعث الى والى بغداد بابن الغزالى من تكلو أيضا يوصيه بالعودة الى ايران وأن ينجو بمن معه • ومن ثم دعا الوالى قبيلة تكلو ، واستطلع رأى رجالها ، فعارضوا فى الذهاب الى ايران ، وأصر الكثيرون الا أن نحو ألف رجل منهم وافق محمد خان تكلو• وفى هذا الحين ورد (رجب دده) نديم الشاه يوصيه بالاسراع فى العودة • فاضطرب الوالى ، ولم يقر له قرار لا سيما وقد سمع ان السلطان وصل الى خانقين وقله (قولاى) بجنوده ، فاضطر أن يدعو قبيلة تكلو مرة أخرى وينصحها فلم يجد ذلك نفعا •وفى الاثناء سمع أن أهل بغداد لا يستطيعون الحصار ، ونادوا بالميل الى السلطان وابدوا حبهم له ، وان نحو ثلاثة آلاف من قبيلة تكلو أوقدوا نيران الفتنة ، وجاهروا بالمخالفة وتطاولوا ، بل أن هؤلاء اتخذوا المستنصرية حصنا لهم • وكان أمل الخان أن يوقع بهؤلاء ، وان يصطدم بهم ، فلم يوافقه السيد محمد كمونة بل مانعه أن يقوم بالفتنة ومن ثم علم أن قبيلة تكلو أبدت المعارضة وتحصنت فى المدرسة المذكورة ، وانها ليست مع الشاه ، فتظاهر بأنه مع السلطان فوجد موافقة ، ومن ثم وبناء على موافقة الخان أرسلوا مفاتيح بغداد مع رؤساء قبيلة تكلو ، وقدموها للسلطان وأبقوا الخان رئيسا ولكن الخان علم يقينا أن اظهارهم المتابعة ليست الا أمرا وقتيا وانهم يضمرون له الكيد ، وانه سوف يرى ما لا يرضاه فندم على ما فعل ، الامر الذى دعا أن يعبر الجسر ويذهب من طريق البصرة الى مقر الشاه ، فذهب مملوءا رعبا • وترك بغداد[١] •

---

(١) كلشن خلفا ص ٦١ ـ ٢

وان قائد الجيوش (السر عسكر) لم يفتح الابواب حذرا من أن ينال الاهلين أذى من الجيش . وأنعم السلطان على هذا القائد انعاما عظيما(١) .

٤ – دخول بغداد :

ان الجيش دخل بغداد بلا حرب ولم يقع أى ضرر ، كان جاء الوزير الاعظم ابراهيم باشا السردار بأربعين ألفا . وأما السلطان فانه وافى بغداد بمائة ألف الا أن ما أصاب العساكر من طغيان المياه ، والامطار والزعازع أضعاف ما لو كان حرب . وكادت أن تحبط مساعى القوم .

ان أبناء الترك ومن معهم صبروا للمصاب ومضوا حتى ربحوا بغداد . فكان لدخولهم رنة فرح زاد فى سرور الاهلين وأنعشهم فلم يروا ضررا من الجيش خلاف ما كان عليه الفاتحون الآخرون فى غالب أحوالهم . وأما حاكم بغداد محمد خان فانه حينما علم بقربهم من بغداد ركب بأهله وعياله السفن وذهب الى البصرة . وان الجيش الايرانى عبر ديالى وسار من جهة درنه ودرتنك قاصدا ديار العجم . مضوا الى أنحاء قم وقاشان .

وعند دخول السلطان المدينة زينت له تزيينا بديعا وملئت جميع الابراج بالعساكر فأخذوا مواقعهم ونشرت فى تلك المواقع الطوغات والاعلام على اختلاف أنواعها ... وأطلقوا له حين دخوله ثلاث طلقات نارية من مدافعهم وبنادقهم اظهارا للسرور ، وصارت الطلقات تترى . فكان لها وقعها فى النفوس واحتفل به الاهلون احتفالا لا مزيد عليه . كذا فى أوليا چلبى نقلا عن والده درويش محمد آغا أحد الصاغة فى البلاط كان حضر الفتح(٢) .

وجاء فى گلشن خلفا أن الاهلين استقبلوا السلطان بمهرجان عظيم فنالوا كل التفات ولطف منه . وكان حينما ورد الموكب قصبة الاعظمية وأقام بها منع منعا باتا أن يدخل أفراد الجيش المدينة ، أو يلحقوا ضررا ما بأحد ،

---

(١) نصوح المطراقى ، وعزيز جلبى فى سليماننامه ، وأوليا جلبى ، وجامع الدول .

(٢) أوليا جلبى ج ٤ ص ٣٩٩ .

وحظر أن يتطاول شخص أو يمد يده الى مال آخر • ذلك ما أدى الى توليد الامن وراحة الرعايا • وتقدم الشاعر المشهور فضولى البغدادى بمدح السلطان بنادرة مطلعها :

أيد اللهم فى الآفاق أمن المسلمين

با دوام دولت پا ينده‌ء سلطان دين

نور اللهم فى الاسلام مصباح البقا

با ثبات حشمت شاهنشه روى زمين

خلد اللهم سلطانا به باهى الزمان

شدز فيض أو فضاى ملك فردوس برين

وأورد صولاق زاده للشاعر فضولى البغدادى أيضا فى تاريخ هذا الفتح :

گلدى برج أوليايه پادشاه نا مدار[١]

ومن التواريخ قولهم (فتحنا العراق) • وعلى كل حال اتخذ السلطان بغداد عاصمة له مدة بقائه •

السلطان سليمان فى بغداد

كان دخول السلطان بغداد يوم الاثنين ٢٤ جمادى الاولى سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م • رافقه أمراء وولاة كثيرون بينهم أمير أمراء مصر سليمان باشا ، ونصوح المطراقى الذى حكى هذا الفتح[٢] • ثم تجول السلطان فى ٢٨ جمادى الاولى سنة ٩٤١ هـ فى انحاء عديدة من العراق قضاها فى زيارة المراقد المباركة فى الكاظمية وكربلا والنجف ومر فى طريقه بالكوفة والحلة ••• ثم عاد الى استانبول من طريق ايران متوجها نحو أذربيجان • والشاه مال الى طريق التخفى ، والعدول من وجه السلطان فوصل الى تبريز دون أن يقع حرب • وفى خروجه من تبريز جاءه القاصدون من الشاه يتضرعون اليه باسدال العفو وقبول الصلح فقبل ذلك • ومن ثم عاد الى استانبول[٣] •

---

(١) كلشن خلفا ص ٦١ـ٦٢ • وتاريخ صولاق زاده ص ٤٨٧ •

(٢) اسفار بحرية عثمانية ومرآة الممالك •

(٣) كلشن خلفا ص ٦٢ ـ ٢ •

وفى أيام استقراره ببغداد قام بأعمال أهمها :

١ ـ اجتماع الديوان :

كان اثر وصول السلطان اجتمع (الديوان) وأجريت التوجيهات فأكرم الجيش بانعامات وافرة . ولما كان من أعظم ملوك الارض فلا يقال فى توجيهاته ولا فى عطاياه وهباته أكثر من أنها كانت عظيمة(١) .

٢ ـ تعميره قصبة الامام الاعظم ـ الجامع والمرقد :

ان السلطان سليمان فى ٥ جمادى الثانيـة سنة ٩٤١ هـ زار مرقد الامام الاعظم وأمر بتعمير قبته لما رآها فيه من حالة الخراب والتـدمير ، وأنه رأى جدرانها متهدمة النواحى والاطراف متداعية فعمر المرقد الشريف ، وأسست دار ضيافة للوارد والصادر غداء وعشاء ولم يكتف بهذه ، وانما أمر أن يتخذ سور لحراستها من أيدى المتغلبة والعابثين(٢) . واوسع من هذا ما جاء فى أوليا چلبى قال :

« ان السلطان سليمان خان شرع عام ٩٤١ هـ فى بناء قصبة الامام الاعظم تبركا . وان البلدة حينما كانت فى يد السلطان حسن الطويل (أوزن حسن) رأى ســـادن حضرة الامام الاعظم رؤيا مؤداها أن الامام الاعظم قال له : ضع الصندوق الذى على قبرى على الضريح الذى هو فى المحل الفلانى . لان هناك كافرا مستحقا للعذاب . وحينئذ استيقظ السادن وفعل طبق ما أمر الامام . وكان آنئذ وفى ذلك العصر لاتوجد على (قبر الامام) قباب ولا تكلفات(٣) . وذلك أنه كان قد سجن من قبل المنصور وعمره آنئذ ثمانون عاما فتوفى . ودفن بناء على وصيته فى غرفته على السنة . ثم انه قد وضع بعض السلاطين على ضريحه صندوقا . وان ذلك السادن بناء على الرؤيا وأمر الامام وضع هـــذا الصندوق على قبر كافر . ولم تمض مدة طويلة حتى استولى الشاه اسماعيل على العراق . وحينئذ كسر الصندوق وفتح عن القبر فوجد جســـدا ملوثا . فألقاه فى النار فزعم أنه انتقم من الامام وكفى شره .

---

(١) منشئات فريدون . (٢) سليمانـنامه ص ١١٩ .

(٣) فى تحفة النظـار ما يخالف ذلك ج ١ ص ١٣٦ كما ان حكاية وضع الصندوق لم يعرف لها أصل .

ولما جاء السلطان الى بغداد وبينما هو فى طريقه رأى چاوش رؤيا مؤداها ان الامام ظهر له وقال له ان (طاشقين[١] خواجة) يعلم ضريحى • وبعد الفتح قد أشار ذلك الرجل الى أرض الامام فحفروها فظهر الاساس القديم فأخرجت صخرة كبيرة فرفعوها ومن ثم ظهرت منها رائحة طيبة فانتشرت وعطرت جميع أدمغة الحاضرين • أما السلطان سليمان فانه وضع ذلك الحجر على حاله وغطاه بتراب وأعاده كما كان • وأخذ فى البناء فبنى قبة على قبر الامام بصورة لا يستطيع اللسان وصفها • وبنى عمارة هناك ومدرسة وعمر فى أطرافها قلعة• واتخذ جامعا ودار ضيافة وحماما وخانا ونحو ٤٠ أو ٥٠ دكانا وعين للقلعة دزدارا (محافظا) وجندا لحراستها يبلغون مائة وخمسين ووضع فيها معدات حربية كافية ، ومدافع • وشكل القلعة مربع باستطالة قليلة ومحيطها ثمانية آلاف خطوة • وفى أطرافها من الخارج بساتين وحدائق •

وقال : وحينما ذهبت مع ملك أحمد باشا عام ١٠٥٨ هـ عمرها فى ذلك التاريخ • وهناك اتخذ لها آبارا ذوات سواقى وصنع لها غرفا • وقد أرسل اليها من الآستانة من (قيا سلطان) قنديل ذهبى[٢] •

وان السلطان مراد خان صنع الباب الاسفل والاعلى وشبكة الضريح من فضة • وكذا مصراعى الباب فصار الجامع وقبر الامام كأنه جنة الفردوس •

ومن ذلك العصر نرى جميع الوزراء والوكلاء والاعيان الكبار يزيدون فى الآثار الخيرية من بناء وعمارة ويزينون المحل بأنواع الثريات بصورة بديعة » اهـ[٣] •

ومثله فى تاريخ پچوى نقلا عن المؤرخ عالى أفندى عن جلال زادة مصطفى النشانجى فى كتابه (طبقات الممالك)[٤] فلا نرى ضرورة لتكراره •

---

(١) وفى تاريخ بجوى طاشقون خليفة •

(٢) أصل اسمها قيا اسميخان سلطان • كذا فى سجل عثمانى وهى بنت السلطان مراد الرابع ج١ ص ١٠ •

(٣) أوليا جلبى ج٤ ص ٤٢٦ •

(٤) تاريخ بجوى ج١ ص ١٨٥ •

وفي تاريخ رمضان زاده محمد النشانجي ذكر لاعمال السلطان هذه الا أنه مختصر جدا . وجاء في تاريخ هامر ان السلطان عين مرقد الامام الأعظم تخليدا لذكراه دون علم منه يقينا بموضع قبره الذي صيره العجم مزرعة كما ان سلفه السلطان محمد خان الفاتح ابتدع مرقدا في استانبول لابي أيوب الانصاري (١) ... ولا نعطف اهتماما كبيرا لامثال هذا . وانما نذكر في معرض المقابلة ما عملته ايران من انتهاك حرمات القبور ، وما عمله الترك من تعميرها واحترامها وزيارتها . كما اننا لا نرى مبررا لاختلاق قبر الامام الاعظم وذكراه وشهرته تغني عن تعيين قبره فهو محترم من غالب المسلمين مقلديه وغير مقلديه . ولا يزال مذهبه مرعيا في أكثر الممالك الاسلامية . وشيوع فقهه كاف ومغن عن أحياء ذكرى أخرى . وغالب الصحابة الكرام لا تعرف قبورهم (٢) .

وقد ذكر أوليا چلبي أن السلطان خصص مبلغ مائة ألف دينار لهذه التعميرات ولقبة الشيخ عبدالقادر الجيلي (الگيلاني) .

وهنا قصرنا البحث على الحادث والا ففي كتاب (المعاهد الخيرية) مباحث مسهبة عن (جامع الامام أبي حنيفة) ومدرسته وما لحقها من تعميرات .

٣ ــ حضرة الشيخ عبدالقادر وجامعه :

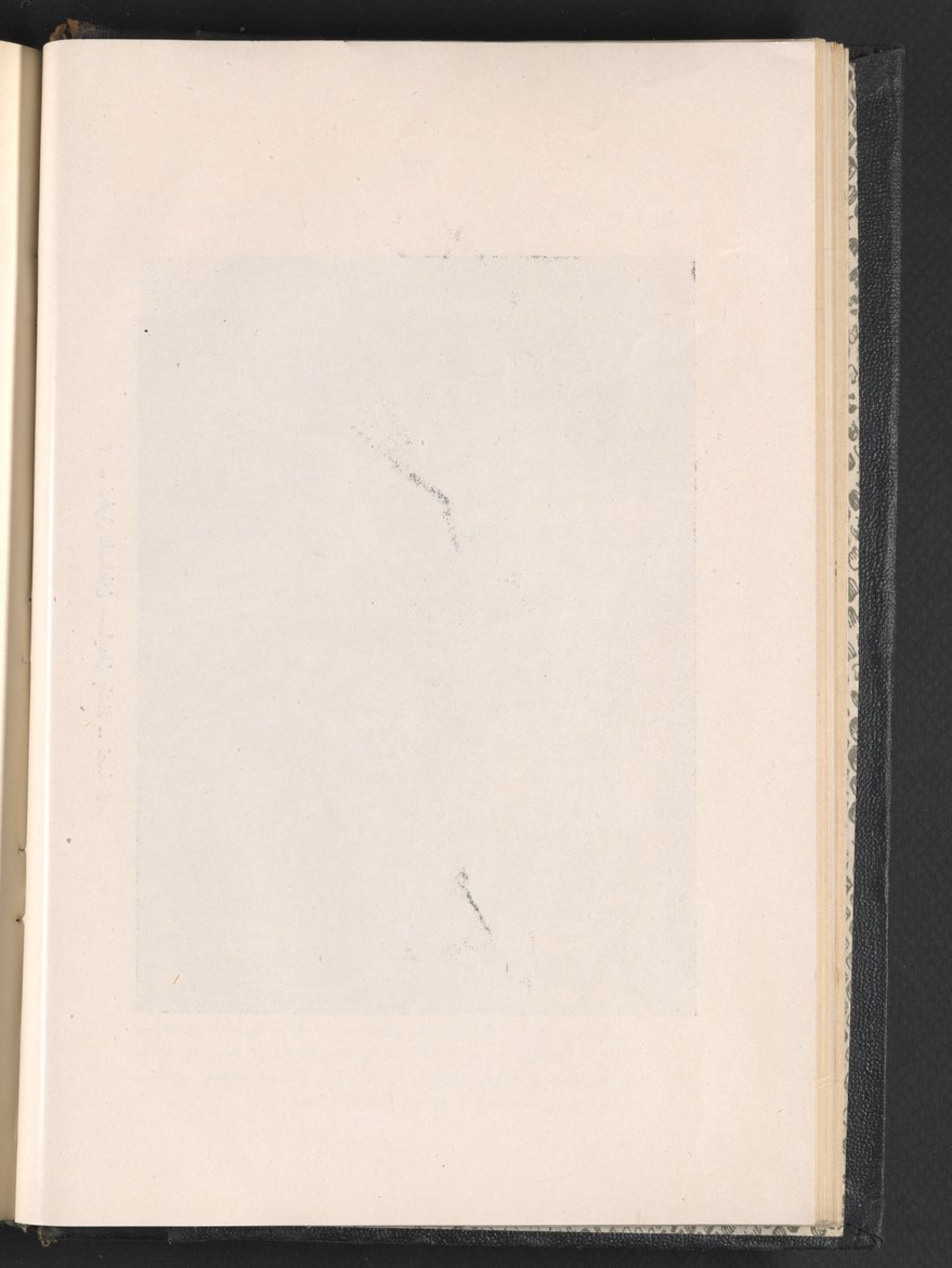
جاء في سليمانامه : « رأى السلطان أن قد وهى مزار الشيخ عبدالقادر ،

(١) قال الخطيب في تاريخ بغداد : « حضر أبو أيوب العقبة ونزل عليه رسول الله (ص) حين قدم المدينة في الهجرة . وشهد بدرا والمشاهد كلها . وكان سكنه بالمدينة وحضر مع علي بن أبي طالب حرب الخوارج بالنهروان وورد المدائن في صحبته وعاش بعد ذلك زمانا طويلا حتى مات ببلد الروم غازيا في خلافة معاوية بن ابي سفيان وقبره في أصل سور القسطنطينية ... توفي سنة ٥٥ هـ ... » اهـ . وقد مر ذكر جلال زاده مصطفى النشانجي في ص ٢٤ الهامش . وعالي أفندي مؤرخ معروف . له كنه الاخبار وكتاب هنر وهنروران .

(٢) تاريخ البجوي ج١ ص ١٨٤ و١٨٥ وما بعدهما وهناك تفصيل ما جرى من التحري على قبر الامام الاعظم وتعميره . والكتاب في مجلدين يتضمن حوادث الدولة العثمانية من سنة ٩٢٧ هـ الى سنة ١٠٤٩ هـ . من تأليف ابراهيم البجوي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ وذيل عليه مصطفى بن أحمد البلغرادي من سنة ١٠٤٥ هـ الى سنة ١٠٦١ هـ .



٢ – دخول السلطان سليمان بغداد – قصة الامم



وعاد أنقاضا بالية ، فأمر أن ترفع له قبة عالية ، وان تتخذ دار ضيافة للفقراء والارامل ، وأهل البلد ومن حولهم فقاموا بالامر .. » اهـ[١] .

ولا شك أن الجامع موجود من أيام السلطان سليمان القانونى ، تشهد بذلك منارته القديمة البيضاء . وكذا خيراته . الا أن التعمير العظيم ورفع سمك القبة للمصلى كان أيام سنان باشا المعروف بجغاله زاده .

وجاء فى أوليا چلبى أن السلطان سليمان حينما فتح بغداد بنى قلعة لمرقد الامام الاعظم وجامعا ودار ضيافة كما أنه عمر قبة عالية للشيخ عبدالقادر الجيلى وجامعا وتكية وعمارة وجدد خيرات أخرى ، عين لها أوقافا ...[٢]

وجاء فى تاريخ الغرابى : « فى سنة ٥٦١ هـ توفى الشيخ الجيلى قدس سره فى بغداد وهو من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب (رض) . وأمه أم الخيرات أمة الجبار فاطمة بنت أبى عبدالله الصومعى ... (الى أن قال) ولما مات دفن بمدرسته فى بلدة بغداد ، وبنى على قبره ميل . ولما جاء السلطان سليمان الى بغداد هدم الميل وبنى عليه قبة شاهقة . وبعد أسس سنان پاشا بجوار القبة جامعا ولم يتفق له اكماله وانما بنى منه مقدار ثلثه وبعد مضى سنوات كمله والى بغداد على باشا ابن الوند فى العقد التاسع من المائة العاشرة، ثم ألحق رواقان أحدهما من جانب الغرب بحذاء الجامع والآخر من جانب الشرق محاذ لقبة ضريحه قدس سره ، وبعد فى سنة ١٠٨٤ هـ الحقت ظلة قدام الجامع والقبة والرواقين . وفى مقابلة هؤلاء حجر متعددة يسكنها الفقراء من أهل التقوى والصلاح وحضرته معمورة بتلاوة القرآن ، والاذكار ، ومذاكرة العلم بحيث لا تخلو من ذلك ليلا ونهارا . والحمد لله الذى جعلنا وآباءنا واجدادنا من خدام حضرته الشريفة ... » اهـ[٣] .

وهذه القبة غير قبة الجامع ، لا تزال قائمة بديعة البناء والصنع شاهدة بمعرفة بانيها ، مشيرة الى قدرته الصناعية . ولعل هذا العمل كان تجاه اعمال

---

(١) سليماننامه ص ١١٩ .
(٢) ج١ مخطوط عندى .
(٣) تاريخ الغرابى ورقة ١٢٩ .

الصفوى وصرفه المبالغ فى سبيل مراقد الائمة . وكان الاولى بالاثنين أن يرفهوا على الاهلين وينقذوهم مما هم فيه من بلاء الحروب وانتهاك الحرمات ولكن المظاهر آنئذ هى المطلوبة المرغوب فيها لجذب العوام واستهوائهم لجانبهم . ولا تزال قبة الضريح رفيعة البنيان ، عظيمة الاثر ولعلها نفس القبـة التى هى من آثار السلطان المشهودة لكنها دخلها الاصلاح بتغطيتها بالكاشى ... والغرض من هذه العمارة بيان احترام السلطان لصاحب المرقد واجلاله . وأكثر جهود السلاطين مبذولة لهذه الناحية ...

والتفصيل فى كتاب (المعاهد الخيرية) . وجـاء فى تاريخ رمضان زاده محمد النشانجى أن من حسنات السلطان سليمان أنه عمر مشهد الشيخ عبدالقادر الگيلانى وجامعه . ولم يتوسع وانما راعى الايجاز فى كل مباحثه .

٤ ـ تعمير الجامع والحضرة الكاظمية :

ثم ان السلطان زار مرقدى الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد ورتب لخدام الحضرات وظائف من خزانة بغداد . وكان الشاه اسماعيل بدأ بعمارة الحضرة والجامع فلم يتمهما فأصدر السلطان فرمانه بتكميلهما .

قال ذلك صاحب كلشن خلفا[١] . وجاء فى مساجد بغـداد للاستاذ محمود شكرى الآلوسى أن الشاه اسماعيل كتب على جدران المسجد :

« بسم‌الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه العمارة الشريفة سـلطان سلاطين العالم ظل الله على جميع بنى آدم ، ناصر دين جده الاحمدى ، رافع أعلام الطريق المحمدى ، أبو المظفر الشاه اسماعيل ابن الشـاه حيدر ابن جنيد الصفوى الموسوى . خلدالله تعالى ألوية الدين المبين بملكه وسـلطانه ، وأيده لهدم قواعد اهل الضلالة بحجته وبرهانه . وحرر ذلك فى سـادس شهر ربيع الثانى سنة ٩٢٦ الهلالية » .[٢]

---

(١) كلشن خلفا ص ٦٢ـ١ .

(٢) تاريخ مساجد بغداد ص ١١٧ .

وفي هذا وفي كلشن خلفا ، ما يؤيد أن الجامع والحضرة قد بنيا ولم تتم عمارتهما ، فأتم السلطان سليمان ذلك بل لم يتم كل ما هنالك فان المنارة لم تكمل الا في سنة ٩٧٨ هـ ايام السلطان سليم الثاني . أوضحت ما جرى على هذه الحضرة والجامع من التعميرات لمختلف الازمان في كتاب (المعاهد الخيرية) وكان ناظم تاريخ بناء المنارة الشاعر فضلي بن فضولي البغدادي .

وجاء في كتاب (تاريخ كاظمين) الفارسي ذكر ما جرى من تعميرات تالية منها أن الشاه عباس الكبير أمر سنة ١٠٣٣ هـ بعمل ضريح من فولاذ لحفظ الصناديق من الخاتم كما أنه حدث غرق ببغداد والكاظمية سنة ١٠٤٢ هـ فتضضعت جدران الحضرة الكاظمية فأمر الشاه صفي بترميم ما أختل تعميره ، واودع القيام بذلك الى قزاق خان أمير الأمراء السابق في شيروان . وفي سنة ١٠٤٥ هـ أجريت بأمره أيضا بعض الاصلاحات والترميمات في سلم المنارة وبعض التعميرات في المواطن الاخرى المختلة .

وجاء فيه أيضا ان الجيش العثماني عندما اكتسح بغداد نهب ما في الحضرة من قناديل فضية ومرصعة وبعض المزينات . ولم يعين مصدرا[(١)] .

٥ ـ تسجيل المملكة العراقية :

وهذه كانت من أكبر أعمال السلطان . سجل الأملاك والمقاطعات . وهذه السجلات نالت اعتمادا ووثوقا بحيث صار يعمل بمضمونها بلا بينة . وكانت مرجعا دائما .

فقد جاء في المادة ١٧٣٧ من مجلة الاحكام العدلية ان قيود الدفاتر الخاقانية معمول بها لكونها أمينة من التزوير . ويقصد منها الدفاتر المدونة والمسجلة أيام هذا السلطان ، وجاء عنها في شرح المجلة للاستاذ علي حيدر انها ما كان خاصا بأيام السلطان سليمان القانوني من تحرير للاراضي والاملاك وأيام السلطان مراد الثالث . والمقصود منها في العراق ما كان أيام السلطان سليمان . ألف لجنة من أهل الفضل والاستقامة فحرروا القرى والمزارع والمراعي والاراضي

---

(١) تاريخ كاظمين ص ١٢٤ .

الاخرى بعناية تامة وتحقيق زائد خالية من شائبة التزوير ومجموع هـذه القيود تبلغ ٩٧٠ دفترا أو سجلا مخزونة فى مكان مقفل بأربعة أبواب الواحد تلو الآخر معمولات من حديد ، محكمة الصنع لا يتطرق اليها الخطر • واذا اريد تبديل حكم أرض أو ملك من هذه الاملاك وجب استحصال ارادة سنية وصدور فرمان فتفتح من أمين الدفتر الخاقانى بواسطةالموظف الموكل بالامر فيدون خلاصة الفرمان ويوقع فى أعلى القيد للاراضى المطلوب تجديد قيدها ، ثم يعاد الدفتر الى محله بعد الاشارة الى ما حـدث ، ويحافظ هـذا المخزن الموكل بأمر محافظته • ولا يزال أمر العناية بهذه السجلات مرعيا • فلم يطرأ عليها الخلل ، ولا دعا أن تداخلها شـائبة التزوير والتصنيع • يعمل بها بلا بينة • بين ذلك الشيخ علاءالدين شيخ الاسلام ، وهكذا كان افتاء شـيوخ الاسلام على هذا الوجه وجاءت فتوى ابن عابدين فى التنقيح وفى رد المحتار ، فعملت بذلك المجلة وهذه القيود سجلت فيها الاراضى الاميرية والمؤسسـات الخيرية ، ولا تشمل ملك الافراد من المزارع ولا الاملاك الخاصة ، أو ما هو مفيد بالاجارتين •

والقيود الخاقانية يراد بها هذه القيود دون معاملات الطـابو الاخرى وسنداتها • فهذه لم تكتسب تلك القوة بوجه •

أقر السلطان أمر السجلات فى بغداد وساقها نحو وجهة سـالمة • رأى لزوم ادارتها بمنهاج موحد • وطراز ادارة ثابتة • والتشكيلات الادارية القديمة للمملكة العثمانية ترتكز على النحو الذى اختطه بعض التعـديل • ودوائر الطابو تبعت هذه الطريقة فى التسجيل لسائر الاملاك والعقارات •

٦ ــ نهر الحسينية فى كربلاء :

هذا النهر من أعظم أعمال السلطان • كان يسمى باسمه (النهر السليمانى) والآن يسمى (بالحسينية) • أجراه الى كربلا فأحياها • ولم يوفق السلاطين السابقون أيام غازان وغيره ومنهم الشاه اسماعيل ، والشاه طهماسب • واعتقد أن السلطان كان يملك أكابر المهندسين ، فتمكن من العمل • وتم المشروع

على يده . ويقال ان هندسته كانت فائقة تدل على خبرة ومقدرة ممن أحضرهم من المهندسين ولا شك أنه كان أقرب لاستخدام أعاظم المهندسين وهو من أعظم الملوك وليس لدينا ما يوضح الاعمال الهندسية ووصف خطورة المشروع والخطط التى قام بها رجاله ولا علمنا عن هؤلاء المهندسين . والاعمال تنسب الى السلطان وحده والنهر بوضعه شاهد العظمة . والآن كربلاء قائمة بدوامه والعمارة المشهودة فى كربلاء والحياة الزراعية ، والبساتين فيها قامت بسبب من هذا الاثر ، فتجددت حياة اللواء ، وصار يعد من اعظم المشاريع الاصلاحية بل كان حقيقة مشروعا جليلا فى حياة البلد وما جاوره من بقاع تصل مياهه اليها . ثم بعد مشروعه هذا بمدة طويلة قامت (سدة الهندية) واكتسبت شكلا أعظم ونتائج مهمة خصوصا بعد اتخاذ الابواب واستخدام لوازم العمارة والارواء الحديثة . فعليه الآن عمارة اللواء وقوام حياته . وعلى ما حققه بعض المؤرخين أن المهندسين كانوا يرون أن كربلاء فى محل عال ونهر الفرات منخفض عنها فيستحيل ايصال الماء اليها فكان ايصال الماء اليها يحتاج الى خبرة هندسية كاملة فتمت فى عهد هذا السلطان . وعد صاحب گلشن خلفا ذلك كرامة من كراماته وبركة من بركات توفيقه واقباله . وأظن أنه يقصد بذلك التفاته لهذا المشروع واهتمامه فى انجازه ...(١)

٧ ـ أيالات العراق وألويتـه :

ومن الاصلاح الذى أجراه السلطان تقسيم العراق الى ايالات وألوية متعددة . وبهذا قضى على الادارات القديمة ، فاعتبر العراق خمس ايالات :

١ ـ ايالة بغداد .

٢ ـ ايالة البصرة .

٣ ـ ايالة الموصل .

٤ ـ ايالة شهرزور .

٥ ـ ايالة الاحساء .

---

(١) گلشن خلفا ص ٦٢ ـ ١ .

ومنهم من لم يعد الاحساء من الايالات لضعف العلاقة . ولكل ايالة ألوية . جعل السلطان الادارة فى هذه الايالات مقتبسة من ادارة العاصمة وتشكيلاتها . ويأتى الكلام فى التشكيلات الادارية فى آخر الكتاب .

٨ ـ صلب اسكندر جلبى الدفترى :

فى ٨ رمضان ٩٤١ هـ أمر السلطان بصلب اسكندر جلبى فصلب بايعاز من الوزير الصدر الاعظم ابراهيم باشا(١) . وذلك ان هذا الوزير كان يخشى من هذا الدفترى ويعده رقيبا له . صار ينتظر الفرص للوقيعة بـه . يوغر صدر السلطان عليه . كان الدفترى صاحب مال كثير لا يكاد يوجد عند احد وله أعوان ومماليك يعدون بالآلاف . وله مقدرة فائقة فلا يحذر الوزير من سواه ، فرتب عليه بعض الوسائل للوقيعة به . منها انه أبدى وجود سراق للخزانة ، وتكون شغب كان هيأه ولكن هذا عرف أمره الا أنه خفى أمره على السلطان .

وكان ايضا رأى الوزير الاعظم من اسكندر جلبى أنه نهاه أن يلقب نفسه (سردار سلطان) ومعناه قائد السلطان ويقرأ بكسر الراء الثانية على الاضافة الفارسية الا انه لو سهل فلم تكسر راؤه لكان معناه السلطان صاحب القيادة العامة ... فلم يلتفت لذلك وعده رقابة له .

ومهما كان الامر أوغر الوزير قلب السلطان على اسكندر جلبى فعزله قرب همذان ثم زاد فى تخويفه من بقائه فصلبه فى بغداد فى (٨ رمضان سنة ٩٤١ هـ)وهذا أوجب استياء عاما ونفرة من الكل وعرف أن ذلك بتدبير من الوزير الاعظم . وكذا حذر السلطان من صهره حسين جلبى وسول له قتله فضرب عنقه .

وهذا الحادث ـ وان كان أدى الى الاستيلاء على ثروة هذا الدفترى وعلى مماليكه الذين يبلغون السبعة آلاف ـ قد أثر فى نفس السلطان كثيرا وندم على فعلته بمتابعة هذا الوزير حتى أن المؤرخين يقصون أنه رأى رؤيا مزعجة جدا فيها يلومه المقتول لارتكابه الوقيعة به ، بحيث انه شوهدت

(١) نخبة التواريخ ص ٦٩ .

صيحات عظمى صدرت منه وهو نائم فانتبه مذعورا . وهذه تعين درجة ما حصل له وفى الصباح زار مراقد الائمة ـ ويقال ان هذه الزيارة تسكينا لما استولى عليه من الاضطراب فازعجه[١] .

وفى عودته كان يكتم عن الوزير الاعظم ابراهيم باشا الوقيعة به والانتقام منه . وكان ابراهيم باشا استحوذ على السلطان وملك سمعه وبصره ولكنه رأى منه بعض افعال استاء منها فرآه اكتسب طورا مهما . استبد بالامور وأبدى المقدرة الكاملة سواء مع السفراء أو الوفود أو غيرهم . وكذا ارتاب من اللقب الذى لقب نفسه به (سردار سلطان) .

ولما كانت السلطنة لا تقبل الشركة فى النفوذ والتسلط وجب أن يقف عند حد فلم يحتمل السلطان أوضاعه هذه فقتله فى **٢١** رمضان سنة **٩٤٢** هـ أى بعد مضى نحو سنة بسيف الغدر الذى قتل به اسكندر وصهره .

ثم تولى الوزارة سبعة من مماليك اسكندر چلبى ، أكبرهم الصوقوللى وكان ابراهيم باشا تقدم عند السلطان بجماله وموسيقاه وبدت حينئذ مواهبه فنال أعز مكانة عرفت فى أعز أيام هذه السلطنة وهو رومى ما زال يتقدم ويترقى حتى وصل الى هذه المنزلة ولكنه استولى عليه الغرور ، ولم ينكر فى أصل مكانه الاول ، وما ناله بعد أن كان من المماليك فوصل الى هذا الموقع الممتاز .

لذا كان سقوطه هائلا ، كأن لم يغن بالامس[٢] ... كذا قالوا . وأشاروا انه اول من خرقت به عادة نصب الوزراء من غير أهل المكانة من الاعيان والوجوه .

والملحوظ هنا أن أعوان اسكندر چلبى استفادوا من انفصال السلطان عن الوزير فتمكنوا من اغرائه عليه للوقيعة به ، نظرا لتكاتفهم وكانوا عصبة حتى نالوا الوزارات بعده . جاؤوا من الطريق التى توصل بها الى الحكم .

---

(١) تاريخ صولاق زاده ص ٤٩٠ .
(٢) كذا . ص ٤٨٩ .

٩ ـ الجامع السليماني ـ جامع السراى :

ويسمى (جامع جديد حسن پاشا) . وسميت المحلة أخيرا باسم جديد حسن پاشا . ولم نقف على اسم الجامع القديم قبل تعمير السلطان له . وجوامع كثيرة طرأ عليها الاندثار ثم جرى تعميرها ، فلم تحافظ على اسمها القديم . وهذا الجامع عمره السلطان سليمان القانونى حين ورد بغداد . وان أوليا چلبى كان جاء الى بغداد سنة ١٠٦٧ هـ وقد بين جوامع بغداد ، وذكر من جملتها (الجامع السليمانى) . قال: وفيه منارة . ويقع أمام باب السراى (دار الحكومة[١]) .

وذكر هذا الجامع (مرتضى آل نظمى) فى كتابه (جامع الانوار) عند كلامه على الامام الناصر موضحا أن هذا الامام تربته متصلة بهذا الجامع وانه لا يزال يزار[٢] . ولعل الخليفة الناصر اتخذت له تربة هناك ولكننا تعوزنا النصوص فى بيان محل دفنه . فمن الضرورى الاتصال بوثائق اخرى لنعلم قيمة ما ذكره أوليا چلبى ومرتضى آل نظمى .

ثم ان هذا الجامع عمره حسن پاشا (فاتح همذان) ، فعرف باسمه فقيل (جامع جديد حسن باشا) للتفريق بينه وبين حسن باشا الوالى الذى هو أقدم منه والمسمى بجامع الوزير وفى (تاريخ المعاهد الخيرية) تفصيل ما جرى عليه من تعميرات .

١٠ ـ السلطان فى طريق عودته ـ قتله أمير صوران :

كان السلطان سليمان نظم ادارة بغداد ثم غادرها فى ٢٨ من شهر رمضان سنة ٩٤١ هـ . سار فى طريقه نحو اربل فوصل الى محل يدعى (كوك‌تپه) . وهناك سمع بأن أمير صوران (سوران) عزالدين شير وردت اليه رسالة من

---

(١) رحلة أوليا جلبى ج٤ ص ٤١٩ .

(٢) جامع الانوار . نقله السيد عيسى صفاءالدين البندنيجى الى العربية . ولم يطبع . عندى مخطوطة من الاصل . ونسخة قديمة .

الشاه • ذلك ما دعا أن يشتبه السلطان منه فأمر بضرب عنقه فى الديوان العالى [١] •

امارة صوران

من آخر امارات صوران لما بعد المغول • وهذه الامارة تكلمت عليها فى (عشائر العراق الكردية)[٢] • وأفردت لواء اربل بكتاب خاص توسعت فى اماراتها ، وذكرت ما جاء فى مسالك الابصار من أنهم من بلاد السهرية • أهلها مشهورون باللصوصية من بلاد شقلاباد (شقلاوة) والدربند الكبير ، لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصية ودربندهم بين جبلين شاهقين يشقهما الزاب الكبير • أميرهم حسام الدين • وجل ما يقال هنا ان عزالدين شير من أُسرة الصهرانيين (السورانيين) ولا تعرف علاقته بحسام الدين وأول من علمنا منهم (كلوس) كما لقبه أهل تلك الانحاء • ويراد به (الاثرم) ساقط الاسنان الامامية من فمه • وكان فى الاصل من قرية هوديان • ويقال لها (يهوديان) أيضا • كان راعيا فى تلك القرية • ولما توفى أعقب من الاولاد عيسى وابراهيم وشيخ أويس • وكان عيسى منهم شجاعا • جمع اليه بعض الاشخاص ، فتمكن أن يجذب اليه الجماهير بالاحسان اليهم ، فدخلوا فى طاعته • ومن ثم عادى حاكم البلد آنئذ ، وعزم على مقاومته • وكان يطلق عليه وعلى جماعته بطريق الهزء والسخرية (الامارة)، فتوجه الى (بالكان) • وان أهل تلك الناحية أحبوه ، وقبلوا امارته •

ولم تمض مدة حتى تبعه خلق كثير ، فعزم على فتح قلعة (أوان) • قال فى الشرفنامة كان فى أطراف تلك القلعة صخور حمراء • يقال لها (سنك سرخ) بالفارسية ، فكان عيسى وأصحابه يجلسون على تلك الصخور ، وشرعوا يشنون الغارات ، ويقومون بالحروب ، فلقبوا بـ (سنك سرخى) أى أصحاب الصخور الحمراء • ومن جراء كثرة الاستعمال نحت اللفظ فسموا بـ (سهرانى) • فقالوا للسرخ (سهر) فشاع كذلك ، وتساهلوا فى التصرف باللفظة •

(١) مرآة الكائنات ص ١٢٥ • القسم السادس منه •

(٢) عشائر العراق الكردية ج٢ ص ١٥٥ •

ذكرت فى (عشائر العراق الكردية) ان هذا اللفظ أقدم مما ذكر فى الشرفنامة ، وان البلاد معروفة بهذا الاسم من زمن قديم • وتطلق على ما بين الزابين • وشاع (سوران) ، و(صوران) ، و(سهران) ، أو (صهران) • وجاء فى المسعودى (سحر) ، و(القوم السحرة) • وكذا فى الكتب العربية الاخرى • وفى مسالك الابصار سمى بلادهم بالبلاد (السهرية) •

تمكن الامير عيسى من الاستيلاء على (ولاية السهران) • وبعد وفاته خلفه ابنه (شاه على بك) • وهذا دام حكمه مدة • ثم توفى عن أولاد :

١ – عيسى •

٢ – مير بوداق •

٣ – مير حسين •

٤ – مير سيدى •

فقسم والدهم فى حياته ملكه بينهم • ومن هؤلاء عيسى بك طال حكمه • وحارب أمير بابان (مير بوداق) فقتله • ثم مات فخلفه ابنه (پير بوداق) • وهذا استولى على ناحية (سوماقلق) انتزعها من أيدى القزلباشية • ثم توفى عن أولاد :

١ – الامير سيف الدين •

٢ – الامير حسين •

فولى بعده (الامير سيف الدين) • ولم يطل أمد حكمه فمات وخلفه أخوه (الامير حسين) • وهذا توفى • فصار بعده ابنه الاكبر سيف الدين • وبعد وفاته خلفه عمه (مير سيدى بن شاه على بك) •

وهذا توسع حكمه الى اربل بل زاد نطاق حكمه الى أنحاء كركوك والموصل • ودامت بلاد سهران مستقلة تحت حكمه • وترك من الاولاد :

١ – أمير سيف الدين •

٢ مير عزالدين شير •

٣ – سليمان •

ومن هؤلاء مير عزالدين شير ولى الامارة بعد والده • وفى سنة ٩٤١ هـ أيام ورود السلطان سليمان الى (گوگ‌تپه) قرب اربل بدر منه ما أوجب الشبهة والنفرة ، اطلع على مراسلة بينه وبين الشاه طهماسب ، فأمر بقتله •

ومن ثم أمر السلطان بنصب (حسين بك الداسنى) أميرا حاكما على اربل • وهو من اليزيدية لكن هذا الحادث لم يفل من عزم الصورانيين ، وبقوا فى نزاع مع الداسنيين وان كانوا انحسروا الى الجبال ، وتقلص حكمهم ، فاعتزوا بالمواقع الجبلية المستعصية • حفظوا امارتهم • فخلف عزالدين شير أخوه سليمان بك • وهذا كان له من الاولاد :

١ – قلى بك •

٢ – أمير عيسى •

٣ – أمير سيف‌الدين •

والاخير من هؤلاء اعتز بلواء (سوماقلق) • ووقعت حروب دامية بينه وبين حسين بك الداسنى ، فلم يتمكن من مقاومة الداسنية ، فالتجأ الى أمير أردلان بيكه‌بك (الظاهر أولاده أو أحدهم) فلم يجد فيهم بغيته ، فعاد ، فمالت اليه الطوائف الصهرانية فتمكن من اكتساح اربل •

وفى هذه الاثناء جمع حسين بك الداسنى اليزيدية ، فوقعت حرب عظيمة كان من نتائجها ان دارت الدائرة على اليزيدية ، فتغلب عليهم الامير سيف‌الدين ، وقتل نحو خمسمائة من متميزيهم وأكابر رجالهم • وحصل على غنائم لا تحصى • وعادت الحروب مرات ، وفى كلها كان اليزيدية فى خذلان مريع •

دعا السلطان الى استانبول حسين بك الداسنى ، فأمر بقتله ولعل ذلك مبدأ السخط على اليزيدية ، والفتوى من أبى السعود بقتلهم هاج عليهم الكرد وغيرهم من جراء ما قاموا به من حروب مع المجاورين • وكان الامير سيف‌الدين بتسويل أو ترغيب من يوسف بك برادوست المشهور بـ (غازى قران) عزم على السفر الى استانبول طالبا العفو عما بدر ، وان يوليه السلطان (امارة سهران) الموروثة له من آبائه وأجداده الا أن السلطان لم يقبل معاذيره فقتله وعين مكانه السلطان حسين أمير العمادية الا أن امارة الصورانيين لم تنقطع وبقيت الى حين •

نقف بهذه الامارة الآن عند هذا الحد والملحوظ ان الصهرانيين يضرب المثل (بخناجرهم) ، فيقال (خنجر صورانى) لجودته كما يقال عندنا (خنجر حليب) فى رداءته •

نظرة واجمـــال

فى هذا التاريخ دخلت بغداد تحت سيطرة الدولة العثمانية ولم يسبق أن حكمتها وانما كانت بعيدة عنها كما أذعن بالطاعة سائر الامراء المجاورين من اللر، وامارة البصرة ، والقطيف والبحرين ، وأمير الحويزة مانع المشعشع(١) •

والممالك الشرقية آنئذ كانت منحلة الادارة • ومن الضرورى أن توحد ادارتها وتتبع أعظم قوة وهى القوة التى سحقت ايران وفلت من غربها ولم تكن الادارة تابعة للسلطة من كل وجه ، بل كانت عامة دون تدخل فى الشؤون الجزئية ، تابعة لمواهب الوالى وقدرته •

وأهم الدواعى الحقيقية لهذا الفتح أنه لم يبق منازع للحكومة التركية بعد خضد شوكة العجم فلا مانع لها من الاستيلاء على بغداد • والشهرة القديمة من أكبر الدواعى فى توليد الآمال • فالنفوس منصرفة الى حب الاستيلاء على بغداد والانحاء العراقية •••

وأما البواعث الظاهرية فهى ما مرت الاشارة اليه •

كان وطد السلطان الامن ونظم الادارة كما أراد ثم غادر بغداد فى ٢٨ رمضان سنة ٩٤١ هـ وعسكر فى (گوگ‌تپه) قرب آلتون كوپرى وتوجه من هناك نحو ايران لما سمع من ظهور الشاه واستيلائه على تبريز ومحاصرته مدينة وان • جاءته الاخبار بذلك ، فوافى متوجها نحو تبريز • وحينئذ فر من وجهه الشاه طهماسب ، وبهذا تمت حوادث بغداد ، فبقيت ادارتها بيد الولاة ، ووافق السلطان على طلب الصلح بعد الالحاح فعاد الى استانبول فدخلها فى ٤ رجب سنة ٩٤٢ هـ(٢) •

---

(١) انفرد بذكر اسمه صاحب كلشن خلفا ص ٦١ ـ ٢ وفى تاريخ العراق ج٣ ص ٣٤٦ وما بعدها لم نجد له أثرا ، فلم نتمكن من معرفة صلة له بمن سبقه •

(٢) تاريخ صولاق زاده ص ٤٩٠ وتاريخ بجوى ج١ ص ١٨١ •

الوالي سليمان باشا

وهذا أول وال على العراق أودعت اليه الدولة العثمانية منصب ايالة بغداد، نقل عن ولاية ديار بكر فنصب أمير أمراء[١] . وفي گلشن خلفا ان السلطان بعد عودته من زيارة المراقد المباركة في النجف وكربلاء نصبه واليا بلقب (بكلربكي). وجاء عنه في قاموس الاعلام انه في الاصل مجري ، فأسلم . وفي سفر ايران كان واليا في ديار بكر . جاء مع السلطان الى بغداد حين الفتح فنقل لولايتها . ولما فتحت أو فن[٢] نصب واليا عليها برتبة الوزارة ، وفي سنة ٩٥٢ هـ اعتزل المنصب المذكور ولم تمض مدة حتى توفي[٣] .

وجاء في السجل العثماني أنه نال منصب الشام ثم منصب حلب وغدر به هناك أتباعه فتوفي الا أنه جاء في تاريخ رمضان زاده نال الوزارة سنة ٩٤٣ هـ ، وجعل (واليا) على (بدون) وفي السجل وليها سنة ٩٤٢ هـ . وزاد في گلشن خلفا أنه كان قادرا على ادارة الملك[٤] .

ولم نتمكن من العثور على وقائع أخرى غير ما مر سوى ان الشاه كان قد حاصر (وان) فلما علم بمغادرة السلطان بغداد وانه متوجه نحوه فر منـــه . وكان خلال سفره هذا توالت رسل الشاه لطلب الصلح . وبعد اللتيا والتي قبل الصلح ومن ثم عاد السلطان الى عاصمة ملكه كما مر .

---

(١) صولاق زاده ص ٤٩٠

(٢) أو بودين وبدون كما جاء في التواريخ التركية واللفظ ألماني . وأصلها في المجرية بوده وتطلق على عاصمة المجر على القسم الواقع في غربي الدانوب (طونه) والآخر (بشته) ويقال للاثنين (بودا ـ بشته) .

(٣) قاموس الاعلام ج٤ ص ٢٦٢٠ .

(٤) كلشن خلفــا ص ٦١ .

حوادث سنة ٩٤٢ هـ - ١٥٣٦ م

عزل الوالى :

فى هذه السنة أو فى التى تليها عزل الوالى ولم يحدث تبدل فى الوضع ومن المؤسف أننا لم نتمكن من معرفة الوالى الذى جاء بعده فخلفه فى حكومته. وفى تاريخ الدولة العثمانية لم يبقوا على وال مدة طويلة لما كان من تجارب الماضى وعبره ، فلا يريدون أن تبقى الولاية اقطاعا له ، أو لا يرون أن يتمكن الوالى فيها مدة . ولا يعقل أن تكون بغداد خالية من وال للمدة من ٩٤٢ هـ الى سنة ٩٥١ هـ ولكن اخبار هؤلاء ضاعت عنا ، ولم تعد تعرف .

حوادث سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٩ م

لم تدون وقائع مهمة للعراق خلال السنين السابقة أو لم نتمكن من الوقوف عليها فنرى صاحب گلشن خلفا أول ما يبدأ بحوادث العراق أثناء حكم الولاة بالوقعة التالية :

حاكم البصرة ـ تسليمه المفاتيح

جاء فى نخبة التواريخ أنه فى ١٥ صفر سنة ٩٤٥ هـ كان قد خرج السلطان من استانبول متوجها نحو أدرنة فخيم فى صحرائها فى أواخر هذا الشهر ، وغرضه تأديب (ويودة) بغدان اى حاكمها المدعو (پترو) ، وكان يبدى للسلطان الطاعة ظاهرا ، ويضمر العداء ، وفى هذه الاثناء وصل اليه مانع بن راشد (حاكم البصرة) ابن مغامس ومعه وزيره الامير محمد ، كان أرسلهما حاكم البصرة راشد لتقديم واجب الطاعة والخضوع للسلطان . قدما الهدايا ومفاتيح البلاد اليه ، وراشد هذا كان أميرا مستقلا ، صاحب خطبة وسكة ونال هؤلاء الوفود التفاتا زائدا من السلطان وأبدى لهما لطفا كبيرا ... (١)

---

(١) نخبة التواريخ ص ٧١ وتاريخ صولاق زاده ص ٤٩٥ وكلشن خلفا ص ٦١ ـ ٦٢ .

ولم نقف على أحوال هذه الامارة ولا على نقودها بالرغم من التحريات في مواطن عديدة . والملحوظ انها من أمراء المنتفق وأغلب الظن انهم من الشرفاء . توصلوا الى الحكم بقوة العشائر وعدم المعارض مما رسخ قدمها وذاقت لذة الحكم . وفي گلشن خلفا ذكر هذه الوقعة توصلا لما حدث عام ٩٥٣ هـ . وعلاقة الشرفاء بالعراق معروفة ومر الكلام على الشريف أحمد في تاريخ الجلائرية(١) .

وجاء في كتاب الانساب للسيد ركن الدين الحسني النسابة عن الشريف أحمد . قال انه قدم الى البلاد الفراتية من مكة وحكم بالحلة من العراق سبع سنين الى أن ولي الامير الشيخ حسن (أبو السلطان أويس) وحاربه وقتله في شهر رمضان سنة ٧٤٢ هـ ودفن بالمشهد الشريف المرتضوي عند عمه الشريف عبدالله في الحضرة الشريفة .

والشريف عبدالله أمه أم ولد نوبية . انتقل من مكة الى العراق في زمان السلطان خدابنده وأقطعه . وعقبه بالعراق .

ثم ان النسابة المذكور ذكر الشريف أحمد بأنه كان شهما شجاعا كريما فاضلا وله من الاولاد أحمد وسليمان ومحمود . وأورد أن لمحمود ابنا اسمه محمد ...

وفي هذا النص توضيح زائد . وان ظهور أمراء المنتفق الشبيبيين ، وأمراء البصرة مما يجعلنا نرى تلك العلاقة بالشرفاء وانها لم تنقطع ، بل قوى اعتقادنا بما سبق لنا القول فيه . وللكلام على أمراء المنتفق محل آخر .

حوادث سنة ٩٥١ هـ - ١٥٤٥ م وما يليها

الوالي فرهاد باشا الصولاق

(ولايته الاولى)

وجهت اليه ايالة بغداد سنة ٩٥١ هـ وعزل منها في السنة التالية (سنة ٩٥٢ هـ) . كان تربى في البلاط الملكي . وفي عهد السلطان سليم الاول

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص ٣٥ ـ ٣٧ .

كان مرافقا له فى الحرب وتقلد مناصب منها (امارة اليمن)، فحلب، ثم وجهت اليه (امارة بغداد) . وهذا لم يتعرض له صاحب گلشن خلفا لهذه المدة، ثم وجهت اليه مناصب أخرى حتى صارت اليه ولاية بغداد للمرة الثانيـــة كما سيجيء . ولعل السبب فى أن صاحب گلشن لم يذكره هذه المرة لانه لم يجد ما يدونه لايامه هذه . وبقية أخباره فى ولايته الثانية ...(١)

والغرض من بيانه هنا مراعاة التسلسل لامراء بغـــداد . وقد غاب عنا الكثير منهم . والصولاق يعنى الحرس الملكى فى البلاط، ثم أطلق على حرس الوالى فى مثل بغداد ومصر من الممالك المستقلة، وكان بعض آبائه أو أجداده من هؤلاء فعرف بصولاق زادة أى من آل الصولاق .

هذا . ولم نجد ما يسد الفراغ بين سليمان باشا وفرهاد باشا الصولاق . ولعل خمول ذكرهم، وعدم ظهور وقائع مهمـــة مما سبب أن يغفل أمرهم . وكأن صاحب گلشن خلفا، يتطلع الى قائمة الولاة أمام عينيه فلا يذكر الا من كانت له مكانة، أو ظهرت فى أيامه حوادث تدعو لذكره . أو انه لم يجد من اسمائهم ما يتمكن من تدوينه .

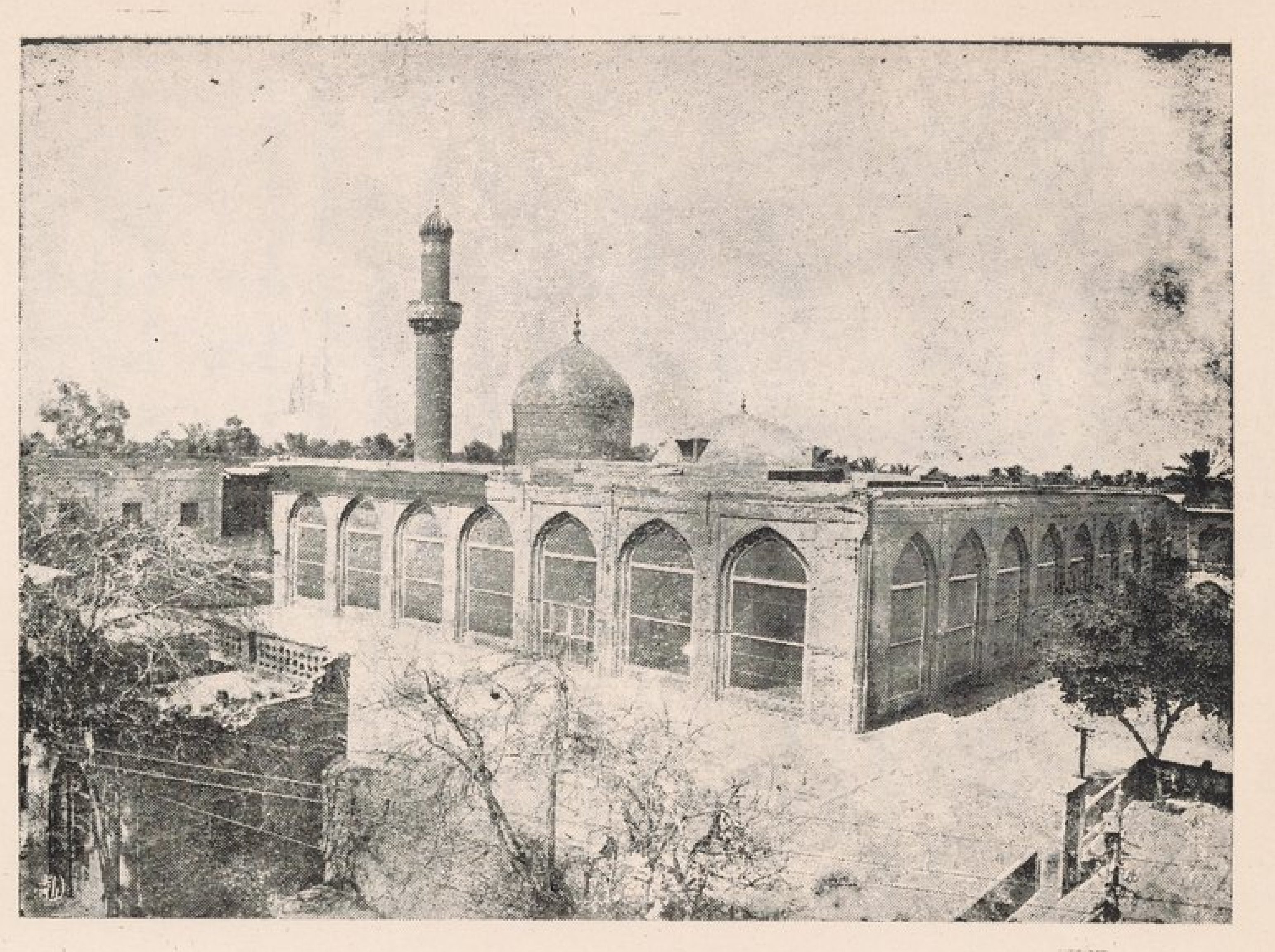
حوادث سنة ٩٥٢هـ - ١٥٤٦م

الوالى اياس باشـــا

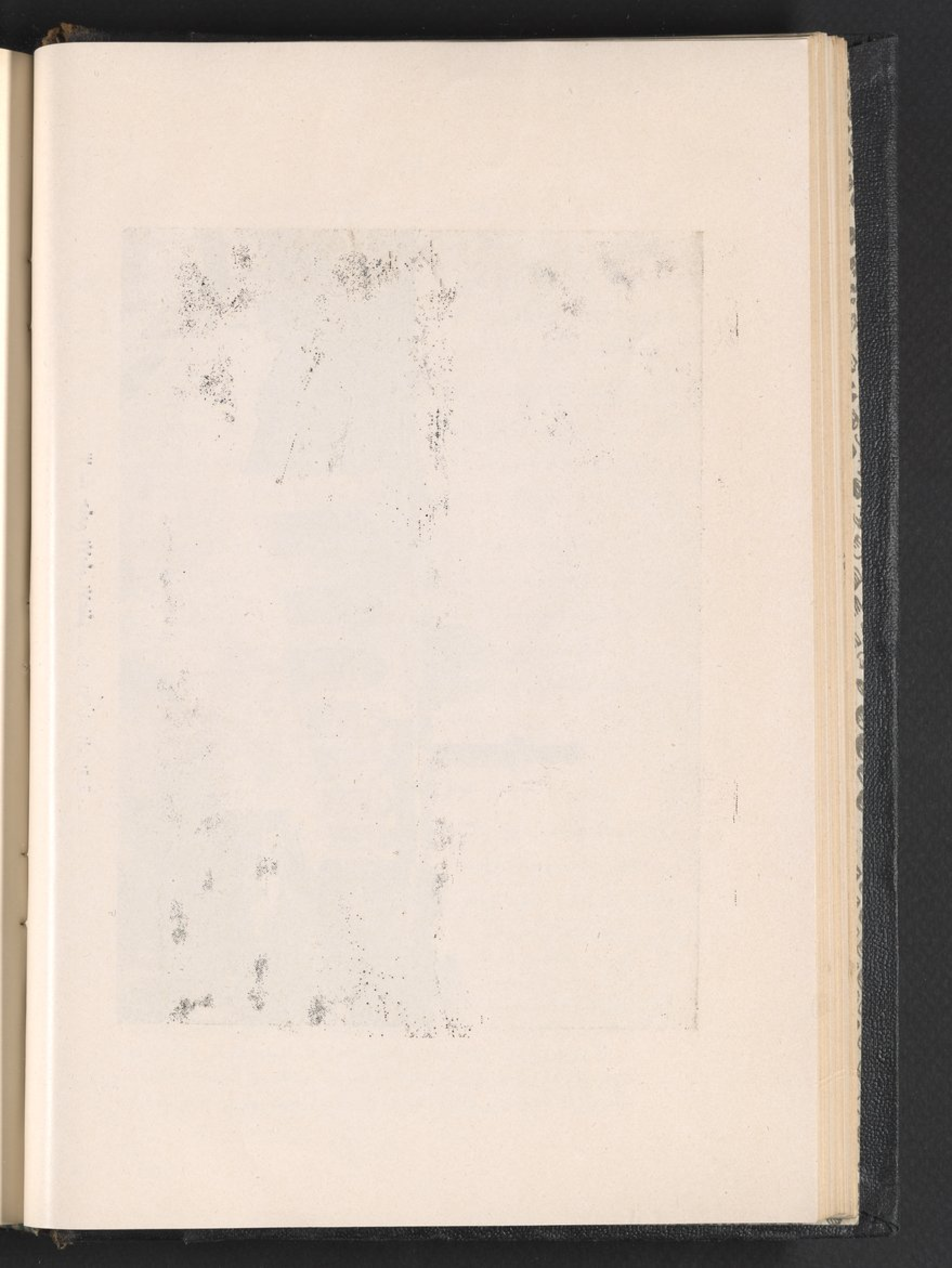
ضبطه صاحب قاموس الاعلام بمد أوله (آياس) والعرب ينطقون به بلا مد والنطق به معروف . وأصله ألبانى . (أرناود، أو أرنبود)(٢) تخرج فى البلاط ونال امارة الامراء (بكلربكى) . وكانت آدابه ومروآته فى الذروة من

(١) سجل عثمانى ص ١٦ ج٣ .

(٢) أصـل اللفظـة (آربانيـا) أو (آربريا) فالبعض ينطق بالأول وآخرون بالثانى . والأوربيون يقولون (آلبانيا) وهـكذا جاءتنـا عن مترجماتهم الجغرافية والسياسية وفى التركية وردت محرفة من طريق الروم الذين يتكلمون بها (آربانيا)، أو (آروانيا) للمملكة و(اروانت) للأهلين فلفظها الترك (ارناويت) أو (ارناود) وبعضهم أبدى أن أصلها فارسى (عارنبود) أى لم يكن عارا أو عربى (عار علينا أن نعود)، وذلك من السخافة بمكانة . (قاموس الأعلام) وفى دائرة المعارف الاسلامية بحث مهم فى هذه المادة .



٣ ـ **جامع الامام الاعظم** ـ دار الآثار العراقية



الكمال • وهو أخو سنان باشا فاتح اليمن ، الصدر الاعظم المشهور • ولى بغداد سنة ٩٥٢ هـ بعد أن عزل صولاق فرهاد باشـا ، ثم نال الوزارة فى واقعة البصرة ويأتى ذكرها •

وفى سجل عثمانى أنه عهدت اليه بعد ذلك ولاية ديار بكر سنة ٩٥٦ هـ • ثم ولاية أرضروم (أرزن الروم) وتوفى سنة ٩٦٧ هـ • وفى قاموس الاعلام أنه أعدم فى أرضروم لتسهيله هرب الشهزادة بايزيد الى ايران عام ٩٦٦ هـ • وله من الاولاد محمود باشا ومصطفى باشا ومن مماليكه الشاعر (صافى چلبى) المتوفى سنة ٩٩٧ هـ •

حوادث سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م

البصرة تدخل فى حوزة العثمانيين

ان حاكم البصرة راشدا كان عام ٩٤٥ هـ أظهر الطاعة وانقاد للامر • أرسل ابنه الى السلطان الا أن مؤرخى الترك يقولون انه نقض العهـد فورد الامر السلطانى الى والى بغداد باعداد المعدات الحربية وما يقتضى من جيوش لحربه فوجه الوالى عزمه نحوه خلال سنة (٩٥٣ هـ) • وساق الكتائب عليـه بوجه السرعة • فالحكومة لم يرق لها أن تجاورها حكومة أو امـارة تمنع من الوصول الى خليج البصرة أو تحول بينها وبينه ليتصل بالبحر الاحمر • وكانت داخلتها آمال لتوسيع السلطة وتمكنها فى سواحل العرب والهند من طريق البحر فوجدت الضرورة أن تمضى فى طريقها وتتخذ الوسائل للسيطرة على السـواحل •

وفى سفر الوالى هذا مر بالنجف لزيارة (مشهد الامام على) (رض) • ولما كان (شيخ قشعم) سلك طريق العصيان قام بتأديبه وكسر طغيانه بل قضى الوزير على حياته وأزال فتنته •

ثم سار الى البصرة • ولما رأى حاكم البصرة أن لا قدرة له على المقاومة ركن الى الفرار فدخل الوالى المدينة وقضى على حكومة راشد وسعى فى تنظيمها

وضبط ادارتها . وبذلك انقـــادت الاطراف ودخل لواء واســـط ونواحى الجزائر فى حوزة الدولة وصار العراق بحذافيره للدولة العثمانية ، وحينئذ تقلص ظل هذه الامارة أو انقرضت . وكان حاكمها يتصرف بها على وجه الملكية . الا انها عادت بحالة خرجت عن أن تكون بشكل حكومة[1] .

جاء فى روضة الابرار فى حوادث سنة ٩٥١ هـ أن اياس باشا فتح البصرة فى تلك السنة . وهذا غير صحيح لما ورد فى النصوص السابقة . فالغلط فيه ظاهر[2] .

وجاء فى فضولى من قصيدة مدح بها اياس باشا ذكر جهـــة البصرة والاستيلاء على الجزائر هناك كما فى ديوانه التركى . مدح هذا الوالى بقصائد عديدة غير هذه تبلغ سبع قصائد . ولا شك انها عدد وافر من فضولى الشاعر البغـــدادى .

قبيــلة قشــعم

معروفة فى العراق برياستها القبائلية ، ولكن الايام جردتها من قبائلها فصارت مفردة عن غيرها لمحافظتها على بداوتهـــا . واول ما ورد ذكرها فى تاريخ العراق فى حوادث سنة ٩٥٣ هـ - ١٤٥٦ م . وأول ذكر لها جاء فى قصيدة للشاعر فضولى البغدادى مدح بها اياس باشا والى بغداد فى انتصاره على هذه القبيلة كما أن صاحب گلشن خلفا بين ان هذا الوالى وجد هـــذه القبيلة سلكت طريق العصيان فقام بتأديبها . وأعاد القول فيها فى حوادث سنة (١٠١٨ هـ - ١٠٢٠ هـ) .

ثم توالى ذكرها فى التاريخ لمجلداته الاخرى ، ولا تزال الى اليوم . والمعروف أن الرياسة القبائلية كانت لابن قشــعم الا أن القبـــائل التى تحت سلطته قد انعزلت منه واستقلت بتسميتها ، وعرفت باسمائها الحالية وضعفت قدرته فتكونت من بيته قبيلة تفرعت الى افخاذ . ولم تعرف قبيلة قديمة باســم (قشعم) قبل هذا .

(١) گلشن خلفاء ومرآة كائنات ص ١٢٧ وأوليا جلبى ج ٤ ص ٤١٤ .
(٢) روضة الأبرار ص ٥٥٥ .

والظاهر أن هذه القبيلة من الاجود وابن جشعم أحـد رجالها تولى رياستها . ولما سارت قبائلها الى الحالة الريفية انفصلت من الرياسة العشائرية ، ولم تبق على البداوة ، وسألت الشيخ محمدا فقال لى انا جشعم . وهى أصل . ولم يزد على ذلك . واختلف فى أصلها . فمنهم يقول ان قشعما هو ربيعة ابن نزار من القبائل العدنانية ، ومنهم من يقول انهم من بنى (ماء السماء) من القبائل القحطانية . والتدوينات جاءت للجهتين[١] . ذكره فى مطالع السعود وفى القاموس المحيط .

وكان الاستاذ يعقوب سركيس قد ذكر رئيسهم المعاصر عقابا فعدد أجداده . ورأيت الشيخ محمدا وهو أخو عقاب فذكر لى الشيخ محمد أن أخاه هو الرئيس وهو (عقاب بن صقر بن ثوينى بن عبدالعزيز بن حبيب بن صقر ابن حمود بن كنعان بن مهنا بن ناصر بن مهنا بن سعد بن المنذر بن قسام ابن ما (من) بن قشعم بن سعد بن غزى) ويدعون انهم نزحوا من نجد فى أيامه[٢] . وهذه الاسماء يصعب ضبطها . وبين ما ذكرته وماذكره الاستاذ يعقوب تفاوت يسير .

وهؤلاء فى تسلسلهم ورد ذكر بعضهم عند الكلام على وقائعهم . وتأتى فى حينها . وليس هنا محل بيان الوقائع التالية لما بعد هذا الجزء .

والملحوظ أن هذه ليست أكثر من امارة او رياسة قبائلية فتعد ناظمة القبائل البدوية ، وان المنتفق وامارتها استقلت بناحيتها ثم فاقت على الكل ، ودخلت هذه وغيرها ضمنها ، بل ان الخزاعل صار لهم الذكر بعد ذلك كما كان لقبيلة عبادة قبلا ، ولخفاجة ... وان قبائلهم مالت الى الارياف ، فانفصمت عرى القوة ، وتبعثرت الامارة . وهكذا شأن القبائل فى تحول مستمر وتطور لا حدود له ...

وفروع القشعم ، أخذتها عن الشيخ محمد (أخى رئيسهم) وهى :

---

(١) مطالع السعود والقاموس .

(٢) كتاب (مباحث عراقية) للاستاذ يعقوب سركيس ص ٩١ وما بعدها وص ١٣١ وفيه تفصيل .

١ ـ الشيوخ • كنعان واسرته
٢ ـ الناصر • رئيسهم سلطان بن ناصر
٣ ـ آل چنعان • (هو كنعان) الوارد فى عمود نسبهم • رئيسهم سرحان بن چنعان
٤ ـ آل بندر • رئيسهم حسن
٥ ـ اللهيب • رئيسهم شافى
٦ ـ آل شليهب • رئيسهم بريچى بن مطلك الرحال • ويلحق بهم :
١ ـ المخالى • رئيسهم شعلان آل صران •
٢ ـ الشسهبان •

ويساكنهم الجنابيون ، والمهناوية منسوبة لجدهم (مهنا) وفيها المسعود واليسار ، والبو براطم • وفى أنحاء الكوفة (گرمة الجشعم) معروفة • ووقائعهم فى العراق مدونة • وكانت لهم مكانة أذعنت لهم قبائل كثيرة بالطاعة ، وتولوا رياستها العامة • والآن فى حالة ضعف ، ولكنهم لا يزالون محافظين على عزة نفوسهم ، ولا يفترقون عن البدو فى اللهجة ، وقصيد البدو والحداء وسائر أدب البادية • وهم متصلون بالبدو من جهات عديدة • شاهدت الشيخ محمداً وكان عارفا بأحوال البادية • وأكثر ما يحفظ شعر (رميزان) ، وشعر (راكان) من شعراء البادية • ويجاورهم بنو مالك فى فروع كثيرة منها ، وخفاجة ، والاجود وقبائل أخرى •

هذا • ولا مجال للتوسع بأكثر من هذا • والتفصيل فى (كتاب عشائر العراق) •

الوزير فرهاد باشا الصولاق أيضا

ولى بغداد للمرة الثانية بعد اياس باشا • وهذا معروف بالصلاح والتقوى وليس له آمال طمع • كان كاملا ، عارفا ، مؤرخا[١] توفى فى بغداد ولم تتحقق تاريخ امارته ولا زمن وفاته • وله ابن هو محمد باشا الوزير[٢] •

---

(١) لم يعرف له تاريخ •
(٢) سجل عثمانى ج ٣ ص ١٦ و١٢٤ •

٥٣

الوزير محمد باشا الصولاق

هذا هو ابن الوزير فرهاد باشا الصولاق . قاله فى گلشن خلفا . وكان من أمراء الالوية ثم نال الامـارة فى ولايات عديدة ولم يبين صـاحب السجل العثمانى تاريخ ولايته على بغداد .

وقال عنه : استشهد فى ايران فى شعبان سنة ٩٩٢ هـ ونعته بأنه باسـل مقدام ، صادق مدبر (١) . ولعل هذا هو الذى مدحه فضولى بقصيدة ، ولكن الوصف غير منطبق .

حوادث سنة ٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م

القـــاص مــيرزا

هذا اخو الشاه طهماسب التجأ الى السلطـان سليمان القانونى سـنة ٩٥٣ هـ فنال كل احترام وتكريم . ومن ثم وجه السلطان عزمه نحو ايران فعبر الى جانب اسكدار فى ١٨ صفر سنة ٩٥٥ هـ وارسل القاص ميرزا نحو بلاد الشرق وبعد ايام سار السلطان . سمع الشاه بذلك فتوارى عن الانظار ، وكان استولى العجم على مدينة (وان) باعتبار انها (مفتاح ايران) فحاصرها السلطان ولما لم تر بدا من التسليم سلمت جيوشها الى السلطان . وكان أمله أن يضبط تبريز ويجعل القاص ميرزا واليا عليها ، ولكنه خاب ظنه فيـه لما علم عنه من بعض الاوضاع ، وبعد ذلك مال السلطان عن تبريز نحو حلب بأمل أن يقضى الشتاء فى أنحاء ديار بكر ، وفى هذه الاثناء حدثت بعض الوقائع مع الايرانيين .

وان السلطان عند عودته الى ديار بكر أرسل لمحافظة بغداد الوزير الثانى الحاج محمد باشا وسير معه مقدارا من الجيش . ورجع الى العاصمة .

وفى هذه الايام اغتنم القاص ميرزا الفرصة فهاجم اثقال الشاه وخزانته فى جهات اصفهان وقم وقاشان فغنم غنائم وافرة بعد أن كان استأذن السلطان وكان مغبرا منه ، فلم يشأ أن يشاهده فأذن له . وكانت هذه الغنائم لا توصف فى نفاستها ولا تعد فى كثرتها .

---

(١) سجل عثمانى ج ٣ ص ١٢٤ .

وحينئذ شتى السلطان في ديار بكر • ثم مضى الى حلب • وجاءته الهدايا المرسلة مع عزيز الله ، فخلع عليه السلطان وأرسل بالخلعة الفاخرة والسيف المرصع والاوطاغ ثم ان القاص ميرزا شوش أمر ايران ومال الى أنحاء شهرزور الى محل يقال له (كسك چنار) • وكان قد أصابته حمى هناك ، فعلم به رجال الشاه طهماسب • فهاجموه على غرة فأخذوه أسيرا ، فحبسه الشاه في المحل المعروف بـ (قهقهه) • ثم مات ومنهم من قال سم في سجنه • قال ذلك في تاريخ صولاق زادة • وجاء في گلشن خلفا انه ذهب الى بغداد فقضى بضعة أيام حتى انه مال عن السلطان وحاول التقرب من الشاه فكان ذلك وسيلة القبض عليه • فساء مصيره[1] •

الوزير الحاج محمد باشا

الحاج محمد باشا الوزير ولي بغداد في أيام القاص ميرزا وهو الوزير الثاني للدولة كما ذكر في تاريخ صولاق زادة • ولم يتعين لنا بالضبط تاريخ ولايته ولا معرفة أعماله • ولعله ممدوح فضولي في قصيدة له • ولم يظهر لنا التفصيل عن حياته •

والي بغداد تمرد على باشا

ان صاحب گلشن خلفا ذكر أنه كان واليا على بغداد ثم خلفه محمد باشا البالطهچي سنة ٩٥٦ هـ • وفي هذا ما يشير الى أنه كان واليا لما قبل هذا التاريخ • أما صاحب (سجل عثماني) فيذكر عنه أنه « نشأ في البلاط الداخلي وصار أمير العلم واغا الينكچريه وبتاريخ ٩٤٨ هـ عزل فصار من الامراء • وفي عام ٩٥٦ هـ صار أمير أمراء بغداد • تحارب في البصرة وبعد انتصاره عاد الى بغداد وفي سنة ٩٥٩ هـ عزل • ثم تقلب في مناصب عديدة آخرها ولاية الشام وتوفي فيها سنة ٩٧٨ هـ • وهو صاحب دين وخير ، ولم يكن من أهل الاطماع • » اهـ[2] •

نعته صاحب السجل بأنه غرو على باشا • وهذا غلط نسخ أو طبع • والذي عليه الجمهور أنه (تمرد على باشا) •

(١) تاريخ صولاق زاده ص ٥١٢ وگلشن خلفا ص ٦٣ ـ ١ •
(٢) سجل عثماني ص ٥٠٠ •

وصفه عهدى البغدادى بما نصه :

« كان من پاشوات الاناضول ، ممن ملىء علما ، وبرع فى الفروسية ، نبغ فى الآداب الفارسية فلا نظير له فيها . ومعروف فى ابداع التواريخ ، وله فى شروط الفقه نظر تام ، وكان من أهل التجرد (الصوفية والنساك) فهو ممتاز بل فريد بين أقرانه ، وفى حد ذاته زاهد ، ذو اعتقاد طاهر ، يراعى الاوقات الخمسة ، ويقضى أزمانه بالتقوى والصوم والصلاة ويعدها حتما عليه . ذهب للحج وأدى فريضته وله شعر فارسى ...» اه .

وأورد له صاحب التذكرة جملة صالحة من الشعر وذكر عهدى أنه قضى مدة معه لتكمل الفضائل منه ليلا نهارا . وكان الاولى أن يسمى (تجرد على باشا) لما فيه من صفة التجرد أى على باشا المتجرد . والشيوع لا يقاوم ولا يصد تياره .

ومهما يكن من الامر فقد كان واليا على بغداد ولم يظهر له عمل يذكر . ثم خلفه محمد باشا البالطهجى . ولم نجد من الوثائق ما يجلو عن حالته أكثر . وهو بالنظر لتوالى النصوص جاءت ولايته تالية للحاج محمد باشا الوزير الثانى السابق الذكر .

حوادث سنة ٩٥٦هـ - ١٥٤٩م

والى بغداد محمد باشا البالطهجى

فى هذه السنة ولى بغداد أمير أمراء سيواس سابقا بعد عزل تمرد على باشا . وهذا من (بوسنة) تربى فى البلاط الداخلى ثم حصل على امارة انطاكية وبعدها صار مير لواء سلسترة ، ثم اشقودرة وآخرها سيواس . وفى سنة ٩٥٦ هـ حصل على ولاية بغداد للمرة الاولى . وانما لقب بهذا اللقب لانه كان خشن الكلام ...(١)

---

(١) سجل عثمانى ص ١١٥ وكلشن خلفا ص ٦٣ ـ ١ .

٥٦

واقعة جزائر البصرة

قالوا : وفى هذه السنة حدث اضطراب فى ايالة البصرة وصار الاعراب يقطعون السبل ويتعرضون بالمارة ويؤذون الخلق • فلما علم السلطان بخبرهم عين (محافظ بغداد) الوزير تمرد على باشا قائدا للقضاء على غائلتهم وتأديب ثائريهم وعين لولاية بغداد أمير أمراء سيواس محمد باشا البالطهچى فاهتم كل بما عهد اليه وجهز الوالى مقدارا من الينكچرية ، وان القائد تمرد على باشا اشتغل باعداد العدد وتجهيز الجيوش وسار برا ونهرا حتى وصل بلدة واسط فضرب خيامه هناك • فاستقبله أمير لوائهـا على بك بكمال الاجلال والاحترام فبادرا معا وذهبا الى جهـة البصرة • وتقدما نهرا فوصلا بلدة (المدينـة)[1] • مستقر (آل عليـان) حكام الجزائر فأحدثا الرعب فى تلك الاطراف •

أما الاعراب فانهم تأهبوا للمقارعة ، فحدثت معركة دامية ظهر فيها النصر لجهة الوزير وتبعثر أمر العشائر وتشتت شـملهم • وفى تلك الليلة قصد العربان العودة والهجوم ليلا على الجيش بأمل القضاء عليه ولكنهم لم ينالوا غرضهم ولم يتيسر لهم ما أملوا ، فكان أضر بهم ذلك ، ودمروا •

وفى اليوم التالى بادروا صباحا للدخول فى معركة أخرى فكان الهول أكبر وقتلت نفوس كثيرة بصورة مرعبة • وفى هذه المرة نالهم ما نالهم فى الاولى ، فهرب أمير المدينة ولم يطق البقاء • هذا ما قالوه وليس هناك قطع سبل وانما هو جدال عن حياة ودفاع عن استقلال أرادت الدولة القضاء عليه•

حوادث سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م

بقية الحوادث السابقة :

بعد هذه المعارك وفى خلال سنة (٩٥٧ هـ) دخلت (المدينة) فى حوزة القائد الوزير ولكن أطرافها لا تزال مأهولة بالعربان فلم يذعنوا بالطاعة • استمروا فى الكفاح ، فقام الوزير فى تعمير البلد والسور ومن ثم أضاعت

(١) بالتصغير لا تزال موجودة •

سائر النواحي من الجزائر • وحينئذ أتم الوزير مهمته وعاد الى بغداد بكمال الابهة •

وبهذا ولى وزارة بغداد الا أنه لم يطل أمد بقائه فيها فعزل علي ماسيوضح •

الوالي بهرام باشا

ولى بغداد سنة ٩٥٧ هـ بعد محمد باشا البالطهچي لكنه لم يبق في هذا المنصب كثيرا وكان من متخرجي البلاط الداخلي ومن صغره ظهرت مواهبه • ونعته صاحب گلشن خلفا بأنه لا يمنع نفسه عن هوى • يميل الى الارتشاء أو هو معروف عنه • ثم نال امارة روم ايلي وتوفي بعدها ...[1]

والي بغداد تمرد علي باشا

ولى للمرة الثانية سنة ٩٥٧ هـ بعد عودته من انحاء البصرة • وكان على خلاف ما عليه بهرام باشا في سلوكه • مرت ترجمته وتبينت مكانته العلمية والادبية ، وفيها ما يغني عن اعادة القول • بقي في الولاية الى سنة ٩٥٩ هـ ومن ثم حدث اضطراب في انحاء شهرزور فعرض الامر على حكومته فاهتمت له وأودعت حكومة بغداد الى محمد باشا البالطهچي •

حوادث سنة ٩٥٩ هـ - ١٥٥١ م

والي بغداد محمد باشا البالطهچي

ان وقعة شهرزور كانت الباعث لان يوجه منصب بغداد اليه • وكان واليا في بغداد قبل هذا فهو أبصر بادارة الحالة ، فأودعت اليه هذه المهمة •

حادث شهرزور

كانت شهرزور حين الفتح العثماني أذعنت بالطاعة للسلطان سليمان وان حاكمها الامير (بكة)[2] تقدم لخدمة السلطان وتأييدا لهذا الخضوع قدم ابنه (مأمون بك) رهينة ليكون في خدمة السلطان فسلمه الى والي بغداد

---

(١) كلشن خلفا وص ٣٢ من سجل عثماني •

(٢) بكر دخل لهجة الكرد فصار بكه وذكره صاحب الشرفنامة بلفظ (بيكه) • وفي الشرفنامة انه توفي سنة ٩٤٠ هـ • والصواب ما جاء هنا •

آنئذ سليمان باشا وهذا أودع اليه عدة امارات ألوية متوالية فكان لواء الحلة من آخرها . بقي فيه . فكانت شهرزور تعد من ممالك الدولة . وكانت مدينتها تدعى (قلعة زلم)(١) لمناعتها واحكامها ، من جراء انها جبلية ، صعبة الاجتياز ، يعسر الوصول اليها ، محاطة بالكرد من كل جانب . وفي سنة ٩٥٩ هـ ظهر في انحائها تشوش وتدخل القزلباشية . فاضطربت حالتها لما أصاب رعاياها من وقائع مؤلمة . ومن انتهاك الحرمات ما لا يوصف سواء في نفوسهم أو أموالهم فأخبر الوالي تمرد على باشا دار السلطنة بما علم وبالتعبير الاولى أوضح اختلال حالتها ، وسهولة الاستيلاء عليها ، فكان هذا من بواعث تعيين الوالي الجديد . فوضت القيادة الى عثمان باشا والي حلب وجهز بمقدار كبير من الينكچرية وكذا أودعت اليه قيادة سائر الجيوش من الايالات الاخرى المرسلةلهذه الغاية . وصدرالفرمان بأنه اذا افتتحها يكونأميرا عليها . استغلوا وقوع النزاع ، فقاموا بما قاموا به .

وعلى هذا سارت الجيوش من كل صوب . وبعد أن جلس الوزير في حكومة بغداد جهز جيش بغداد بعدد كاملة من مدافع وبنادق(٢) مزودين بمعدات حربية أخرى . وحينئذ ألحقهم الوالي بجيش عثمان باشا قرب شهرزور وتوالى الامراء من كل صوب من أكراد وغيرهم وتجمعوا على المدينة فأرهبوها بمدافعهم ، وضربوا خيامهم في الانحاء القريبة منها . فوقعت معارك دامية بين الفريقين . واشتدت نيران الحرب . وعلا صوت المدافع والبنادق ومع هذا كله لم يتيسر به الفتح فأيس القوم من الاستيلاء على المدينة لمناعتها .

وكان في النية أن تتخذ قلعة أمامها للمطاولة مع المحصورين ولكن الاجل المحتوم وافى القائد (السردار) فحال دون المرام فرجع الجيش الى بغداد وكل

---

(١) سماها صاحب الشرفنامة (قلعة ضلم) . وجاء ذكر الجبل الذى تسمت باسمه في ياقوت الحموى في معجم البلدان بلفظ (زلم) . والترك يقولون (ظالم قلعه) لما لحقهم من ضرر في حروبها فاخترنا ما نطق به جغرافيونا وعلماؤنا .

(٢) البنادق تسمى عند العوام تفك ، وتفنك والواحدة تفكة . أو تفنكة والترك يقولون (تفنك) .

جيش سار لجهة وضرب لوجهه فتفرقت الجموع ومن ثم عرض الوالى ما جرى لدولته وبين ما وقع .

القائممقام :

علم السلطان بالحالة فأمر الوالى أن يكون سردارا لفتح تلك القلعة ، وتسخير اللواء ، فامتثل الامر . وصار قائدا وحينئذ نصب الوالى مكانه (سهيل بك) أمير لواء الرماحية فى بغداد لادارة شؤون البلدة بالنيابة عنه مدة غيابه . وهذا أول (قائممقام) عرف لحد الآن . والمصطلح انتقل من أصل الحكومة وشاع فى الولاية ويراد به خلف الوالى أو من استخلفه . وفى العاصمة يطلق القائممقام على من ينوب عن الصدر الاعظم عندما يغادر العاصمة لحرب أو غيره فيخلفه . وكذا من ينوب عن السلطان أيام سفره ومغادرته عاصمته(١) .

الدوام على حصار شهرزور :

ولما صار الوالى قائدا أمره السلطان بلزوم تسخير المدينة . وعلى هذا وبعد مرور بضعة أيام توجه نحو الغاية المطلوبة . وحط رحاله فى محل قريب من هناك يقال له (كسك چنار) فنزله . واستراح بضعة أيام . وكان أخذ صحبته من أمراء الاكراد بكر بك وكان شيخا محترما . وولى بك من أصحاب التدابير الصائبة . ذهب هؤلاء صحبة الكتخدا الى حاكم شهرزور (سرخاب بك) بقصد ترهيبه من جهة وترغيبه من أخرى وقدموا له رسائل فيها نصائح مقنعة بخصوص جلبه للطاعة والاذعان . وكانت زوجة سرخاب بك قد أسرت أيام عثمان باشا السردار السابق (قائد الحملة) . وهذا نظرا لعفته وشهامته أعادها الى سرخاب بك وبهذا مال لجهة العثمانيين . ورضى عنهم من جراء عملهم هذا . أذعن من تلقاء نفسه ورغب أن يرتبط بالدولة فيخضع لها .

ذلك ما دعا أن يدخل فى أمر الصلح وأخرج من البلدة جميع أرزاقه ،

---

(١) يسمى فى هذه الايام (مجلس النيابة) واذا كان شخصا بعينه قيل (نائب جلالة الملك) ، او (نائب سمو الوصى) . وهو خلفه . وهذا هو الاستخلاف . وأما فى الوزارة فينوب أحد الوزراء عن رئيس الوزراء أو عن وزير آخر بالوكالة .

وقدم طاعته وأبدى اذعانه التام • وفى حدود سنة ٩٦١ سلم المدينة للحكومة فصارت شهرزور ومضافاتها وتوابعها مثل قلعة هاور ، وقلعة نقود، وقلعة ياسكه، وقلعة شميران ، وقلعة فرنجه من جملة الممالك العثمانيـة • فافتتحت جميعها والتحق أيضا أوغورلو بك من العجم ، وسرخاب بك الامير السابق ومعهم نحو ألفى بيت من أقاربهم وسائر أتباعهم وطوائفهم • وسلموا مفاتيح القلاع الاخرى وكانت بأيدى أمرائها محمد سيف بك أمير بانه ، ويوسف بك أمير دستاره ، وبوداق بك أمير بروج • وكذا القلاع الاخرى التى بيد أورخان بك وجهان شاه بك فأبدوا طاعتهم وانقيادهم •

وبهذا نال الباشا توجها واقبالا ، وسعدا • أبقى ما يكفى لادارة البلدة من عساكر ومحافظين وعين لها أمير لواء (ولى بك) ثم توجه نحو همذان بما لديه من قوة • وفى هذه الايام ألقى السلطان الرعب فى قلوب الايرانيين حينما كان فى حدود نخچوان وأبدى سلطة وهيبة ثم عاد الى دار السلطنة • وحينئذ ورد الخبر السريع الى الوزير يأمره فيه السلطان بالرجوع الى بغداد نظرا لما علم من أن الشاه طهماسب متأهب للاستيلاء على بغداد ، فكان من الضرورى أن يرجع اليها ليأخذ عدته ويتأهب للطوارىء المتوقعة • وعلى هـذا لم ير بدا من العودة فعاد اليها[١] •

شهرزور ـ امارة اردلان

امارات الاقطـاع فى العراق تكونت من أمد بعيـد ترجع به الى أيام العباسيين • وان شهرزور كانت بيد أمراء السلجوقيين وآخرهم الامير قفجاق • ثم انقادت لاتابكة الموصل ، وبعدها لآل بكتكين فالعباسيين • وفى أيام المغول تابعوهم وبانحلال هؤلاء تغلبت القبائل وقوى نفوذهـا • وفى أيام العثمانيين كانت (امارة أردلان) هى المسيطرة • وكذا امارات أخرى ولكن لم تكن فى قدرتها •

---

(١) كلشن خلفا ص ٦٤ ـ ١ •

ان لواء شهرزور من ألوية العراق المهمة • ويسمى الآن (لواء السليمانية) • ويقطنه الاكراد قبائل وامارات وفى هذا العهد شوهدت (امارة أردلان) ، يجاورها امارات أخرى أو قريبة منها ، ولم تكن فى الحقيقة امارة بالوجه الصحيح ، وانما هى عشائرية • وتكونت امارة أردلان فى أواخر أيام المغول ، أو بعدها بقليل • وان مؤسسها (بابا أردلان) • كان قد عاش بين قبائل (گوران) ، وهو فى الاصل من ذرية أحمد بن مروان من ذرية ولاة دياربكر ومنهم من قال أولاد بابك بن ساسان •

ولما توفى بابا أردلان خلفه ابنه (كلول) ، ثم توالى أبناء هذا وأحفاده :

١ ـ خضر بن كلول •

٢ ـ الياس بن خضر •

٣ ـ خضر بن الياس •

٤ ـ حسن بن خضر •

٥ ـ بابلو بن حسن •

٦ ـ منذر بن بابلو •

وان هذا الاخير وزع ملكه بين أولاده :

١ ـ بيكه بك • وكان نصيبه :

(١) قلعة ضلم • (زلم) أو (قلعة ظالم) •

(٢) تغر •

(٣) شمران • وهذه باسم جبل شمران • وهو معروف فى تلك الانحاء وينطقون به (شميران) و(شميلان) • مر ذكره •

(٤) هاوار •

(٥) سيمان •

(٦) راودان .

(٧) كل عنبر (حلبچة) .

٢ - سرخاب بك . وكان سهمه :

(١) لوى .

(٢) مشـيله .

(٣) مهروان (مريوان) . وأصـل تلفظهـا (مهربان) فتصرفت اللغة الكردية به .

(٤) تنوره .

(٥) كلوس .

(٦) نشـسـكان .

٣ - محمد بك وكانت حصته :

(١) سروجك .

(٢) قراطاق . قراداغ أو قرداغ .

(٣) شـــهربازار .

(٤) الان .

(٥) دمهــران .

جاءت وقائع شهرزور فى أيام هؤلاء الاخيرين ، وان الدولة العثمانيـة قارعتهم كثيرا حتى قضت على امارتهم بعد أن جادلوا جدالا عنيفا ، وأيست الدولة مرات من الاستيلاء عليهم .

وان بيكه بك كان قد طال حكمه ٤٢ سنة جاء فى الشرفنامه أنه توفى سنة ٩٤٠ هـ . والصواب أنه أدرك عهد السلطان سليمان ولم يعرف تاريخ وفاته بالضبط . ومن أولاده :

(١) اسماعيـل .

(٢) مأمون. وخلفه ابنه محمد بك. وتوفى أثناء حصار قلعة ضلم (زلم).

ظهرت الدولة العثمانية بعد فتح بغداد • وان (لواء شهرزور) بعد مأمون بك صار بيد عمه (سرخاب بك) • وان الوقائع علمتهم السياسة وكيف يميلون مرة الى الدولة العثمانية وأخرى الى الدولة الصفوية • وكانت أطماع الدولتين فى العراق وأنحائه على أشدها •

أعقب سرخاب بك أولادا كثيرين ، وعمر طويلا ، فخلفه ابنه سلطان على • وهذا أعقب ولدين تيمورخان ، وهلوخان وكانا صغيرين فولى الامر عمهما (بساط بك بن سرخاب بك) • وهذا نازعه ابن أخيه (تيمور خان) ، ثم ولى الامر بعد وفاة عمه بساط بك • وفى سنة ٩٩٨ هـ قتل تيمور خان ، فقام مقامه أخوه (هلوخان) • ودامت امارته الى سنة ١٠٠٥ هـ[١] وما بعدها •

وهذه الامارة لم يعد لها ذكر مدة ، ثم ظهرت برياسة عشائرية ــ على ما هو المنقول من رجالها ــ وقطنت المحل المعروف اليوم فى جبال (هاورمان) ، وتسمى قبائلهم الآن باسم قبائل (هاورمان) • يسكنون فى لحف الجبل ، وقسم منهم تابع لايران • والقسم الآخر للعراق من لواء السليمانية • فهناك :

١ ــ هاورمان لهون • نصفها عراقيــة والنصف الآخر ايرانيــة • والعراقية داخل خورمال من قضاء حلبجة (البجه) •

٢ ــ هاورمان رژاو • تابعة لايران •

٣ ــ هاورمان دزلى • لهم قرى فى العراق ، وأخرى فى ايران •

وتاريخها المحفوظ لديها يرجع الى سنة ١٠١٥ هـ الا أن هذا لم يستند الى نص تاريخى ولم يوصل بما مر • ومنهم من ينكر علاقة هؤلاء بالاردلانيين • ظهرت وقائع هؤلاء كثيرا • وأصلهم ما ذكرت ، ولا محل لتفصيل امارة هؤلاء الموجودة اليوم ، ومن أهم وقائعهم ما كان أيام (مدحة پاشا) على ما نتناوله فى حينه • وكل ما علمناه ان الدولة العثمانية حاولت أن لا تترك لهم باقية الا أن لهم صفحة مهمة من تاريخ شهرزور أوضحنا عنها فى كتابنا (شهرزور ــ السليمانية) •

---

(١) الشرفنامه ص ١١٧ وما بعدها •

حوادث سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م

حاكم العمادية :

فى سنة ٩٦١ هـ كان السلطان أرسل حاكم العمادية السلطان حسين بك بشجعان الاكراد الى جانب آذربيجان . ولما رجع بلغه أنه فى موضع يقال له (تخت سليمان) اجتمع بضعة آلاف من القزلباشية مع أبى الفتح سلطان وحمزة سلطان وعلى سلطان وخضر وابراهيم قولى وخليفة . وكانوا قد قصدوا بغداد وحواليها ، فتوجه اليهم حسين بك بمن معه وقاتلهم قتالا عنيفا ، فكسرهم . ومن ثم وصل الخبر الى الركاب الهمايونى عند نزوله قلعة بايزيد ففرح وأكرم حسين بك وزاد فى ايالته(١) .

امارة العمـــادية

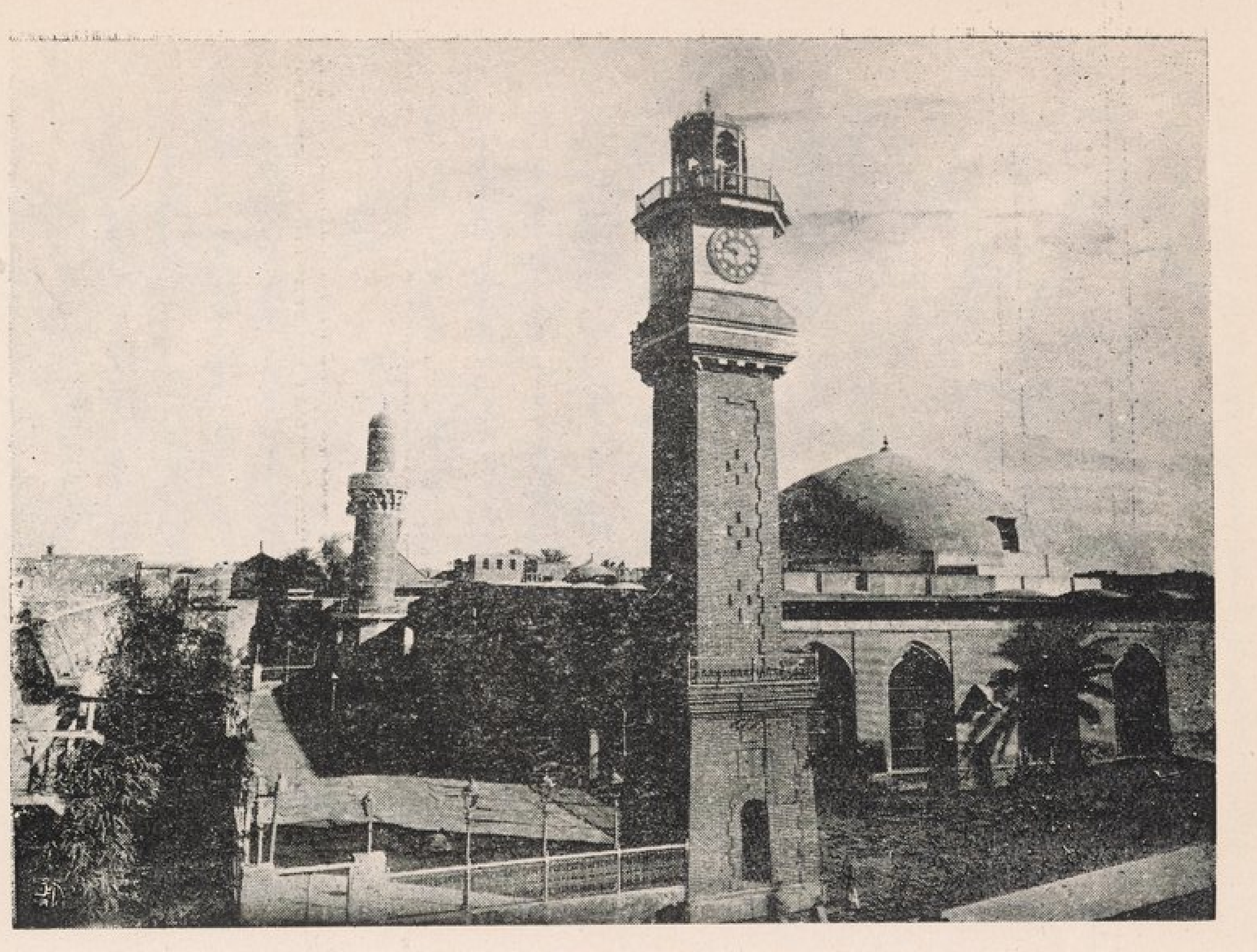
كانت امارة العمادية أقرب الى البداوة . يقال لها (امـارة الهكارية) . و(جبال الهكارية) هناك فسميت باسم جبالها . ولم تكن لها ادارة منظمة ، ولا راعت لوازم الحكم جاءتنا أخبارها مبتورة ، فلم يدون عنها الا اليسير وان كانت من أقدم ما عرف .

ولما أراد عماد الدين زنكى أول أتابكة الموصـل التسلط على الهكارية لجأوا الى مدينة (آشب) وتعرف بقلعة (الشعبانى) ، فخربتها الحروب وطـال الحصار مدة . وفى سنة ٥٣٧ هـ أذعنوا بالطاعة للأتابك . ولكنه لم ينتزعها من يد الهكارية . دامت بأيديهم الى أيام المغول منقادين له .

وبعد أيام المغول تسلط عليهم (البهدينانية) وهم أولاد عم (الشمدينانية) . ذكرتهم فى (عشائر العراق الكردية)(٢) . ولكن الهكارية لا يزالون باقين الا أنهم ضاقت امارتهم أو صاروا تابعين . والبهدينانيون يدعون أنهم (عباسيون) مع العلم بأن البهدينانية والشمدينانية أولاد عم ، من الجولمركية وهم أمويون . وبسطنا القول فى البهدينانية فى (كتاب العمادية)(٣) .

---

(١) منهل الأولياء ص ٢٧ لا يزال مخطوطا .
(٢) عشائر العراق الكردية ص ١٩١ .
(٣) لا يزال مخطوطا .



٤ ــ جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ــ دار الآثار العراقية

وكان بدء حكمهم على العمادية بعد سنة ٧٤٠ هـ الا أن تاريخ هذه الامارة غامض فى أوائل أمره . وفى الشرفنامه أن أول من عرف منهم (زين‌الدين) . وكان فى‌أيام الامير تيمورلنك وأيام ابنه الشاه رخ. وخلفه ابنه الاميرسيف‌الدين ابن زين‌الدين . وصار بعده ابنه الامير حسن وكان أدرك أيام السلطان سليمان وهذا أعقب أولادا ولى الامارة منهم (السلطان حسين) وهذا أبدى خدمات جلى للسلطان سليمان فنال امارة اربل وانعامات أخري . وتوفى أيام السلطان سليم ابن السلطان سليمان .

ثم توالى الامراء بعده . ويأتى الكلام عليهم فى حينه . وكانت امارتهم قد أقرها السلاطين العثمانيون بفرامين . وصارت تابعة لبغداد . ولقبوا بلقب (پاشا) . وتكاثرت مدونات الدولة عنهم .

سيدى على رئيس فى بغداد

فى غياب الوالى وقائممقامية سهيل بك أمير لواء الرماحية أوائل سنة ٩٦١ هـ ـ ١٥٥٣ م ورد سيدى على رئيس بغداد مارا بها فى طريقه الى البصرة. قال فى رحلته ان السلطان سليمان فى أواسط رمضان سنة ٩٦٠ سار الى بلاد الشرق . وكان معه فورد حلب. وفى عيد الأضحى وجهت اليه قبطانية مصر . وأمر أن يذهب بالسفن الحربية الراسية فى البصرة الى مصر . وقبل هذا كانت جرت وقائع للعثمانيين وحروب مع البرتغال يوضحها :

١ ـ وقائع سليمان باشا :

ان العثمانيين بعد فتح مصر كانوا شعروا بوطأة البرتغال فى الهند والاستيلاء على تجارته ، بل الاستيلاء على مرافقه المهمة . فكان هذا مما أغضب القوم، وعلموا يقينا أنه يولد لهم مشاكل فى‌التجارة والسياسة لا تعد ولا تحصى. يضاف الى ذلك أن ملك كجرات السلطان محمود قد استعان بالسلطان سليمان القانونى ، وطلب منه أن يمده من جراء أنه سلطان المسلمين ولا يرضى أن يهان ملك مسلم فيتغافل عنه مما زاد فى النخوة وحرك أمر الاسراع ، وأودع هذه المهمة الى أمير أمراء مصر (واليها) سليمان پاشا ، ولذا منحه سلطة اصلاح السواحل فى الجزيرة العربية ، ومنع التجاوزات البرتغالية فى الهند .

أعد الامير العدة ، وفى أواخر محرم الحرام سنة ٩٤٦ هـ نهض من ميناء السويس ، بقوة بحرية متكونة من أسطول محتو على ٣٠ قادرغة ، ومن سفائن عديدة تحمل العسكر ، ولكن ماذا يؤمل من أمير البحرية (أميرال) اذا كان قد بلغ العثمانيين ، ونال من العجز حده .!

أراد الاميرال أن يولد رعبا فى الاعداء ، ويبعث أملا فى نفوس رجال الدولة ومن على شاكلتهم ، فمضى من سواحل العرب حتى وصل الى جدة ، ومن هناك توجه نحو جزيرة قمران . وفى ١٣ ربيع الاول مخر البحر الاحمر ، وفى أربعة أيام بلياليها استمر الاسطول سائرا فى طريقه ، وفى ١٧ منه وصل الى ميناء عدن . وكانت هذه المدينة بتوابعها يحكمها عامر بن داود (١) ، وبتدابير حسنة استولى عليها الاسطول وهناك اتخذ برج أحكم بناؤه ، وأقيم فيه محافظون ، ووجهت ايالته الى بهرام بك ثم مضى الاسطول فى سبيله الى الهند .

وفى غرة ربيع الاول وصل الاسطول الى سواحل الهند الغربية . وافوا أمام قلعة (غوآ) ، وفى بادىء الامر استولى على هذه ، وبعدها سيق الجيش من طريق البحر فحاصر بلدة (كوه) و(كاره) الواقعة فى شمال تلك ، وبعد التخريب استولى الجيش عليها وعلى سابقتها ، وفى أثناء الحصار والتضييق هلك كثير من البرتغال ، فقتل نحو ألف نفر منهم ، وهكذا مضوا الى الشمال فساروا نحو مدينة (ديو) ، شرعوا فى التضييق عليها وأخرج الى البر نحو عشرين ألف جندى ، ومعهم نحو ٥٠ مدفعا ، وكانت هذه محكمة ، وفيها خنادق ، وليس من السهل الاستيلاء عليها كما أن المؤونة كانت قليلة ، والمصاعب كثيرة ، فاستعصى الأمر .

وفى هذه الايام كان أرسل خبر الى السلطان محمود ملك كجرات (٢) ليرسل المؤونة الا أنه مضى شهر ولم يرد جواب منه الامر الذى أدى الى مصاعب

---

(١) من بنى طاهر فى اليمن . شعبة حكمت بلدة عدن . ويدعون أنهم من بنى أمية . (دول اسلامية ص ١٣٣) .

(٢) ابن لطيف خان . دامت حكومته من سنة ٩٤٤ هـ الى سنة ٩٦١ هـ . (دول اسلامية ص ٤٨٢) .

وحدوث مجاعة فى الجيش حتى تزايد شأنه بل عظم خطره ، يضاف الى ذلك ان المحصورين طيروا خبرا الى السلطان محمود بأن سليمان پاشا قتل أمير عدن عامرا وهكذا يفعل بك ، فالأولى أن تتفق معنا ، ولا ترسل أرزاقا لجيش الپاشا والا نالك ما نال الأمير المذكور . ومن ثم وحذرا من سوء القصد اتفق مع هؤلاء وامتنع من ارسال المؤونة ، بل ساعد المحصورين فعلا ومال لجهتهم . فعلم الپاشا بالامر ، فلم ير بدا من رفع الحصار ، وتحميل المدافع والجيوش فى السفن ، والاقلاع عن هذه المواطن ، فسار فى البحر قافلا من الطريق الذى أتى منه ، قطع ٢٠ يوما فى البحر ، فوصل الى سواحل جزيرة العرب الجنوبية ، فحط فى الشحر . وكان حاكم البلد قد أبدى طاعة وقام بكل ما يجب من تقديم أرزاق ، ومساعدات للجيش ، ثم أقلعت السفن من هناك فوافت عدنا ، ثم مرت بميناء زبيد . وفى هذه الاثناء وجد أن الامير أحمد استولى على هذه البقاع ، واعلن امارته هناك . وكان هذا الشيخ اتخذت معه لطائف الحيل ، فاستولت الحكومة على ما بيده ، وقضى على غائلته، ووجهت ايالة اليمن الى مصطفى بك آل بيقلى محمد باشا .

أما سليمان باشا فانه أقام هناك مدة شهر ، نظم فى خلالها أمور الحكومة وطرق محافظتها ثم عاد الى جدة . فخرج من السفن ومضى لاداء فريضة الحج ، وذهب من طريق البر الى مصر . ومنها مضى الى استانبول .

ونظرا لما قام به هذا الباشا من الخدمات قبل السلطان منه ما قام به ، وأنعم عليه برتبة الوزارة . وصار فى عداد رجال الديوان .

هذه أول وقائع العثمانيين فى البحر الهندى . ولم تكن هناك علاقة للعراق بهذه الحوادث الا أن الموضوع قد اتصل بهذه الواقعة اتصالا مكينا ... وهنا لا نريد أن نتعرض الا لما له مساس بحوادثنا[1] .

٢ ـ وقائع بيرى رئيس :

مر الكلام على ما جرى لسليمان پاشا فى الهند من الحوادث . وفى هذه المرة كانت الدولة شعرت بالضعف ، وعرفت طريق سياستها ، وعدتها الحربية

(١) تحفة الكبار فى أسفار البحار ص ٥٨ .

فى البحر الهندى ، فكان الواجب يدعوها أن تقوم بما يلزم من اعداد العدة والعدد ، وتهتم اهتماما أكثر . فان الاستيلاء على عدن أعقبه اتفاق العرب هناك مع البرتغال للوقيعة بالجيش التركى ، واستعادة البلد منه . تولدت المشادة بسبب الاستيلاء والنهب ، وقتل الحاكم هناك مما آلمهم .

وفى هذه الحالة سيرت الحكومة أسطولها تحت رياسة أمير بحريتها قائد بحرية مصر (بيرى بك) المشهور وهذا صاحب (كتاب البحرية) ، وابن أخت كمال رئيس . سار لاستخلاص البلد واستعادته ، فاسترد عدنا حربا ، الامر الذى دعا أن يعرض والى مصر داود باشا أمره الى السلطان ببيان خدماته ، ومن ثم قبل السلطان ذلك بالقبول الحسن ، وزاد فى راتبه وجعلت له زعامة بمبلغ (مائة ألف آقچه) . ثم أرسل مرة أخرى الى سواحل جزيرة العرب ، لينظم ادارتها ، وان يستعيد المواطن التى استولى عليها البرتغال. ففى سنة ٩٥٩ ﻫ تحرك من ميناء السويس بـ (٣٠) قطعة قالبته ، وقادرغة وباشتارده (باشترده) ، وقاليون . ومن هذه تكون الاسطول ، ومعهم فرقة من العساكر المصرية ، فوافى جدة ، ثم انه اجتاز مضيق باب المندب ، ومضى الى عدن . وهناك أظهر سطوته ، ثم توجه نحو شحر وظفار من طريق رأس الحد ، ومسقط التى وقعت فى أيدى البرتغال . وبينا هو مجتاز فى الاقسام الجنوبية من جزيرة العرب من سواحل الشحر ، وظفار اذ ظهر ريح زعزع فتبعثرت السفن ، وتفرقت نوعا ، حتى ان بارچه منهـا من نوع القاليون اصطدمت فى أرض من سواحل الشحر فغرقت ولكن بعد أن سكن هائج الرياح عادت السفن فاجتمعت ، وسارت فى طريقها ، فمضت من رأس الحد ، فوصلت الى أمام قاعدة عمان وهى (مسقط) . فافتتحتها هذه القوة البحرية .

وهذه المدينة لها موقع ممتاز فى أنها حاكمة على مدخل خليج البصرة ، وانها تقع على الطريق . فلها أهمية خاصة ، ومكانة لا تنكر . وأشغلها البرتغال نظرا لاهميتها هذه . ذلك ما دعا پيرى بك أن يخرج جيشا الى البر ، ويتخذ التدابير لمحاصرة المدينة والتضييق عليها دون اضاعة وقت . فدافع

عنها البرتغال ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصدوا الهجوم الذى قام به الجيش العثمانى ، فتمكنوا من ضبطها والاستيلاء عليها . وأسروا جيش البرتغال . ومن هناك تحركت السفن الى مضيق هرمز فتمكنوا من ضبطه بعد حرب قوية وهجوم عنيف . وكذا استولوا على جزيرة هرمز وبرخت (كشم) ، ومن هناك توجهوا نحو البصرة . وكانت قد دخلت البصرة قبل مدة فى حوزة العثمانيين لما رأوا من حاجة لوصل البصرة بمصر .

وفى أثناء وصول الاسطول الى البصرة شاع ان البرتغال عزموا على قطع خط الرجعة ، وأملهم أن يأتوا بقوة عظيمة الى مضيق هرمز ، فارتاب بيرى بك ، وأبدى خوفا لا يأتلف وما كان قد أبداه سابقا . فترك الاسطول فى البصرة ، وسار بثلاث قطع قادرغة خاصة به ، وبمفرزة صغيرة ، فعاد الى السويس . فكانت حركته هذه داعية للارتياب لا سيما وأنه لم يستأذن فيما فعل . فسار بما أخذه فوصل البحرين ، وهناك جلست احدى القادرغات على البر فتفككت ، وغرقت ، وعاد الى السويس بالباقى وبقيت السفن الحربية الاخرى فى البصرة ، فكان هذا الفرار منه أكبر باعث الى نكبته . وكانت حكومته تأمل منه أعمالا كبيرة ، فخاب الامل فيه . ومن ثم صدر الامر السلطانى باعدامه لما ارتكب من هزيمة ، فأعدم بمصر . ويقال انه حاول تهريب الاموال التى استولى عليها . اتهم بذلك فى حين أن القوة كانت ضعيفة ، والانتحار محقق ، فرأى أن يمضى بالقوة الكافية للنجاة ويتأهب للامر كما تبين ذلك من تكليف على بك المصرى وكان قائد الحملة وامتناعه من قبول قيادة الاسطول وما ذلك الا لعدم صلاح البحرية للمرور وقدرة الدفاع .

ولما أعدم بيرى رئيس بمصر وجدت لديه أموال كثيرة ، استولت عليها الحكومة . أما أمير الجيش على بك فلم يوافق على قيادة الاسطول ، وعاد من طريق البر الى مصر ولم يقبل بتكليف والى البصرة (قباد باشا)[١] فى أن

(١) والى البصرة قباد باشا سعى بقتلة بيرى رئيس عند السلطان فقتله سنة ٩٦٢ هـ . ذكره فى تهذيب التواريخ، وفى تاريخ تركية لاحمد رفيق ، وفى عثمانلى مؤلفلرى .

يعهد اليه الاسطول • فتبعثر أمر السفن الحربية ، ولما سمع والى مصر أخبر الدولة بما جرى • فكان ما كان • ثم جاء أهل هرمز الى مصر فشكوا پيرى رئيس • وقالوا نهب أموالنا وعذبنا ، فلم تسمع لهم دعوى وأرسلت الاموال الى الدولة •

ثم ظهر مؤخرا ان قتله لم يكن بحق • وكانت الاسباب لذلك كثيرة منها انه كان من رجال ابراهيم باشا المقتول ، وانه لم يعط الى قباد باشا دراهم ، فكان فداء الخيانات ذلك الزمن • ويعد من أفذاذ الرجال • وكتابه (بحرية) شاهد ذلك •

ألفه سنة ٩٣٢ هـ بأمر من السلطان • ومعه أطلس جغرافى • طبع على الزنك سنة ١٩٣٥ م بمطبعة الدولة باستانبول وله مؤلف فى بحار الصين والهند فى مجلدين • وهو ابن أخت كمال رئيس القبطان البحرى الشهير •

٣ - واقعة مراد رئيس :

كان هذا سماه صاحب التحفة (مراد قپودان)(١) وهو معزول من لواء القطيف ، وكان فى البصرة فى تلك الاثناء بقى فى البصرة حينما عاد پيرى بك فوجهت اليه قيادة أسطول مصر (البحر الاحمر) وكان ترك پيرى رئيس فى البصرة بارچتين وخمس قادرغات وقاليته فى بندر البصرة والباقى سار به نحو السويس حسب الامر الصادر اليه الا أن قدرغة واحدة كانت قد احترقت فى البصرة • فكان أخذ معه ـ عدا ما أبقاه وما غرق ـ (١٥ قادرغة) • وبارچتين ، فتكون أسطول منها ، وسار فى البحر ، فورد مضيق هرمز • تمكن من الوصول الى هناك دون أن يرى عارضة الا انه عند المعبر اصطدم بأسطول البرتغال ، وكانوا قد تأهبوا للحرب ، ينتظرون الاسطول العثمانى ويترقبون وروده • فابتدأت الحرب من الصبح واستمرت بشدة الى المساء ،

(١) مراد رئيس أصله من فاس • وكان من مشاهير رجال البحرية أيام السلطان سليمان • عرف فى كثير من المحاربات البحرية ببسالته • وصار متصرف لواء القطيف (الاسفار البحرية وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار ج٢ ص ٤١) •

وذهبت ضائعات كثيرة من الطرفين ، واستشهد كل من (سليمان رئيس) فارس سفينة القائد ، و (رجب رئيس) فارس سفينة أخرى ، فكان فقدهما من أعظم الضائعات ، والذين استشهدوا ، وجرحوا من سائر أفراد الجيش كثيرون جدا ، وكذا السفن قد تضعضعت كثيرا من جراء طلقات العدو .

ذلك ما جعل الاسطول العثمانى لا يستطيع الدوام فى الحرب ، أيسوا من أوضاعهم . واستفادة من اختلاط الظلام والكف عن الحرب بسبب الليل عادوا ، ومن ثم صار مراد بك يفكر فى أمر الاحتفاظ بالباقى من السفن ، ويراعى سلامتها ، فاستفاد من ظلمة الليل فعاد الى البصرة ، دون أن يضيع الفرصة . ونظرا لزيادة الظلمة بسبب الليل قد اصطدمت احدى السفن المسماة (بارجة) بالبر فى جانب اللار ، وان قسما من الجيوش فيها نجوا سالمين ، وقسم منهم مع السفينة صاروا فى أسر العدو .

وفى هذه الحرب خذل الاسطول العثمانى ، ولم يتيسر له الانتصار الا أن هذه لم تكن الحرب الحاسمة وانما هى رجوع بانتظام ، والعدو فى هذه الحرب أصابته خسائر كبيرة وناله ضرر عظيم أيضا الا ان العثمانيين لم يستطيعوا تعقيب أثره لما نالهم من ضعف حذروا من المجازفة . والعدو بالرغم من التلفيات لا تزال قوته كبيرة ...

ولما وصل الاسطول الى البصرة أخبروا الدولة بما جرى . ذلك ما دعا أن توجه أميرالية مصر الى سيدى على رئيس ومن ثم سار فى طريقه الى البصرة .

قبطانية مصر توجه الى سيدى على رئيس :

بعد خذلان مراد رئيس عرض الامر على السلطان سليمان فعهد بالمهمة الى (الكاتبى الرومى) .

وهذا هو (سيدى على بن حسين) . وكان متضلعا فى علم البحار ، فتح جزيرة رودس . ومن ذلك الحين الى يومنا هذا كان ولا يزال فى بحر المغرب (البحر الابيض المتوسط) فى كافة الغزوات والفتوحات بصحبة المغفور لهما

(خيرالدين پاشا) و(سنان پاشا) وسائر القبطانية وقام بأنواع الخدمات وتجول فى جميع أطراف بحر المغرب وأكنافه فحصل على جميع ما يتعلق بعلم البحار واكتسب الخبرة الوافرة • ألف فى علم الهيأة وفى الحكمة وسائر متعلقات علم البحار تآليف مهمة ، وفى أحوال النجوم • ومما أهله للمهمة أن أباه وجده وأسلافه من أيام فتح القسطنطينية كانوا كتخدائية دار الصناعة (الترسانة) العامرة فى غلطة • وكل واحد منهم كان ماهرا فى العلوم البحرية فانتقلت هذه اليه ارثا واكتسابا •

رأى السلطان فيه من الكفاءة والقدرة على الامور البحرية فأودع اليه قبطانية مصر فى ذى الحجة سنة ٩٦٠ وأمره أن يذهب بالسفن الموجودة فى بندر البصرة الى مصر • صدر اليه الفرمان بذلك فنهض فى أول المحرم سنة ٩٦١ من حلب فكانت وجهته البصرة •

سيدى على فى طريقه الى بغداد :

خرج من حلب متوجها الى الموصل وبغداد ، فعبر الفرات من أمام بيره‌جك فجاء الرها (أورفة) وزار هناك مقام ابراهيم (ع) وسار فى طريقه الى نصيبين ومنها ورد الموصل وزار مراقد يونس (ع) وجرجيس (ع) والشيخ محمد الغرابيلى ، وفتح الموصل ، وقضيب البان الموصلى ثم مضى الى بغداد ومر بمدينة تكريت ومنها جاء الى سامراء وزار فيها الامام عليا الهادى والامام حسنا العسكرى وسار من بلد العاشق والمعشوق ومنها مضى فى الطريق المار الى قصبة حربى ، وقصر سمكة (سميكة) فبلغ بغداد وعبر دجلة (شط بغداد) من الجسر وزار مدة بقائه يوشع (ع) والامام الاعظم ، والامام أحمد بن حنبل ، والامام أبا يوسف والامام محمدا ، والامام محمدا الغزالى ، وعيص بن اسحاق (ع) والامام موسى الكاظم ، والامام محمدا التقى وقنبر على ، والشيخ عبدالقادر الكيلانى ، وجنيدا البغدادى ، ومعروفا الكرخى ، والشيخ الشبلى ، وسريا السقطى ، والحلاج ، وبشرا الحافى ، وجومرد القصاب ، وبهلول دانه وفضيل بن عياض ، والشيخ شهاب الدين السهروردى ، والشيخ داود الطائى ، ثم مر من أمام قلعة

الطيور وذهب الى قلعة بيره (الظاهر قلعة البير) • وعبر الفرات من أمام قصبة المسيب فوصل الحائر (كربلا) وهنا زار حضرة الامام الحسين ، ومشهد الشهداء، والحر الشهيد ، ثم مضى من جهة شفاثة (شفائى) من طريق البر الى المشهد وفى اليوم الثانى وصل الى الغرى (النجف) وزار آدم ونوحا وشمعون (ع) والامام عليا المرتضى(رض)، ثم ذهب الى الكوفة وهناك زار مسجدها ومحاريب الانبياء(ع) وشهادة الامام على المرتضى ومقام قنبر ودلدل ثم جاء الى قلعة الحسينية وفى طريقه زار ذا الكفل بن هارون (ع) ومن هناك مضى الى الحلة وفيها مقام صاحب الزمان (الامام محمد المهدى) ، والامام عقيل أخو الامام على (رض) ، وزار (مسجد شمس) ومن هناك عبر الفرات أيضا وعاد الى بغداد • كل ذلك قصه فى رحلته(١) •

سيدى على رئيس فى طريقه الى البصرة :

ثم ركب السفينة ومضى الى البصرة وفى طريقه مر بالمدائن ورأى طاق كسرى وقصر شاه زنان ، وزار سلمان الفارسى (رض) ثم عبر خليج العمارة فوصل الى زكيه من طريق واسط وزار العزير (ع) ومن هناك وصل قلعة صدر السويب بعد أن مر من قلعة عجل ، وقلعة مزرعة • ثم وصل شط البصرة وفى آخر صفر سنة ٩٦١ هـ دخل المدينة •

سيدى على رئيس فى البصرة :

فى اليوم التالى من وصوله ذهب الى مصطفى باشا (حاكم البصرة) وقدم له الفرمان وعرفه بما جاء من أجله وحينئذ سلم اليه خمس عشرة قدرغة ، وعمر ما تمكن من تعميره مما يحتاج الى المرمة وحشى المفكك منها فأصلح ما استطاع اصلاحه • ولما لم يحن وقت الذهاب بعد بقى فى البصرة نحو خمسة أشهر ، فى خلالها زار (مسجد الامام على) ، و(الحسن البصرى) ، و(طلحة) ، و(الزبير) ، و(أنس بن مالك) ، و(عبدالرحمن بن عوف) وشهداء الصحابة (رض) •

---

(١) مرآة الممالك ص ١٦ •

ومما أرعبه فى بقائه أنه رأى رؤيا مؤداها أنه وجد أن قد فقد سيفه فتطير من ذلك لما علم أن الشيخ محى الدين ابن عربى نقل ان الرسول (ص) فقد سيفه فحدثت له هزيمة وحينئذ بادر بالدعاء والاستغاثة بالرسول . فلاح لقلبه أن عسكر الاسلام منصور فانتبه مذعورا لما رأى الا أنه لم يقصص هذه الرؤيا على أحد واغتم لها كثيرا ...

وقعة الحويزة ــ ابن عليان :

ومما اتفق أن مصطفى پاشا عزم أن يفتح الحويزة وينتزعها من طائفة المشعشعين فسار اليها وأرسل سيدى على رئيس الى الجزائر على ابن عليان لئلا يضر بـ (البصرة) استفادة من هذه المشغلة فذهب بخمس قدرغات . وفيها عساكر مصرية فلم يتيسر الفتح . واستشهد من جماعة سيدى على أكثر من مائة ممن تعودوا ضرب البنادق فاضطرب لهذا الحادث الا أنه ظن أن الرؤيا صدقت فعلا بهذا الحادث ولكن التقدير غلب التدبير [1] .

وهذا الحادث لم يدون من صاحب گلشن خلفا ولا غيره وانما انفرد به صاحب مرآة الممالك مما يدل على أن المؤرخين لم يذكروا الا بعض الوقائع ولا تزال خفايا كثيرة مجهولة ووقائع مهملة . وما نقله صاحب (جامع الدول) أخذ من هذا المرجع . وهكذا غيره ممن تلاه .

سيدى على رئيس فى طريقه الى مصر

ولما قرب حلول الموسم واقتضى الذهاب أرسل مصطفى پاشا فى پركنده أى فرقتــــه (Frigate) رجلا ماهرا فى علم البحار يقال له (شريف) [2] الى هرموز للتفحص فبقى نحو شهر يتجول فى السواحل فلم يجد للبرتغاليين سفنا سوى أربع بوارج . وهذه سفن الموسم . فجاء بهذا الخبر . وحينئذ ركبت الجيوش السفن ، وتوجهت بصحبة سيدى على رئيس الى مصر .

---

(١) مرآة الممالك : سيدى على رئيس ص ١٧ .

(٢) من البحارة المعروفين استخدم للمهمة وكان قد ورد بلفظ (شريفى باشا) .

أقلعت السفن فى أول شعبان لسنة ٩٦١ هـ ـ ١٥٥٤م ووصلت مع (فرقة) شريف الى هرموز • كـان رافقهم فى طريقهم • أرسل معهم لهذا الغرض ، فتحركوا من شط العرب الى عبادان • وزار مقام الخضر (ع) • ثم مضى الى سواحل دسفول وتستر (ششتر) وجاؤوا الى جزيرة (خارك) وزار فيهـا محمد ابن الحنفية (رض) وشهداء الاصحاب (رض) • ومن هناك مضى الى ريشهر (الظاهر أبو شهر) من بنادر شيراز وقطعا سواحل بر فارس • وفى طريقهم رأوا جلبة (چكلوه) [(١)] فاستطلعوا احوال العدو فلم يتمكنوا من معرفة شـيء • ثم مالوا الى هجر مـن بر العرب أى أنهم وصلوا القطيف • وهنـاك رأوا (شايتى) • استطلعوا الاخبار منها فلم يعثروا على أمر يخص العدو • ثم صاروا الى البحرين وهناك التقى بحاكمها مراد رئيس [(٢)] فبين له أن ليس فى هذا البحر برتغالى •

ومن غريب ما شاهد هناك وعجب منه أن البحرانيين يأخذون بأيديهم قربة صغيرة (جودا) ويغوصون الى قعر البحر نحو ثمانية باعات أو اكثر وحـينئذ يملاءون ذلك الجود من ماء عذب يخرج من عين داخل البحر يعرفون موقعها ويأتون بالماء دائما الى مراد رئيس فيشرب منه باردا فى الصيف وهو ألطف كل المياه وأعذبها • قدم الى سيدى على رئيس منه رعاية له فأعجبه وانبهر من قدرة البارى ونهاية عظمته مما لم ير نظيره فى البحار الاخرى ويقول الاهلون ان آية «مرج البحرين يلتقيان» وردت فيها حتى أن وجه التسمية بالبحرين كان هذا سببه • ثم رحل فوصل الى جزيرة قيس أى جزيرة هرموز القديمة [(٣)] وجزيرة برخته ، والبحر الاخضر • شاهد كثيرا من الجزائر هناك فلم يتمكن

---

(١) مركب صغير يسير بالشراع والمجاذيف لنقل الحمل ويسمى Sacoleve كذا فى الترجمة الانكليزية لرحلة سيدى على •

(٢) هذا أصابته الضربة من أسطول البرتغال ولم يستطع الذهاب الى مصر فخلفه سيدى على رئيس •

(٣) لفظها ابن بطوطة (هرمز) وفيه بعض التوضيح فى رحلته ج١ ص ١٦٤ وما بعدها •

من الحصول على خبر فعبر هرموز [١] . وعند ذلك أذن (لشريف) وكان رافقه وسار معه من البصرة . كتب كتابا معه الى مصطفى باشا يذكر فيه أنه عبر هرموز بصحة وسلامة ، وبعد ذلك سار من سواحل (جلفار) و (جادى) فمر بـ (كيمزار) و (ليمة) . ثم وصل الى قرب مدينة خورفكان وفى ١٠ رمضان بعد أربعين يوما من حركتهم جاءتهم على حين غرة أساطيل العدو وبينها أربع قطع (كوه) مما يعادل قراقه ، وثلاث قليونات Galleon وست قراولات بورتغالية واثنتا عشرة قطعة غربان أى قاليته Galley ، والخلاصة هاجم العدو بخمس وعشرين سفينة وهم فى الحال أنزلوا التنتات [٢] وتسلحوا وأعدوا آلات الحرب وتهيأوا للكفاح متوكلين على الله ورفعوا الفلانديرات (الرايات الصغيرة) ، ونشروا الاعلام فأقدموا للقراع فباشروا الحرب بذكر الرسول (ص) والاستغاثة به وأخذوا بالضرب بمدافع وبنادق حتى أنه لا يستطيع المرء وصف هول ما جرى فأصيب قليون للعدو بمدفع فانسحب الى جزيرة فك الاسداد وغرق .

وأورد سيدى على لمسيحى :

غالبا كور مدى چشم أنجم
بو قدر حادثهٔ عظمايى

بيلمز كيم نيجه تعبير ايده يم
سكا بوواقعهٔ كبرايى

(١) أورد الدكتور داود الجلبي طريق البحارة الى هرموز من سواحل العرب ومن سواحل العجم ومنها الى سواحل العرب الجنوبية على بحر عمان حتى باب المندب ثم يمر فى سواحل اليمن الى جدة ، حتى يصل الى السويس ومنها الى سواحل مصر والحبشة حتى آخر سواحل أفريقية . أو يسير من هرموز الى سواحل الهند وفيها تفصيل أكثر وبيان لمواقع عديدة من عارف بها . نقلا من رسالة بحرية . (لغة العرب ج٩ ص٤٠٥ وما بعدها) .

(٢) التنتة معروفة فى اللغة العامية ومستعملة فى اللغة التركية وتعنى الظلال والستائر .

يريد أن عين النجم لم تر فى غالب أحوالهـا هولا كهذا فلا أدرى كيف أعبر عن هذا الحادث الجلل وهذه الواقعة العظمى ...

دامت الحرب الى العشاء فكانت فى أشد ما يتصور . ثم أشعل فانوس القبطان وحينئذ أطلق العدو مدفعا لتنبيه سفنه أن تقلع عن الحرب وعلى هذا انسحبت بوارجه بعد أن اختلت آلاتها ورجعت الى هرموز . وبهـذا تغلب سيدى على رئيس على العدو وانتصر عليه . فانهزم .

ثم انه اشتد الظلام وظهر تشوش فى الجو وبدت زوبعة كما حدثت أمطار فابتعدت السفن عن الساحل وسلكت الطريق . سـاروا بمشقة حتى وصلوا مدينة خورفكان فى اليوم التالى وبعد أن أخذ الجيش ماءه مضوا فى طريقهم حتى وصلوا الى ولاية عمان ، وجاؤا الى بلدتها صحار[١] . ثم مضوا فى البحر نحو ١٧ يوما أيضا . وفى ٢٦ من شهر رمضان ليلة القدر فاجأتهم سفن العدو مرة أخرى . جاءت من قرب مدينـة مسقط وقلهـات[٢] هاجمتهم سحرا من ميناء مسقط وهى اثنتا عشرة بارجة واثنان وعشرون غرابا فالمجموع ٣٤ قطعة من السفن . صال بها كوه ابن الحاكم وهو القبطان ومعه جيوش لا تحصى فنصب الشراع وتقدم ببوارجه وقليوناته ونصب (مايسترا) أى (شراعا) وبنتة (شراعا صغيرا) لكل منها ، وكذا نصبوا للقراولات شراعهـا ، وزين العدو سفنه بفلانديرات (رايات أو اعلام صغيرة) ومشى عليهم ، وهم أيضـا طلبوا العون من الله وتأهبوا فى جانب من الساحل فجاءتهم البوارج فاصطدمت بالقدرغات واشتعلت نيران البنادق والمدافع فيما بين الفريقين ، وتعاطوا رشق السهام وتضاربوا بالسيوف فآل الامر الى حالة لا يستطيع المرء وصفها .

---

(١) فى معجم البلدان تفصيل عن صحار فتحها المسلمون سنة ١٢ هـ . وفى رحلة سيدى على وردت بلفظ (سحار) وليس بصواب .

(٢) جاء فى لغة العرب انها قريات ، فحرف أو صحف حين الطبع وهو بلد معروف بهذا الاسم والصواب انهـا (قلهـات) . ومسـقط وردت فى معجم البلدان . وتلفظ مسكت .

كان هولها عظيما حتى هلكت بوارج للطرفين واحترق بعضها وكانت ضائعات سيدى على بارجة وست قدرغات ، لحد أن انهكت قوى الطرفين وصارت الحرب فى أطراف السفن .

وكان من ضايعات العثمانيين (علمشاه رئيس) ، و(قره مصطفى) ، و(قلفات ممى) . وقائد المتطوعين مصطفى بك الدرزى ، وسائر أفراد مصر ، وأصحاب الآلات ، فكان المجموع نحو مائتين . وحينئذ رمى العرب الذين كانوا من أصحاب المجاذيف بأنفسهم الى الساحل فاستصرخوا عربان نجد هناك فابتدروا لمعاونة المسلمين فصاروا أدلاءهم لجانب البر ، وأخذ البرتغال الذين كانوا فى بوارج العدو يرمون بأنفسهم أيضا . وكذا العرب الذين كانوا مستخدمين عندهم انسحبوا الى بلاد العرب .

قال سيدى على رئيس : ويعلم الله أن (خيرالدين باشا) فى حربه مع (آندريه طوريه Andreas Doria) لم ير هذه الدرجة من شدة وعظمة . فاضطر سيدى على رئيس أن يبتعد عن الساحل فأمر بنصب الشراع ضرورة فانفصل عن بر العرب ودخل فى البحر العمان وفى النتيجة وصل الى بر جاش (١) من كرمان وليس فى هذه السواحل ميناء يلجأ اليه . وبعد اللتيا والتى وردوا (كيجى) من ولاية (مكران) الا أنه لم يتيسر الوصول الى الساحل بسبب الظلام فوقفوا فى البحر . ولما أصبح الصباح وصلوا بكل محنة ومشقة الى الساحل الى (بندر شهبار) . ذهب جماعة منهم فأفهموا الاهلين أنهم مسلمون وطلبوا الماء فوافق ذلك النهار يوم العيد فصار الحصول على الماء أكبر عيد لهم . ومن هناك وبواسطة الدليل مضوا الى بندر كوادر . أهلوها من البلوج . ملكهم جلال الدين ابن ملك دينار وان حاكمها جاء الى الاسطول ورحب بهم وأحضر لهم ما يحتاجون اليه من عدة كافية كاملة وكتب الى الملك وطلب منه ربانا ومعلما أى دليلا للبحر فى عمان وسواحله ففعل وأبدى الطاعة والانقياد للسلطان .

---

(١) ويقال جسك . ميناء ايرانى على مقربة من بلوجستان . قاله فى ترجمة الرحلة الى الانكليزية .

ثم أقلعوا من بندر كوادر ومضوا الى بحر الهند وساعدهم الريح مدة فجاؤوا الى ساحل اليمن مرة أخرى • ساروا فى البحر أياما عديدة ومروا من نحو رأس الحد • جاؤوا الى ما يقارب ظفار وشحر فعاكستهم الرياح فلم يستطيعوا ادارة الشراع أو ينزلوها لشدة هذه الرياح المسماة بـ (طوفان الفيل) مع ريح (داماني) أو كما يقولون (كون باتيسى) أى ريح المغيب هذه تعد الرياح الزعازع فى بحر المغرب بالنظر اليها كقطرة من بحر • ومن ثم ولشدة هذه الرياح عادوا أو جرفتهم الرياح دون أن يتمكنوا منها فصاروا الى سواحل الهند مرة أخرى •

وصف سيدى على هولها بأشنع أشكاله ومن ثم تغير الوضع واضطرب الامر وكان الرئيس ينصح بحارته ويوعز اليهم بلفظ (سوغوريه) أى تأهبوا وكونوا على بصيرة • عسى العاقبة خيرا داموا على هذا عشرة أيام • ولا تسل عما أصابهم من ارتباك ولقيهم من رعب وخوف حينما علموا أنهم فى مقربة من ديار العدو • ضاق بهم الامر ولم يبق لهم أمل الا أن ينظروا ما يجرى عليهم من قضاء • وفى خلال ذلك كان سيدى على ينصح القوم ويوصيهم بالصبر •

مضى على ذلك عشرة أيام فى البحر بين مده وجزره وزوابعه وأمطاره ، فوصلوا قريبا من خليج چكد • وحينئذ صاح المعلمون بالويل والثبور لما رأوا من تغير مياه البحر وما شاهدوا من حيتانه وحيواناته فظنوا أن هذه سورة بحر الهند والورطة التى فيه (تيار أودردور) • وهى قرب السند وتعرف بتيارها وخطرها لا خلاص للسفن منه فطرحوا الاثقال وبعض آلات واشتغلوا يوما وليلة بلا توقف وباستمرار فنجوا من الخطر •

ركد الهواء نوعا وساروا صباحا فنظروا الى الاطراف فرأوا أنهم فى سواحل ولاية جامهر[1] شاهدوا دار الاصنام لها • ومن هناك ساروا فمروا

---

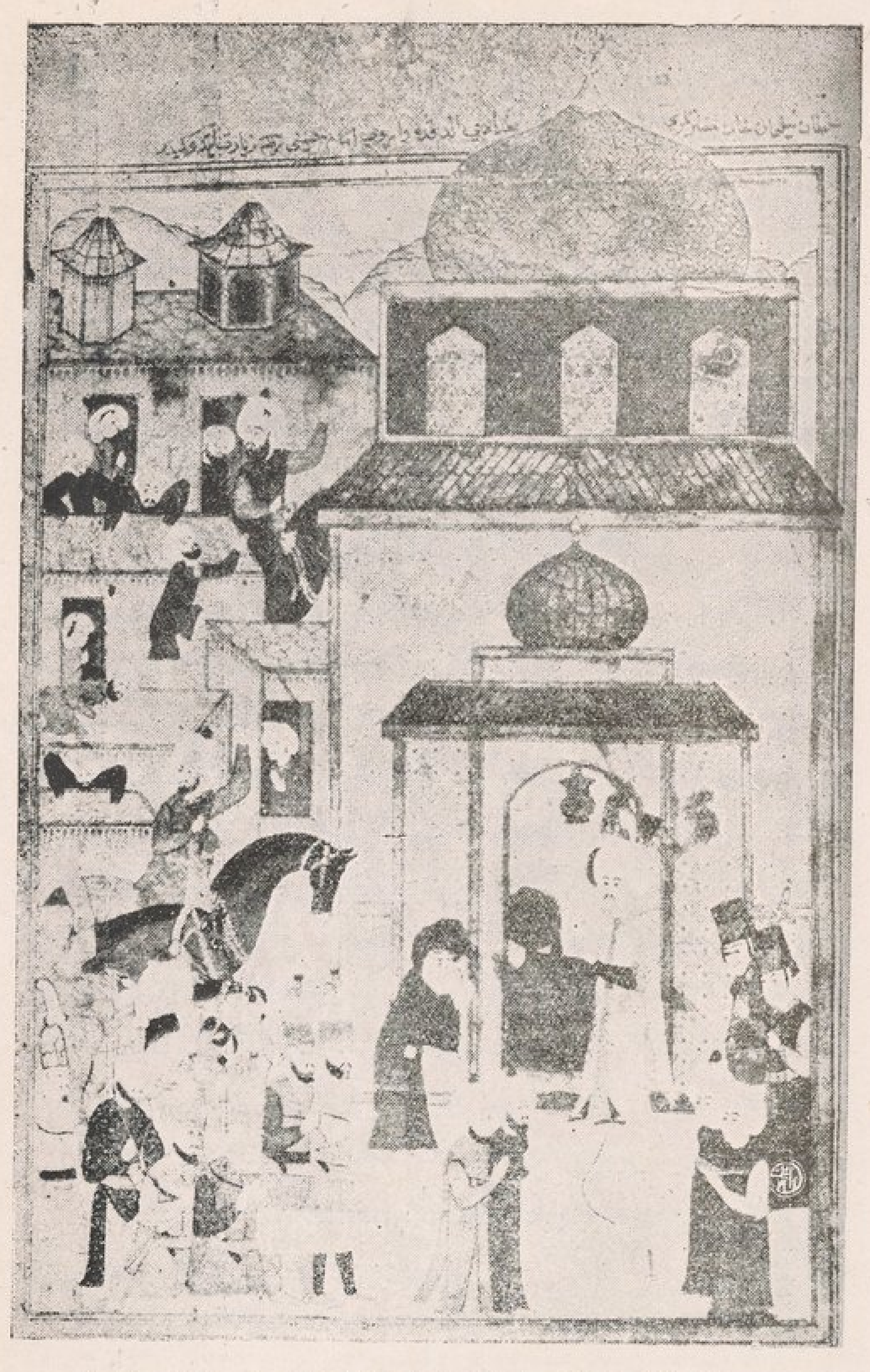
(١) تقع فى مقاطعة بومبى •

من فورميان ومنگلور ومضوا الى سومنات[١] Some nat ثم وصلوا الى (ديو) Dio وكانت بيد البرتغال ، فاستولى عليهم الخوف ولا يستطيع القلم أن يعبر عما أصابهم من هول وهلع فكأنهم فى يوم محشر ... فوصلوا بشق الانفس الى ولاية كجرات من الهند . وهناك صادفهم خطر آخر وهو الشق (السورة) فزاد المصاب ولم ينجوا منه الا بعد جهد جهيد ، فوصلوا الى (فشت قيدسور) وهذا ما بين (ديو) و(دمن) Daman[٢] فلم يستطيعوا الركون اليها فمضوا الى بندر (دمن) فحمدوا الله على السلامة بعد ما لاقوا كل الاخطار والصعاب والامطار وهذا موسم الامطار ويقال له بارصاد . وكان ملك كجرات السلطان أحمد[٣] وحاكم (دمن) ملك أسد تابعا له . وهذا حذر من البقاء ونصح بالذهاب الى سورت خوفا من البرتغال فلم يتمكنوا من البقاء فقام سيدى على رئيس بمن تبعه من البحارة فمضى بالسفن الى سورت فوصلوها ففرح المسلمون بهم وقالوا لم نر طوفانا مثل هذا من قديم الزمان ، ولا رأينا قرصانا أى قبطانا[٤] ماهرا فى علم البحار مثلك .

ولا تنكر القدرة العلمية والمهارة الفنية فى مثل هذه الامور وان كان التوفيق حليف القدرة البحرية فى العدد وكمال العدد وقد اتخذ العدو لها الاهبة ، ولم يترك وسيلة لا سيما فى وقت لم تتغير فنونه الحربية ، بل تكاد تكون مشتركة بين الفريقين ولم تختلف الا فى الكمال ، والنقصان ، ولم تعرف الاوضاع الجديدة بعد مما تعد من أركان السيطرة على الامم والبحار ...

ثم تفرق أعوانه وتركوا ما لديهم من سفن وساروا من طريق البر حتى

(١) بلدة فى جنوبى شبه جزيرة كاثياوار .
(٢) مستعمرة برتغالية فى خليج كمباى .
(٣) هو أحمد شاه الثانى ابن محمود شاه ولى سنة ٩٦١ هـ ودام حكمه الى سنة ٩٦٩ هـ . (دول اسلامية ص ٤٨٤) .
(٤) عند الغربيين يقال Corsair او Corsaire ويطلق على السفن الخاصة بتعقيب العدو . واصحابها قراصنة . ثم صار يسمى سراق البحر من أصحاب السفن بهذا الاسم . وألغيت القرصانية أو القرصنة سنة ١٨٥٦ م .



٥ ـ زيارة السلطان سليمان مشهد الامام الحسين ـ كتاب فضولي

عادوا الى بغداد برا بعد سياحات طويلة .

ذلك ما دعا ان يكتب سيدى على رئيس (مرآة الممالك) فيوضح فيها ما جرى عليه من الاهوال وكيف تفرق عنه أعوانه واضطر أن يبيع السفن وأن ترسل أثمانها الى السلطان[١] .

والحاصل شرح قصته ووصف ما رأى من بلاد فى ممالك مختلفة فكانت رحلته هذه خير أثر ، وفيها الكثير من مصطلحات البحارة وايعازاتهم وآلاتهم . وسياحته برا أبدع . سار بمن صحبه من جماعته حتى عادوا الى بغداد[٢] .

العلاقة البحرية الاولى
بالعراق والسواحل العربية

ان جهود الدول الاسلامية المبذولة ـ وللعراق النصيب الاوفر منها ـ فى خلال العصور الماضية من سياحات واكتشافات لاصقاع وممالك نائية أدت الى تكوين أساطيل قوية ، وتوسيع فى القدرة البحرية . فسهلت أن تكون تجارتها طليقة ، وأوضاعها فى صالح نفعها . وهذه اكتسبت شكلا ثابتا مشت عليه فى خلال القرون العديدة فلا يحتاج الى تجديد عهد ، أو مفاوضات مستمرة ولم يكن ليخطر بالبال أن تنتهك حرمة هذا البحر ، أو ما يشوش أمر هذه التجارة ، أو يحاول أجنبى أن يقضى عليها أو يخرج على المقرر المعتاد ... لذا فكر المحصورون من الغربيين ان يستغنوا عن الاتصال بالهند بواسطة مصر من جراء سيطرة الدولة العثمانية على البحر الابيض المتوسط فالتمسوا أن يكون طريق تجارتهم أوسع أو حرا خالصا لهم ، فصاروا يتحرون ما يسهل أمر هذه التجارة وأن يأتوا من طريق أخرى لعلهم يستفيدون منها ويخرجوا الى مواطن جديدة . فكانت نتائج ذلك أن

---

(١) فى المجلد الثانى من منشآت فريدون صور الكتب المرسلة الى ملك كجرات والى حاكم سورت وفيها ايضاح رسمى (ج ٢ ص ٢١٩ و٢٢٠) .

(٢) مرآة الممالك (رحلة سيدى على رئيس) ص ٢٧ ، وتحفة الكبار ص ٦٦ والتفصيل فى هذين الكتابين .

اكتشف الاسبان أميركا من ناحية نائية لم تمس حقوق التجارة الاسلامية والشرقية كما أن البرتغال اكتشفوا « رأس الرجاء الصالح » ويسمى (رأس عشم الخير) عند المصريين ، فجعلوا سفنهم تتجول فى سواحل أفريقية ، وسواحل العرب ، وسواحل الهند .. كان ملك البرتغال عمانوئيل الاول قد أمر واسكو دوغاما الاميرال أن يذهب بسفنه لاكتشاف طريق الهند فسار من لشبونة سنة ١٤٩٧ م — ٩٠٣ هـ خرج الى سواحل أفريقية الغربية حتى وافى رأس الرجاء الصالح . وتمكن من السيطرة على تلك الانحاء . وان سلطة العثمانيين كانت قوية فى البحر الابيض المتوسط ، والصلة بمصر للاتصال بالهند كانت مخطرة صعبة جدا على البرتغاليين ، فالتمسوا الطريق الى الهند ، فتمكنوا من الوصول الى الغرض . وسيطروا على سواحل المحيط الهندى ، وقطعوا الصلة بالتجارة الا من طريقهم .

ذلك ما هدد تجارتنا وتجارة الهند معا ، أو حول وضعها ، ومثلها تجارة ايران ، ومصر وصرف وجهتها ومبدأ ذلك على ما دونه مؤرخونا قد تعين أيام السلطان الغورى . فتغيرت الحالة .

قال فى الشذرات : « فى آخر أيام الغورى[1] فى حدود سنة ٩٢٠ هـ ظهر البرتقال على بنادر الهند ، استطرقوا اليها من بحر الظلمات (البحر المحيط الاطلسى المعروف بالاتلانتيكى) من وراء جبال القمر منابع النيل (اجتازوا من رأس الرجاء الصالح) فعاثوا فى أرض الهند ووصل أذاهم وفسادهم الى جزيرة العرب وبنادر اليمن وجدة . فلما بلغ السلطان الغورى ذلك جهز عليهم خمسين

---

(١) الملك الاشرف أبو النصر قانصوه بن عبدالله الجركسى المشهور بالغورى (٩٠٦ هـ : ٩٢٢ هـ) وخلفه طومان باى ابن أخيه من سنة ٩٢٢ هـ : سنة ٩٢٣ هـ) وهذا آخر ملوك الدولة الجركسية بمصر فانقرضت دولتهم باستيلاء السلطان سليم الياوز من ملوك العثمانيين عليها وقتله فى ١٢ جمادى الاولى سنة ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م .

غرابا مع الامير حسين الكردى [١] وأرسل معه عسكرا عظيما من الترك والمغاربة واللوند وجعل له جده اقطاعا وأمره بتحصينها . فلما وصل حسين الكردى شرع فى بناء سورها واحكام أبراجها وهدم كثيرا من بيوت الناس مع عسف وشدة ظلم بحيث بنى السور جميعه فى أقل من عام ثم توجه بعساكره الى الهند فى حدود سنة ٩٢١ هـ . فاجتمع بسلطان كجرات (خليل شاه) [٢] فأكرمه وعظمه وهرب الفرنج عن البنادر لما سمعوا بوصوله . ثم عاد حسين الكردى الى اليمن فافتتحها من (بنى طاهر) ملوكها وقتل سلاطينها فى هذه السنة وترك فيها نائبا فى زبيد اسمه (برسباى الجركسى) . وتم الامر الذى لا مزيد عليه له وللسلطان الغورى ... ثم عاد حسين الى جدة وقدم مكة فبلغه زوال دولة الغورى . وورد أمر السلطان سليم بقتل حسين الكردى فأخذه شريف مكة بغتة وقيده وشمت به وأرسله لبحر جدة فغرقه فيه » [٣] .

ويوضح هذا ما جاء فى البرق اليمانى فى الفتح العثمانى :

« وقع فى أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال من طائفة الفرنج ... الى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة فى البحر ويلجون فى الظلمات ، ويمرون خلف جبال القمر .. ويصلون الى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل فى مضيق أحد جانبه جبل ، والجانب الثانى بحر الظلمات فى مكان كثير الامواج ، لا تستقر به

---

(١) قال عنه فى سجل عثمانى : « هو كردى وان البرتغال بدأوا فى ضبط كجرات ودكن واليمن فى سنة ٩٠٠ هـ فأرسل عليهم الغورى قوة عسكرية فكان قائد الحملة . وفى سنة ٩١٧ عمر جدة وفى سنة ٩٢٢ سد البرتغال المضيق واتفقوا مع أمير اليمن عامر وأخذوا منه المؤونة وحاربوا للمحافظة عن عامر وفى السنة المذكورة ضبط اليمن ثم عاد الى جدة فبين له الشريف أبو نمى بعد أن ضبط السلطان مصر أنه يقدمه الى السلطان فقتله وكان ظالما سفاكا » . (ج ١ ص ١٨٢) .

(٢) لم يعرف هذا الاسم بين سلاطين كجرات ، وقد رأينا فى البرق اليمانى أنه مظفر شاه وهو الأولى والأصح موافقا لما فى تواريخ عديدة . (منها دول اسلامية) .

(٣) الشذرات ج ٨ ص ١١٥ . واللوند جيش بحرى . (وخان اللاوند محلة ببغداد كانوا فيها .

سفائنهم وتتكسر ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند الى أن خلص منهم غراب الى الهند ، فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد(١) صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له الاملندى(٢) وعاشره فى السكر فعلمه الطريق فى حال سكره . وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا فى البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الامواج، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من السكر كثير من مراكبهم، فكثروا فى بحر الهند .. ثم أخذوا هرموز وتقووا هناك وصارت الامداد تترادف عليهم من البرتقال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين اسرا ونهبا ، ويأخذون كل سفينة غصبا الى أن كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه(٣) بن محمود شاه بن محمد شاه سلطان كجرات يومئذ الى السلطان الأشرف قانصوه الغورى يستعين به على الافرنج .. » اهـ(٤) .

وجاء فى النصوص الغربية ما يؤيد ما ذكره العرب وأوضح عنها الاستاذ محمد ياسين الحموى فى رسالته الملاح العربى(٥) ، وكذا جاء خبر هؤلاء فى النور السافر أيضا . وهذه وثائق معاصرة تعين مبدأ دخول البرتغال ، وطريقته الا أننا نقطع بغلط الرواية القائلة بأن واسكو دوغاما أسكر أحمد بن ماجد فباح له بسر عبور رأس الرجاء الصالح ، واجتياز تياره المحدق بالخطر من جراء انه أى أحمد بن ماجد يفتخر بأنه حاج الحرمين ، ويبين وصفه العلمى ، واذا كان قد جاء من الغزل ، أو التغنى بشرب الخمر فى أوائل منظوماته البحرية

---

(١) هذا الشخص الماهر قد عبر عنه الغربيون بأنه (كاناكا) ويراد به الرياضى الفلكى ولم يسموه باسمه واللفظة جاءت من الهند ، ويقصد بها العالم بأمر البحار . ويعنون ابن ماجد .

(٢) ويقال الملندى أو الميرانتى لفظة اسبانية يراد بها أميرال أو ربان البحر (الملاح العربى ص ١١) .

(٣) توفى سنة ٩٣٢ هـ ـ ١٥٢٥م وترجمته فى النور السافر ص ١٩١ـ١٩٢ طبعة بغداد ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م .

(٤) البرق اليمانى فى الفتح العثمانى .

(٥) الملاح العربى ص ٧ و ١٠ طبعت سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م فى المطبعة الهاشمية بدمشق وله الاسطول العربى أيضا .

فهذا تحبيب لحفظها كما هو شأن العرب فى نظمهم وتشبيبهم أو غزلهم ، أو تقديم ما ولع به المرء من شرب الخمرة ... وجاءت النصوص الغربية المعاصرة والتالية مكذبة لهذا الخبر . وفى النور السافر تعرض لذكر بعض وقائعهم . وعبر عنهم بـ (الافرنج) فبين وقائعهم فى عدن وكذا فى الشحر[١] .

ان آمال البرتغال كانت مصروفة الى النهب والسلب ، والاستعمار والى ترويج تجارتها ، أو التوسط فى تجارة غيرها ونقلها لمن تحتاجه فكانت البذرة الاولى لانتزاع التجارة من المسلمين وتحويلها الى جانب أوربا واستعمار البلاد الكثيرة بالقضاء على استقلالها وقد جاء عن هذا الحادث من ناحية العراق وفارس أيضا فى (كتاب وجهة الاسلام) ما نصه :

« لما احتل البرتغاليون هرمز فى الخليج الفارسى فى القرن السادس عشر قطعوا كل صلة بحرية بين الهند وفارس ليفوزوا باحتكار هذا الطريق ...»اهـ

واقول بل بين الهند والعراق ومصر أيضا وحولوا وجهتها الى ناحيتهم فقبضوا عليها بيد من حديد[٢] ...

ومن ثم انتهت حكومة الجراكسة فى التاريخ المذكور وكان لهم أسطول[٣] . وابتدأت علاقات الترك العثمانيين البحرية مع حكومة البرتغال فانهم ورثوا حكومة مصر . وكانت سابقا تجارة الهند مرتبطة بالغرب من طريق مصر والبندقية (ونديك) ومن طريق الشرق بالعراق وبنادر العجم . فالوجهة تغيرت بمزاحمة الاسبان والبرتغال فالاولى اكتشفت أميركا والاخرى وجدت طريقا للهند من جنوبى افريقية من رأس الرجاء الصالح . وأول ما عرف من علاقاتهم أنهم عاثوا فى أنحاء البحر المحيط الهندى وسواحل العرب وايران فقام ملك مصر بما قام به على يد قائده حسين الكردى . كانت قتلته السبب فى

---

(١) النور السافر ص ٩٧ و٢٠٨ .

(٢) وجهة الاسلام ص ٢٢ .

(٣) تاريخ أسطول مصر من أيام الأيوبيين مذكور فى قوانين الدواوين لأسعد ابن مماتى، ومن أيام من بعده فى خطط المقريزى، وفى كتاب حقائق الأخبار فى دول البحار فى المجلد الثانى منه .

تمكن البرتغال فى تلك الانحاء دون معارض أو مقاوم . والبحرية العثمانية فى ذلك الحين لم تؤسس فى البحر الاحمر (بحر القلزم) ومشغوليات العثمانيين فى الفتوح والحروب البحرية الاخرى ألهتهم عن الالتفات كثيرا الى البحرية فى تلك الأطراف ...

ذلك ما دعا أن تنقطع المواصلات بين الهند ومصر والبندقية وبين الهند والعراق وتتوجه الى البرتغال من طريق رأس الرجاء الصالح أو على يدهم فى العراق وبذلك تمكنوا من قهر السوحل لهم واذعانها لمطالبهم ... بقوا بلا مزاحم أو معارض . ولا يزال النبز عندنا بـ (پورتكيشى) أى برتغالى معروفا وهذا يعنى السفاك المعتدى الاثيم ... !!

والحكومة العثمانية ـ بعد أن استولت على أكثر الممالك الاسلامية ـ صارت ترى نفسها المالكة لبلاد المسلمين ، الوارثة لها المسيطرة على مصالح المسلمين بل الحامية لها . فلا يوافق مصلحتها أن تجعل جزيرة العرب وسواحل الهند تحت تحكم البرتغال وعتوهم بل لا ترضى أن يتجاوز أمثال هؤلاء على مصالح المسلمين ويجعلوها تحت نفوذهم . ففكر السلطان سليمان القانونى فى الامر وكان آنئذ أكبر ملوك الارض . ففى سنة ٩٣٢ هـ نصب قائدا على اسطوله فى البحر الاحمر أحد المشاهير هناك وهو (سليمان رئيس) وتحت نظارة هذا القائد بدأت الحكومة بتأليف عمارة (أسطول) وتجهيزه فى بندر السويس فتمكن من عمل اسطول قوامه من ٢٠ قادرغة .

فكان هذا الاميرال أول من فوض اليه أمر تكوين الاسطول العثمانى فى البحر الاحمر وهكذا تولى بعده من تولى بالوجه المبسوط .

أما البرتغال فانهم استفادوا من انحلال حكومة مصر . والعثمانيون كانوا آنئذ فى حروب بحرية وبرية دامية فى البحر الابيض المتوسط ، والممالك الاخرى كمحاصرة فينة والتوغل فى تلك الانحاء مما لم يعد بالفائدة فهمهم المطاحنة مع الاصل لا القرصنة فى بحر عظيم لا يدرك له منتهى . وعلى هذا فالبرتغال اكتشفوا جزيرة زنكبار عام ١٥٠٣ قبل كل شىء ، فكانت قاعدة وفى

عام ١٥٠٧ وصلوا الى مسقط من جزيرة العرب ، وعام ١٥٠٨ ضبطوا بوغاز هرمز ، وفى سنة ١٥٠٩ نصبوا أميرا لمستملكاتهم فى الهند سـواء فى مليبار ، وسرنديب ومالاقه مما لا يسع المقام تفصيله[(١)] .

والحكومة العثمانية فى هذا الحين لم تنظر الى ما يهدد سلامة الحكومات الاسلامية فى سواحل أفريقية والهند اذ لم يصف لها الجو لانشغالها بحروب أخرى الا أن الذى أثار ذلك ، ونبه على الخطر المحـدق كان ملك كجرات « الملك محمود » ابن مظفر شاه[(٢)] . فقد استعان بالسلطان سليمان وكانت قد طبقت شهرته الآفاق وحاول الملك محمود بذلك رفع سيطرة اولئك .

ومن ثم تأهب السلطان للأمر تأمينا لسواحل العرب وتخلصها للحكومة العثمانية من جهة ، ومنع تجاوز البرتغال على الهند من أخرى وفوض أمر القيام بذلك لأمير أمراء مصر آنئذ سليمان پاشا عام ٩٣٧ هـ وكان اتخذ له أسطولا اشتغل باعداده من سنة ٩٣٢ هـ الا أن الأمر لم يتم وذلك لان أمير أمراء مصر رافق السلطان سليمان فى فتح بغداد . فتأخر أمر ذلك لمدة .

وبعد أن تم الفتح عاد سليمان پاشا لمهمته الأولى . من جهة أن بهادر شاه حاكم كجرات وهو أخو محمود شاه قد التجأ أيضا الى السلطان وطلب حمايته من جراء المهاجمة التى أصابته من همايون‌شاه من آل بابرشاه . وورد السفراء من بهادرشاه[(٣)] عام ٩٤٣ هـ وبينوا أن مهاجمة همايون شاه واستيلائه مما يسهل للبرتغال فتوحهم وقوى آمالهم فاكتسحوا بندر ديو من كجرات . ذلك ما عجل القضية وسرع فيها ولم يتمكن من اتمامها فسـار فى أواخر محرم الحرام[(٤)]

---

(١) أسفار بحرية عثمانية ج ١ ص ٤١٦ .

(٢) محمود شاه الثانى . ولى الحكم سنة ٩٣٢ هـ ـ ١٥٢٥ م ودام الى نفس السنة (١٥٢٦ م) فخلفه بهادر شاه أخوه .

(٣) فى ثالث رمضان سنة ٩٤٣ هـ ـ ١٥٣٧ م قتـل السلطان بهـادر ابن السلطان مظفر صـاحب كجرات فى (بنـدر الديو) . (النور السـافر ص ٢١٠) .

(٤) فى كتاب محاربات عثمانية أنه سار فى ١٥ المحرم سنة ٩٤٥ هـ الموافق ١٣ حزيران سنة ١٥٤٨ م من السويس ووصل عدن فى ٧ ربيع الأول (ص ١٩ منه) .

سنة ٩٤٦ فيما عهد اليه بالوجه المذكور فلم يتيسر الاستيلاء نظرا لقلة ذخيرة العسكر ، والتجهيزات • ومما عسر الامر أن جهان شاه قد توفى فى الاثناء فخلفه السلطان محمود ملك كجرات(١) فلم يساعد مما صعب الامر ودعا للعودة • ولم تعرف آنئذ قدرة العثمانيين من جهة أن الاسطول البرتغالى لم يستطع أن يقاومهم ، أو يتحارب معهم • وعلى كل أصابته الرهبة والظاهر أنه فر من وجههم خوفا ورعبا ، أو لم تكن فيه استطاعة لمقاومته فلم يتأهب للطوارىء ، وان سطوة الاسطول العثمانى كانت ظاهرة للعيان من جراء اكتساحها مدينتين عظيمتين من مستملكات الهند • فكانت هذه السفرة من بواعث الاسفار الاخرى فقد دعت الى آمال السيطرة على البحر المحيط الهندى(٢) •••

ومن ثم تزايدت علاقات الحكومة العثمانية بالهند وأمرائه ففى سنة ٩٥٠ هـ أرسلت الحكومة العثمانية سفينة حربية بقيادة (يوسف تركى)، وأخرى بقيادة (حسين تركى) الى حاكم كجرات وفيها من المهمات وآلات الحرب مع عساكر لمعاونة الحاكم المشار اليه الا أنه لا تعطف أهمية كبرى لامثال هذه وانما تعد العمارة الكبرى ما كانت أيام سليمان پاشا فانها يحسب لها حسابها •

وان العثمانيين بعد أن سحبوا أسطولهم « أيام سليمان پاشا » عاد البرتغال الى عدن فاتحد الاهلون معهم وسلموا البلد اليهم لما رأوا من العثمانيين ما أبعدهم عنهم • وفى تلك الاثناء كان الاميرال فى البحر الاحمر (پيرى بك رئيس) المشهور فأرسلته الحكومة الى تلك الاطراف للتنكيل بالعدو فتمكن من استرداد عدن • ذلك ما دعا السلطان أن يبتهج به ويزيد فى راتبه ، ويجعل زعامة البحر الاحمر له وسماه (قبودان بحر القلزم) • وفى المرة الثانية جرد عمارته وصدر اليه الامر ليتجول فى سواحل جزيرة العرب • ولينظم أمورها ويستعيد المواقع

---

(١) فى ١٣ ربيع الأول سنة ٩٦١ هـ — ١٥٥٤ م توفى محمود شاه ابن لطيف شاه المذكور • قال فى النور السافر فى زمنه أخذ الافرنج (البرتغال) الديو من المسلمين (ص ٢٥٢) هذا مع أن مدينة ديو قد استولى عليها البرتغال قبل سلطنته •

(٢) أسفار بحرية عثمانية ج١ ص ٤٢٢ ومرآة الممالك ص ٤ •

الاخرى التى كان قد استولى عليها البرتغال فقام من ميناء السويس عام ٩٥٩ هـ - ١٥٥٢ م فجرى ما مر تفصيله ...

والحاصل أن الحروب الاخيرة قد خذلت العثمانيين ولم يعد بالامكان اعادة الحياة لهم من جراء ما أصاب (سيدى على رئيس) من ضربة قاسية والبرتغال اهتموا من عهد الحروب الاولى واتخذوا العدة الكافية وحكموا السواحل . فلم يكن فى الامكان للعثمانيين أن يستعيدوا نشاطهم فاستولى البرتغال على السواحل المهمة ، ووضعوا أيديهم على الاقتصاديات فكانت سفرة (سيدى على رئيس) هى الاخيرة فلم يطيقوا القيام بأخرى بعدها أقوى منها لينالوا المركز اللائق فى جزيرة العرب وسواحلها ، والهند وما والاه . وعلى كل كانت أغلاط العثمانيين كبيرة ، ابتدأت بقتلة (حسين الكردى) ، ثم التعديات والقسوة فى سواحل اليمن ، ثم فى سواحل عدن . وللشائعات الرديئة أثرها فى النفوس . ومن جهة أنهم لم يهتموا الاهتمام كله بل كانت اشتغالاتهم فى الانحاء الاخرى أكبر وهى غير مجدية أيضا .

ولو كان العثمانيون نجحوا على يد سيدى على أو غيره لتبدلت الحالة ، ولتمكن هؤلاء من تأسيس بحرية صالحة وأسطول مهم ، ولكان تعرف القوم بأحوال البحار هناك من طريقها العلمى بما عثر عليه سيدى على رئيس من مؤلفات بحرية من جهة واستعانة بالعرب ممن مارس الاسفار البحرية من أخرى .

هذا . ولم يكن الامر مقصورا على البرتغال وانما دخلت السياسة الغربية فى الهند من كل صوب فضيقت الخناق على التجارة وعلى الصلات الا من طريقها . أعقبت البرتغال دول أخرى فى التسلط على الهند من طرق مختلفة فكانت أول شركة للدانيمارك دخلت فى سنة ١٦١٢ م وانحلت هذه سنة ١٦٣٤ م ، ثم دخللت شركة هولندية فى سنة ١٥٩٤ م . وهكذا الشركة الانكليزية دخلت الهند بعد الهولنديين ، وسميت (شركة الهند الشرقية) . كان ذلك سنة ١٦١٠ م وهذه الشركة تملكت مدراس سنة ١٦٣٩ م . وتمكنت من التوسع سنة ١٦٨٦ م .

وفى أيام (أورنك زيب) جرت معركة كادت تقضى على شركتهم لولا أن امبراطور المغول صالحهم ، فثبت وضعهم . وهكذا دخل الفرنسيون الهند .

وكان البرتغال حاولوا التسلط على البحر المحيط الهندى من ناحيتين احداهما أن يجعل لهم مستقر فى البحر الاحمر ، وآخر فى جزيرة هرموز ، فتمكنوا من هرموز بعد سعى طال من سنة ١٥٠٧ م الى سنة ١٥١٥ م فتوصلوا الى الاستيلاء عليها ولم يشاؤا الا أن يسيطروا على تجارة الهند وان لا تكون الا من طريقهم . وهكذا كان عمل الدول الاخرى ، ولم تكن لهم آمال الاستيلاء على ايران أو العراق وانما ايجاد صلات تجارية(١) .

الاسطول العثمانى وما يتألف منه

ان العثمانيين لم يكونوا فى الاصل محاربين بحريين ، ولا أرباب بحرية ، ولا كانت لهم علاقة فى محاربة أعدائهم فى الانحاء البعيدة التى يفصل بينهم وبينها البحر . ولهم فى المواطن البرية الكفاية . فى أول أمرهم استغنوا بالچكديرمات المسماة (قره مرسل) . وهذه من نوع زوارق بحر المرمرة مما يستعمل للنقليات التجارية فى أيامنا بصورة معتادة .

وقد مرت الايام على ذلك ثم انهم كونوا بحريتهم الاخيرة التى قارعوا بها أكبر الحكومات البحرية آنئذ . فاحتذوا البندقية (ونديك) فى سفنهم الحربية فزادوا فى جسامتها وبدلوا أشكالها ، وغيروا هيئاتها فتجاوزت أنواعها العشرة وصارت صنوفا عديدة لكل منها اسم وقد مر بنا أسماء بعضها . وهذه بصورة عامة كانت تتحرك بالشراع تارة ، وبالمجاذيف أخرى . ويفرق بين صنوفها بسهولة بالنظر لما تحتوى عليه من مقاعد للبحارة وذلك :

١ ـ (فرقته) Frigate وتحتوى على عشرة مقاعد الى سبعة عشر(٢) .

---

(١) تاريخ سياست خارجى ايران ص٥٠ وما بعدها لمؤلفه الدكتور كاظم صدر وترجمه جواد صدر طبع سنة ١٣٢٢ ش. هـ .

(٢) قال شمس الدين سامى كل سفينة قديمة لها ثلاث سوار تسمى بهذا الأسم .

٢ ـ (قرلانغيج) وهى أصغر أنواع (فرقته) وتسير مجاذيفها بواسطة شخصين أو ثلاثة • وهذه سريعة السير • ولها شراع •

٣ ـ (البركنده) Brigantin وفيها ١٨ مقعدا ، أو ١٩ •

٤ ـ (القاليته) Galley تحوى ٢٠ الى ٢٤ مقعدا • وتسير بالمجاذيف وبالشراع •

٥ ـ (القادرغه) Galley تحوى على (٢٥) مقعدا •

ويطلق على هذه جميعها (عمارة صغيرة) •

٦ ـ (باستاره) ، أو (باشتارده) • Bastard تحتوى على ٢٦ الى ٣٦ مقعدا •

٧ ـ (باشتاردة الباشا) الباشتاردة بعينها وفيها ٣٦ مقعدا تاما •

٨ ـ (ماونة) من نوع سابقتها ، وكل مجذاف منها يجذف به خمسة أشخاص ، أو ستة ، أو سبعة •

وتسمى عند الترك ماعونه أيضا • وأصلها معونة العربية وعند البنادقه Mahon • وهى الشلندى المعروف عند اللاتين بـ Chelandium واستعملها العرب باسم صندل • قال فى تاريخ الاسطول العربى :

« من المراكب الحربية الكبيرة مسطحة لحمل المقاتلين والسلاح • وتعادل فى أهميتها الشونة ••• ولها ساريتان أو ثلاث سوار • يبلغ طولها ١٩٥ قدما وعرضها ٣٣ قدما • وكانوا يجهزونها بـ ٢٤ مدفعا وحمولتها ٦٠٠ شخص »(١)

والصندل كان يعمل من شجر الصندل فسمى بذلك وهو زورق عريض • ويقال له (فلكه) أو (فولوقه) •

٩ ـ (كوكه) و (كوه) • وهذه تزيد على الماونة فى انها تحتوى على مخزن للمدفع أو بالتعبير الاصح الجهة السفلية منها كالماونة والفوقية كالقاليون • وقد صنع منها أيام السلطان بايزيد الثانى اثنتين لمرة واحدة تحوى كل واحدة منها ١٥٠٠ (طن) •

---

(١) تاريخ الأسطول العربى ص ٣٨ : للاستاذ محمد ياسين الحموى طبع بدمشق سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م •

والسفائن المذكورة كلها من نوع (چكديرمه) أو (چكديرى) .

١٠ – (القاليون) Galleon . وتحتوى فى الاصل على أكثر من جانب ولا تسير فى الغالب الا بالشراع . وهذه أشهر أنواعها :

(١) قاراقا Carack . استعملت فى أيام السلطان سليمان القانونى وحملها بين (١٥٠٠ و ٢٠٠٠) طن . والظاهر أنها (الحراقة) .

(٢) بارچه . وهى من السفن الجسيمة الحربية .

(٣) قاراوەلا Caravella سفينة حربية قديمة .

(٤) پولاقا . Polacca

(٥) پورتون Portolano . استعمل فى الايام الاخيرة أى بعد الألف ويحمل ٤٠ الى ٤٥ مدفعا .

(٦) كوكه (كووه) . من نوع قاليون . أول من استخدمها السلطان بايزيد الثانى وتعد من نوع چكديرمه أيضا . مر الكلام عليها .

(٧) قپاقا . أحدثت سنة ١٠٩٣ وتحمل ٨٠ مدفعا .

(٨) انبارلى . تحمل ١١٠ مدافع . وكان منها محمودية وسليمية فبقيتا الى الايام الاخيرة .

ومن ثم يظهر نوع السفن المذكورة فى الوقائع التاريخية الا أن هذه المصطلحات وصلت الى العثمانيين من البندقية ولم يستعمل الا لفظ (غراب) فى مصطلحات الكتب القديمة وكذا (بارچه) وهى البارجة العربية بعينها . وتسهل المعرفة والمقابلة بالسفن العربية من طريق الحمل أو عدد المقاتلة ، أو مقابلة اللغات .

هذا . وأوضح كاتب چلبى فى كتابه (تحفة الكبار فى أسفار البحار)[1] أنواع السفن البحرية العثمانية ، وما تكون منه أسطولها أيام عزها ، وذكر الوقائع البحرية الا أن غالبها مما يعود للبحر الابيض المتوسط ، وليس لوقائع الهند الا النصيب القليل ، فلم يتوسع فى الايضاح . والمصطلحات تابعة لمواطن

---

(١) تحفة الكبار طبع مصورا فى سنة ١٣٢٩ رومية باستانبول فى المطبعة البحرية .

صنع السفن ، والاخذ به من علمائها ورجال صناعتها ، فشاعت ألفاظ ، وعارضتها أخرى ، فنرى الاختلاف بينها كبيرا • وفى (كتاب أسفار بحرية) تفصيل للمصطلحات ومقابلة لغاتها ومباحث موسعة فى تاريخ السفن البحرية • وتصاوير مهمة[١] •

وفى أيام الدولة الايوبية ذكر لأسماء المراكب البحرية ذكرها ابن مماتى فى كتاب قوانين الدواوين[٢] وان أسماء السفن جاء ذكرها فى مجلة (العالم الاسلامى البغدادية فى المجلد الاول منها) • وفى لغة العرب ، وفى رحلة ابن بطوطة وفى كتاب (تاريخ الاسطول العربى) ، وفى كتاب (الملاح العربى) ، وفى خطط المقريزى • وفى كتب ومجلات عديدة[٣] •

مؤلفات العرب فى علم البحار
وكتاب المحيط

مؤلفات العرب فى الهيأة كثيرة • توغلوا فى علومها وتفرعاتها ، وان علم البحار يتناول الوجهة التطبيقية والعملية من هذا العلم مع اتصال بالجغرافية وبالتجارب الفعلية • وهذه مما يخص علم البحار •

وكان الرئيس سيدى على فى رحلته قد مر بالهند ، وهناك رآى آثار العرب القديمة والحديثة فى علم البحار ، فصرف أكبر همه فى أن يعرف ما يقع نظره عليه ، أو تصل اليه يده مما يتعلق بالمحيط الهندى وما جاوره من بحار كالخليج الفارسى ، وبحر القلزم (البحر الاحمر) ، وسائر السواحل المتصلة أو كان مما يبحث فى علم الانواء ، أو أبعاد البحار أو حالات طبيعية وطرق ومد وجزر ورياح وتعيين جهات ••• فظفر ببغيته ، ونال رغبته • فنقل ذلك من كتب العرب ، وتكونت منها له مجموعة كبيرة سماها بـ (المحيط) كما سبقه پيرى رئيس فى (كتاب البحرية) • وممن نقل آثارهم من مؤلفى العرب :

(١) كتاب أسفار بحريهٔ عثمانية طبع سنة ١٣٠٦ هـ للاستاذ محمد شكرى مدرس التاريخ فى مكتب البحرية •

(٢) قوانين الدواوين ص ٣٣٩ •

(٣) المقتطف ج ١٣ ص ٥٠٥ وج ٤٤ ص ٤٠١ وج ٨٤ ص ٦٢ وص ١٨٤ •

١ - ابن ماجد :

رئيس علم البحر وفاضله ، واستاذ هذا الفن وكامله الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن ابن حسين بن أبى معلق السعدى المعقلى ، ابن أبى الركائب النجدى . ومن هنا نعلم انه من أهل نهر معقل من البصرة .. وكان من أكابر علماء الفن ووالده كان من البحارة العلماء ، وكذا جده ..

جاء ذكره فى النص المنقول من البرق اليمانى فى الفتح العثمانى وعلاقته بالبرتغال معلومة وتعين تاريخه .

ومؤلفـــاته :

(١) كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد . ألفه لركاب البحر ورؤسائه. ألفه سنة ٨٨٠ هـ .

(٢) حاوية الاختصار فى أصول علم البحار . أرجوزة نظمها سنة ٨٦٦ هـ . وفيها بين عن الرياح ومواعيدها ، والمنازل وما فيهـا من مصطلحـات ، وأوضح عن المواسم وأوقاتها ، وذكر سـواحل عديدة ، وعلاقة الفلك بأقطار عديدة والبلدان التى على سواحلها .

(٣) الذهبية. أرجوزة. وشرحها أيضا . ألفها فى سلخ جمادى سنة ٨٦٥هـ.

(٤) المعربة . أرجوزة أيضا .

(٥) أرجوزة فى تعيين القبلة .

(٦) أرجوزة بر العرب فى خليج فارس .

(٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣) كلها أراجيز .

(١٤) السبعية . ألفها سنة ٨٩٦ هـ . وجاء اسم مؤلفها فى آخرها وهو ابن ماجد الموضوع البحث .

(١٥) هادية المعالم .

وهذه المجموعة من الرسائل والاراجيز جاءت فى مجموعة خزانة باريس وطبعت بالزنك فى مجلدين .

(١٦) الميل • وجدت فى مجموعة الدكتور داود الچلبى • وجاء فيها ان السبعة من مؤلفاته فتعين انها لأحمد بن ماجد المذكور ، فزال الشك فيها • ولا عبرة بغلط الاسم •

(١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦) وهذه كلها نصائد فى أغراض بحرية مختلفة •

ظفر الاستاذ سيدى على رئيس بمؤلفاته فنقلها الى التركية وجمعها فى كتابه (محيط) ، وان الغربيين استعانوا بآثاره ونقلوا (محيط) الى اللغة الالمانية• فكانت الاستفادة عامة من كتب ابن ماجد •

٢ ـ ماجد بن محمد :

وهذا من مشاهير البحريين العلماء وله من المؤلفات :

(١) الارجوزة الحجازية • وتتجاوز الف بيت •

٣ ـ سليمان بن أحمد بن سليمان المهرى المحمدى :

لم نستطع أن نعين تاريخه ولا التعرف بمعاصريه •

والملحوظ أنه لم يتعرض لذكر ابن ماجد ومؤلفاته بقبول أو رد• والظاهر أنه قبله • ومن مؤلفاته :

(١) رسالة فى علم التواريخ سماها (قلادة الشموس واستخراج قواعد الاسوس) • فى معرفة السنين المشهورة عند الجمهور القمرية ، والشمسية والرومية والقبطية والفارسية •

(٢) تحفة العقول فى تمهيد الاصول • ذكر فيها أن له كتابا سماه (المنهاج) وشرح تحفة العقول أيضا • وهذا الكتاب فى صفة الافلاك والكواكب، والمقاييس من درجة ، وأزوام ، وأصابع ، ودبان ومصطلحات أخرى •

(٣) العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية •

يتناول موضوع هيأة وجغرافية مع بيان علاقتهما بعلم البحار ، والمواقيت ، وكذا الرياح ومواسمها بالنظر للمواطن التى يجرى السفر فيها • وفيه السفر

من جدة الى عدن وهكذا يمضى فى ذكر أسفار عديدة • والمؤلف لم يكتف بالمؤلفات العربية ، وانما كان يعتمد على كتب الهند والعجم •

(٤) كتاب المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر :

جامع لعلم البحور المعمورات • وفى كتابه (تحفة العقول فى تمهيد الاصول) صرح أن المنهاج له •

وهناك رسائل لم يعرف مؤلفوها جاءت فى المجموعة البحرية طبعة باريس ، وكذا فى مجموعة الاستاذ الدكتور داود الچلبى وهى مصورة •

وهذه المجموعات من الآثار الجليلة المتعلقة بعلم البحار • ولها قيمتها • وفيها ما يكشف عن بعض الغموض عن هذا الفن الجليل • وباقى الرسائل فى مجموعة الدكتور جاءت متأخرة ، وقريبة من عصرنا كما يفهم من تواريخها • فكانت مكملة لما فى المجموعة الباريسية ••

وفى مجموعة الدكتور كتاب (فكرة الهموم والغموم والعطر المشموم فى العلم المبارك المقسوم والمسافات والنجوم) جاء وصفه فى مخطوطات الموصل ، وفى لغة العرب ، ولم يعرف مؤلفه •

والحاصل أن (سيدى على رئيس) أخذ الكثير من هذه الرسائل القريبة من عصره وجمعها فى كتابه (المحيط) • واستفاد من اتجاه كتب العرب وترجم رسائلهم وجعلها من فصول كتابه • لخدمة امته لعلها تعود مرة أخرى • نقله الى اللغة الالمانية الاستاذ هامر • وطبع ولم يطبع الاصل فى تركيـة • والامل انه لا يهمل •

ولا شك أن الاستفادة من مؤلفات العرب كان نصيب الاقوام الآخرين انتفع منها الغربيون حتى تقدمت عندهم علوم البحار ، وتولدت السفن البخارية • ومن ثم تغيرت الوجهة تماما •

وعلم البحار فى هذا العصر يتصل بناحيتين احداهما مؤلفات العرب من من طريق بحارتهم وعلومهم ، وثانيتهما الهنود وما قاموا به • وأما الايرانيون فقد



٦ ـ **فضولی البغدادی الشاعر** ـ كتاب فضولی

كان لهم اتصال بالاثنين الا اننا لم نقف لهم على آثار خاصة بعلوم البحار ، ولكن (كتب الهيأة) أو (علم الفلك) والتقاويم وتواريخ السنين وضبط يوم النوروز وما ماثل مما لهاعلاقة كبيرة به • فجاءت آثار العرب المذكورين مجموعة صحيحة في علم البحار ، ولكنهم تأثروا بحارة ايران ومصطلحاتهم باللغة الفارسية ومصطلحات الهيئة الايرانية كما تأثروا بالهنود أيضا ومصطلحاتهم عين مصطلحات الايرانيين أو أغلب ما فيها • فلم يلتفت ابن ماجد والمهرى الى علوم العرب وحدها ، وانما أخذوا بما عند غيرهم أيضا فجاء المجموع كاملا • ولو طبعت مجموعة الچلبى ، وكتاب فكرة الهموم المذكور لكملت المجموعة ، وتم المراد • ومن ثم تلاحظ تقدمات علم البحار عند الغرب واستفادته من العلوم الجديدة والمخترعات العصرية ، فنكون قد جمعنا بين المصطلح ، وتاريخ العلم ، وتطور الفن •

هذا • والاستفادة من هذه المجموعات كبيرة فى تقرير المصطلحات من أسماء السفن فى الدولة العباسية وأساطيلها والاندلس وما كان فيه ، ومثلها ما جاء فى الدول التالية فى العراق وفى المملكة المصرية والتركية العثمانية •

وابن ماجد اعتمد مؤلفين ومؤلفات عديدة ومهمة فى الهيئة وعلم البحار تتعلق بالازمنة السابقة له • ولا مجال لنا أن نتوسع فى بحثها • ومراجعة رسائله متيسرة •

حوادث سنة ٩٦٣ هـ - ١٥٥٥ م

عودة الى أحوال الوالى

ان أحوال هذا الوالى معلومة ، وانه كان عاد من همذان اتباعا للأمر السلطانى ولكننا لم نسمع عنه شيئا بعد هذا • وفى سجل عثمانى أنه عزل من امارة بغداد سنة ٩٦٨ هـ وان ابنه محمود باشا كان واليا فى الموصل • وان خضر باشا خلفه فى (سنة ٩٦٨ هـ) • وهذا مخالف لما جاء فى النصوص القديمة • ففى گلشن شعرا أن خضر باشا نصب واليا لبغداد سنة ٩٦٣ هـ(١)

(١) تذكرة عهدى البغدادى ص ٨٢ وورد فى گلشن خلفا الا انه لم تعين سنة نصبه ص ٦٤ ـ ١ •

كما ان صاحب مرآة الممالك عاد الى بغداد بعد أسفاره البحرية وضياع سفنه وهلاك أكثر من كان معه فسار فى طريق البر من الهند حتى وصل الى بغداد فى سلخ ربيع الآخر سنة ٩٦٤ هـ فشاهد والى بغداد خضر پاشا ونال منه أنواع اللطف والاعزاز ثم عاد الى بلاد الروم (١) . وفى هذا ما يؤيد أن الپاشا المشار اليه قد عزل عام ٩٦٣ هـ وحل محله خضر پاشا ، فتمكن سيدى على رئيس من ملاقاته .

والى بغداد خضر باشـــا

ولى هذا الوزير منصب الولاية سنة ٩٦٣ هـ بالوجه المشروح . وذكر صاحب السجل أنه تخرج من البلاط وصار ميراخور ثم وجهت اليه امارة ايالات عديدة منها بغداد وتوفى بعد سنة ٩٧٥ هـ وكان معتدلا ، خاليا من الاطماع . كما فى گلشن خلفا أيضا . وبين عهدى البغدادى عند الكلام على (حقيقى) . قال ان أصل اسمه أى اسم حقيقى مصطفى بك ابن عثمان پاشا من أمراء (پاشوات) السلطان سليمان ولد فى بغداد . وكان ماهرا فى اللغة الفارسية و(قول أغاسى) فى بغداد الا أنه لم يلتئم مع أمير أمراء بغداد خضر پاشا الذى كان قد عين لمنصب بغداد سنة ٩٦٣ هـ فترك الديار العراقية وذهب الى بلاد الهند للسياحة وله شعر جيد فى اللغة التركية ... وبهذا عرفنا تاريخ ولاية خضر پاشا (٢) ... ولما لم نقطع فى حدود سنى ولايته فمن المحتمل أنه ولى بغداد لمرتين احداها هذه والاخرى سنة ٩٦٨ هـ . وعلى كل نبهنا على الناحيتين الى أن يظهر من النصوص ما يزيل الابهام . ولا نعلم من خلفه فى هذه المدة ...

الطاعون فى بغـــداد :

فى هذه السنة حدث الطاعون فى بغداد والانحاء العراقية . وفيه توفى الشاعر العراقى المشهور فضولى .

فضولى البغـــدادى

من أشهر شعراء الترك ، عراقى اسمه محمد بن سليمان البغدادى وأصله

---

(١) مرآة الممالك ص ٩٣ .
(٢) تذكرة عهدى البغدادى ص ٨١ .

من قبيلة البيات القديمة السكنى فى العراق[١] اكتسب الصيت فى بغداد فنسب اليها ويلقب عند العثمانيين بـ (رئيس الشعراء) كان ولا يزال من فحول الشعر، مبدعا فى نهجه الادبى • ومكانته فى الصف الاول ويعد الترك أكابر أدبائهم المؤسسين (سنان پاشا) وفضولى • وله نحو خاص فى نظمه ونثره لا يكاد يضارعه فيه أحد • واليوم نرى الترك لا يقدمون عليه أحدا •

ولأدباء ايران فى العراق مثل سلمان ساوجى ، وخواجو كرمانى ، وعبيد زاكانى وحافظ ••• تأثير كبير عليه ، وهو أيضا ذو ثقافة كاملة ، وفكر وقاد • والقطر مساعد على التفكير والتأمل يفيض عليه بالهامه • فلا بدع أن ينبغ كما نبغ سابقوه فى آدابهم ومناحى تربينهم وثقافتهم • والادب العراقى زاخر به وبأمثاله • وله فى اللغة الايرانية وآدابها المكانة المعروفة ، يحل مركزا لائقا بين شعراء ايران وديوانه فى لغتهم معروف ، متداول • وله شعر عربى أيضا •

جاء فى گلشن شعراء ما معناه :

« مولانا فضولى البغدادى كامل بكمال المعرفة • فاضل بفنون الفضائل ، رقيق الطبع ، حلو الصحبة ، من أهل الحكمة فى علم الحياة والابدان ، ومن خدام شيوخ الطريقة • لا ند له فى بلاغته فى اللغات الثلاث ، قادر على صنوف الشعر، وطراز المعميات ، ماهر فى العروض ، وأسلوب انشائه السلس يضاهى أستاذ العالم (خواجه جهان) ، وقصائده الفصيحة تضارع الخواجه سليمان ، وفى النحو المثنوى نرى مجنون ليلاه كالدر المكنون وله رسائل تركية وفارسية عديدة• ترجم روضة الشهداء للمولى حسين الواعظى وسماها (حديقة السعداء)• تشهد أنه مبدع فى أسلوبه ، وبرهان ساطع فى اختراع معانيه ، وحدث عن السبك ولا حرج فى صوغ كلماته ، فهى أشبه بحلة ذهبية اكتستها المعانى ، وأشعاره فى العربية ذائعة بين فصحائها ، وأقواله مذكورة بين ترك المغول ، وديوانه الفارسى مقبول لدى أبناء الفرس ، وأشعاره التركية مقبولة عند ظرفاء الروم • توفى سنة ٩٦٣ هـ بمرض الطاعون • » اهـ وأورد له جملة صالحة من الشعر التركى والفارسى ونقل له بيته المشهور :

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٣ ص ٣٦٨ عن قبيلة البيات •

دوست بی پروا ، فلك بی رحم ، دوران بی سكون

درد چوقهم درد يوق دشمن قوی طالع زبون

نكتفي بايراده ... ومعناه عاد الصديق الحميم لا يأبه ولا يبالى ، والفلك ليس له رأفة ، والدهر قاس دائب لا هوادة له ولا سكون . توالت العلل بكثرة ورمت المصائب بفداحة . لا مواسی بها ، والعدو قاهر متسلط ، قوى ولا مساعد، ليس هناك حظ ، بل الطالع فی ضعف ووهن . فأين المهرب . أو أين المفر . وهو كثيرا ما يتمثل به .

ومن مطالعة كتابه حديقة السعداء وديوانه الفارسی والتركی يظهر أنه من نوع نسيمی، ومن صنف الغلاة في التصوف أو في الابطان. ولا محل لاستقصاء ذلك فله موطن غير هذا .

ومن مؤلفاته غير ما ذكر :

١ - ديوان فارسی يحتوی على ثلاثين ألف بيت (كذا) . منه نسخة مخطوطة كتبت ببغداد سنة ٩٥٩ هـ فی مكتبة المرادية . وأخرى فی مكتبة خالص أفندی . ومطلعه جاء باللغة العربية .

باسمك اللهم يا فتاح أبواب المنى

يا غنى الذات يا من فيه برهان الغنى

وعندی ديوان فارسی له ناقص قليلا من الأول ومن الآخر . لا يبلغ ما ذكر من الابيات .

٢ - ديوان عربى رآه لبيب أفندی صاحب الجواهر الملتقطة . منه نسخة فی مكتبة لننغراد من متحف آسية مهداة من ورشجن ، ضمن مجموعة تحوى الكثير من آثاره ، وبينها :

١) شاه وكدا . فارسی .

٢) أنيس القلب . قصيدة فارسية .

وديوانه العربى الموجود فى هذه المجموعة المسماة (كليات فضولى) يحتوى على ٤٦٥ بيتا ، وأطول قصيدة فيه ٦٣ بيتا ، ولا يعرف ما اذا كانت هذه المجموعة تحتوى على جميع شعره العربى أو أن هناك غيرها .

وهذه النسخة كانت قد دخلت فى سلك ملك حسن كدخدا (كتخدا) فى مدينة السلام بغداد سنة ٩٩٧ هـ ..

ويلاحظ فى شعره العربى أنه أراد تبليغ فكرته الى قراء العربية فكتب ما كتب ، وهو متأثر بنسيمى ، وانه عارف بشعره أيضاً[(١)] .

٣ ـ رند وزاهد . محاورة فارسية . جاء ذكرها فى كشف الظنون .

٤ ـ صحت ومرض . مطبوعة وهى رواية يستنطق بها النفس والامزجة والعوامل الروحية . كتبها بأسلوب حكيم . وهذه فارسية الا أن ترجمتها الى التركية مطبوعة ولم يذكر مترجمها .

٥ ـ مطلع الاعتقاد . فى علم الكلام . (لم يعين محل وجوده) . وكان يوضح وضعه فى العقيدة ولكن يؤسف لعدم الاطلاع عليه .

٦ ـ ترجمة حديث الاربعين لملا جامى ترجمه من الفارسية (ذكره صاحب كشف الظنون) .

٧ ـ ديوان تركى . طبع مرارا بطبعات مختلفة . والطبعة التى فى تبريز مصدرة بمقدمة للمؤلف وان النسخة الخطية التى عندى تعين مكانته وطريقة نهجه ، وشعوره فى شعره . هذا مع العلم بأن لغته آذرية وهى متمكنة فى العراق ، وقريبة من التركية وقد سبقه نسيمى .

٨ ـ حديقة السعداء . رأيت فى مكتبة فاتح نسخة مصورة منها بتصاوير ملونة وهى برقم ٤٣٢١ وبخط جميل ، فيها عناية زائدة كتبت سنة ١٠٠٢ هـ ولم يعرف كاتبها ولا محل كتابتها وعندى مخطوطة كتبت سنة ٩٩٨ هـ مجذولة بالذهب وفى أولها نقوش بديعة مزينة بأبدع زينة .

---

(١) راجع ترك ديلى جلد ٢ عدد ٣ ـ ٤ لسنة ١٩٤٠ .

٩ ـ شكوى (شكايتنامه) • كتب بها الى نشانچي محمد پاشا أبدع فيها غاية الابداع في الصناعة الادبية • وتلاعب بالبيان • أبرز نفسية فذة ، وأبدع ابداعا لا يسع القارىء الا أن يميل اليه ، فهو الاديب الذي لا يبارى • ولو كان منتظم الفكرة لما سبقه سابق •• قال ذلك صاحب (نمونه أدبيات) وعده من الكرد •

١٠ ـ بنك وباده • منظوم تركي • ذكره في كشف الظنون ولم يتعرض لوصفه •

وديوانه التركي وكذا الفارسي لا نرى مجموعة عراقية فيها منتخبات الشعر الفارسي والتركي الا وفيها مقطوعات أو مفردات منهما ، تأثر به شعراء كثيرون جدا ، وهو بمنزلة المتنبي في الشعر العربي وكثرة الاستشهاد • وكثيرا ما نرى ذكر شعر له ويتبعه غيره بقولهم (وله ، وله •• الخ) ••

عندي نسخة مخطوطة من ديوانه التركي ليس لها تاريخ ولكنها أقدم من الطبعة التركية بلا ريب •

ونرى ترجمة فضولي في كتب كثيرة • ومن الترك اليوم من أفرد له ترجمة بكتاب على حدة[١] ••• وقد مر بنا ذكر علاقته بولاة بغداد وقضاتها وسائر رجال الدولة وبينهم من ضاع عنا خبره :

١ ـ اياس پاشا والي بغداد •
٢ ـ محمد پاشا والي بغداد •
٣ ـ فتح الجزائر في البصرة •
٤ ـ قاضي بغداد السيد محمد •
٥ ـ السلطان سليمان •
٦ ـ جعفر بك •
٧ ـ قادر چلبي •

---

(١) كوبريلي فؤاد ، سليمان نظيف ، وهاشم ناهيد ، وعثمانلي مؤلفلرى وغير هؤلاء •

٨ ـ ابراهيم بك .

٩ ـ رستم پاشـا .

١٠ ـ ويسى بك .

١١ ـ السلطان ابراهيم . وغيرهم .

ذكر هؤلاء يوضح الوقائع الموجودة فى گلشن خلفا وكذا يساعد على ذلك گلشن شعراء. وهذا الديوان وگلشن شعراء من الوثائق الفريدة فى بابها . ومن جهة أخرى يعين لنا مكانة اللغة التركية وآدابها فى العراق ، وهو متمم لگلشن شعراء بل يعد من أهم المراجع .

فضلى بن فضولى البغدادى :

وفضلى هذا ابن سابقه . ونعته عهدى البغدادى بقوله :

« صافى الذهن ، مستقيم الذكاء والطبع . لا يزال مشغولا فى علوم الظاهر ، معتزل فى زاوية بقناعة تامة ، أخذ بنواصى الشعر فى اللغات الثلاث وله مهارة فى المعمى ، وقدرة معجزة فى التواريخ ، وأبيات عشقية فريدة جاذبة آخذة بمجامع القلوب . وأورد له أمثلة لا محل لايرادها . والمفهوم انه كان لا يزال حيا عند تحرير التذكرة (گلشن شعراء) .

ومن تذكرة عهدى البغدادى وتاريخ بناء جامع المرادية سنة ٩٧٨ هـ انه لا يزال حيا الى هذه السنة والملحوظ أنه بقى الى ما بعد وفاة عهدى البغدادى .

والتراجم قليلة فى بيان أحواله ، وقد تحرينا مراجع عديدة فلم نظفر ببغية فى تاريخ وفاته .

رضـــائى :

هو أخو عهدى البغدادى الاكبر . وله ميل طبيعى للنظم ، وقد صاحب أرباب الآداب ، ومال الى الظرفاء والشعراء بكليته ... قضى اوقاته فى التجارة والصناعة حتى توفى فى هذه السنة (٩٦٣ هـ) . سيرته فاضلة ، وصحبته طيبة ، وله أسلوب أدبى خاص . فريد فى تزيين المجالس بأقواله ، ومعمياته ، وأما

غزله فلا يباريه فيه أحد • وله شعر تركي وفارسي • وأورد له جملة أبيات[(١)] •

حوادث سنة ٩٦٤ هـ — ١٥٥٦ م

عودة سيدي علي رئيس الى العراق

في سلخ ربيع الآخر من هذه السنة عاد سيدي علي رئيس المشهود الى العراق من طريق خراسان وشاهد والي بغداد آنئذ (خضر پاشا) كما صرح في كتابه مرآة الممالك • وانه رأى منه رعاية زائدة • وكان بعد أن أصابته الضربة من البرتغال ومن الرياح العاصفة سار من طريق البر • تجول في بلاد الهند والترك ثم عاد الى بغداد وقد ذكر قصته في كتابه (مرآة الممالك) وصل الى جبال نهاوند ومنها جاء الى جبل بيستون وورد الامام قاسما وزاره ومنه مضى الى (أويس القرني) ثم قصر شيرين ومنها الى قلعة زنجير ومنها سار الى (طقوز اولوم) المعروف بنهر ديالى ومنه الى شهربان ثم بغداد •••

رجوعه الى بلاد الروم :

ان المومأ اليه غادر بغداد في أوائل جمادي الاولى سنة ٩٦٤ هـ ومنها اجتاز الشط بعبوره في سفينة بعد أن زار المشاهد التي كان قد زارها أولا ثم سار من طريق سميكة ، وتكريت ـ الموصل وذهب من طريق الموصل القديمة والجزيرة الى نصيبين ومر بديار بكر وماردين ، وهكذا مضى • وفي آمد لقي اسكندر پاشا ورأى منه لطفا ورعاية كبيرة • وباقي ما ذكره لا يخص العراق وهو مذكور في كتابه مرآة الممالك •

ملحوظـــة :

ان عهدي البغدادي ذكر سيدي علي رئيس في گلشن شعراء بعنوان (كاتبي أفندي) وأثنى عليه ثناء عاطرا من ناحية اتقانه لعلوم البحار وما يتعلق بذلك واشار الى ما أصابه في سفره من هول وأورد له بعض المنتخبات من

---

(١) گلشن شعراء • عهدي البغدادي •

شعره وعده من الطبقة العليا[١] ... وكان أديبا شاعرا ، له قدرة على البيان فهو من أكابر رجال العلم والادب ومن مؤلفاته مرآة الكائنات وهو كتاب جامع لربع المجيب والاسطرلاب وربع المقنطرة والجيب . وله (ترجمة فتحية) في الهيئة وسماها خلاصة الهيئة ، وأصلها رسالة للمولى علاءالدين على بن محمد المعروف بالقوشجي المتوفى سنة ٨٧٩ هـ ، ألفها للسلطان محمد الفاتح لما ذهب الى محاربة السلطان حسن الطويل من آق قوينلو وكان معه في هذه الحرب والمترجم نقلها الى التركية . وفي كشف الظنون شروح وحواش عليها .

مر بنا الكلام على المترجم . ومؤلفاته . توفي سنة ٩٧٠ هـ وفي عثمانلى مؤلفلرى ترجمته وبيان مؤلفاته كما في ج٣ ص ٢٧٠ وهناك تفصيل .

حوادث سنة ٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م

قضاء بغداد

في ربيع الآخر من هذه السنة ولي قضاء بغداد دولكرزاده محمد أفندي وفي المحرم سنة ٩٧٤ أحيل للتقاعد وتوفي سنة ٩٧٧ هـ . والمعروف أنه عالم فاضل وشاعر في التركية والعربية وخطاط كتب بخطه تفسير أبي السعود ، والتلويح ، والدرر الغرر .[٢]

حوادث سنة ٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م

الوالي اسكندر باشا

ولي بغداد في هذه السنة (٩٧٤ هـ) . وعزل الوالي السابق . وان اسكندر باشا من الجراكسة من قبيلة قبارتاي . كان من مماليك خسرو باشا والي دياربكر . تخرج وزادت رتبته حتى صار رئيس البوابين ، ثم رئيس الجاووشين ولما عزل من هذا المنصب عهدت اليه دفترية حلب وبعدها دفترية

---

(١) كلشن شعرا ص ٣٠٦ .

(٢) سجل عثماني .

الاناضول • وهكذا حتى صار والى وان وهناك قام بخدمات جلى وأوقع خسائر كبيرة بالعجم • ثم نال امارة الاناضول فهزم ابن الشاه • وفى سنة ٩٥٨ هـ ولى ديار بكر وفى سنة ٩٧٢ عزل منها •

وفى سنة ٩٧٤ هـ صار واليا على بغداد وأطاع العشائر • وفى سنة ٩٧٧ هـ صار واليا على مصر وبعد سنة ونصف عزل فورد الاستانة • توفى سنة ٩٧٧ هـ ودفن فى جامع قاكليجه وأنشأ بجوار هذا الجامع مدرسة و كتابا وحمامين وأنشأ ببغداد جامعـــا •

وكان عاقلا ، كاملا ، صالحا ، عدلا شجاعا • وله ابن اسمه احمد باشا(١) • نصب واليا قبل وفاة السلطان سليمان المتوفى فى ٢١ صفر سنة ٩٧٤ هـ •

حوادث سنة ٩٧٥ هـ - ١٥٦٧ م

البصرة ـ ابن عليـــان

كان الوالى اسكندر باشا من حين ولى بغداد نصب قائدا الى أطراف البصرة فظهرت له خدمات جلى هناك وذلك أن آل عليـان فى البصرة كانوا قد أذعنوا بالطاعة للحكومة قهرا ، وان العشائر فى أنحاء البصرة وبراريها من أقربائهم ، وفى تصرفهم بعض القرى والنواحى فكان ولاة بغداد والبصرة يقسون عليهم فى التكاليف الشاقة التى لا تطاق • وقبل سنة ٩٧٤ هـ ثاروا عليها مرارا بمن معهم من العشائر فأحدثوا أضرارا كبرى فى الممالك المجاورة لهم ممـــا يعود تصرفه للحكومة فسيرت عليهم الدولة الفين من الينكچرية وما يكفى من المدفعية والعرباتية وجعل اسكندر پاشا قائد الحملة ومعه ولاة شهرزور والبصرة والامراء الذين اختارهم من الاكراد ••• جهزهـــم جميعا فتقدموا على تلك النواحى والقرى فأشعلوا فيها نيران النهب والغارة • وأطاعوا القائد قسرا وبنى هناك قلعة سميت (بالاسكندرية) •••

ثم عاد ظافرا الى بغداد وتفصيل الحادث كما جـاء فى تحفـة الكبار فى أسفار البحار :

---

(١) سجل عثمانى ص ٣٤٦ •

هو ان أنحاء واسط كانت ولا تزال تقطنها العشائر ، وان (ابن عليان) يتولى رياستها منذ أمد ، وكان يبدى الطاعة للدولة مرة ، ويعصى أخرى ، وبعد جلوس السلطان سليم الثانى أظهر ابن عليان العصيان . وكان قد ولى بغداد اسكندر پاشا الجركسى الذى هو عارف بتلك الانحاء ، كان أمير أمراء ديار بكر لمدة خمس عشرة سنة . فاختارته الدولة للقيام بهذه المهمة ، ودفع الغائلة التى قام بها ابن عليان ، وعهد الى مظفر پاشا بايالة (شهرزول) أو شهرزور فأمر أن يلحق به عسكر الاكراد ، وعهدت القبطانية الى جانبولاد بك متصرف (كلس).

وفى معبر الفرات عند پيره‌جك تداركت الحكومة ٤٥٠ سفينة جعلتها أسطولا مائيا حسب الفرمان الصادر وجهزت الفين من الينكچرية ، ومائتين من المدفعية ، كما أن الامير المزبور جهز جيشا من العرب والاكراد هناك يبلغ ستة آلاف ليكون فى هذه الحملة ، فوضعت المهمات والمعدات فى السفن المذكورة ، وسارت فى ٤ المحرم سنة ٩٧٥ هـ — ١٥٦٧ م نهض الجيش والاسطول من من پيره‌جك ، فوصل الى (بالس) ، وبعد الاستراحة يوما أو يومين مضوا فى طريقهم فمروا بـ (جعبر) ، و(الرقة) ، و(صفين) ، و(الرحبة) ، و(عانة) ، و(حديثة) ، و(هيت) ، و(الفلوجة) . وفى الفلوجة هذه استراحوا بضعة أيام . ثم مضوا فى طريقهم الى الحلة وهناك أقاموا مدة شهرين للاستراحة بأمل أن يزول الحر ، ويحل زمن البرد .

ومن جهة أخرى أن الوالى اسكندر پاشا كان قائد القوى البرية ، فنهض من بغداد أيضا وسار فى طريقه للمحل المطلوب . أما الاسطول فقد تحرك من الحلة الى لواء الرماحية والسماوة ، وفى طريقه مر بنهر (أبو كلبين) ، اجتاز من صدره ، ومن هناك مضوا حتى وصلوا الى ملتقى النهرين (دجلة والفرات) ، جاؤوا الى محل فى رأس الجزائر يقال له (صدر الدار) ، والعشائر هناك حاولوا الدفاع ، واتخذوا متاريس ، ولكنهم حينما رأوا الاسطول تركوها ومضوا الى جهتهم . وكانوا قد ذهبوا الى جزائر الشلب فى أسفل من هذه .

ومن ثم اجتاز الجيش بسهولة ، ولم يدخل حربا . فاتصلوا حينئذ بجيش اسكندر پاشا قرب قلعة (زرتوك) ، وهناك وافت نحو ١٥٠ سفينة فالتحقت

بالاسطول أيضا أتت من بغداد من طريق (دجلة) ، ومن هناك مضوا الى الداخل الى (صدر الدار) ، وبنوا قلعتين متقابلتين فى كل جانب ووضعوا بهما قوة ، ثم مضوا الى قرب (زرتوك) فبنوا قلعتين أخريين كل واحدة بجانب وهكذا مضوا الى جزيرة مشهورة يقال لها (صدر البحران) ، وهناك تجمعت الجيوش العربية ووضعوا المتاريس فيها ، ومن ثم وبلا توقف باشروا الحرب ، ومن قواد الجيش (جانبولاد) تمكن من الوصول الى الساحل ، هاجم هؤلاء ببسالة ، فكان اقدامه مشكورا مما أدى الى انتصاره وتبعثر جيش العرب ، وقتل منهم ما لا يعد من النفوس • وكذا مات فى هذه الحرب جملة من رجال الترك المشاهير • وبعد أن تمت الهزيمة بنيت قلاع متقابلة أيضا • وفى هذه المواطن لا يظهر البرد وفى أكثر الجزائر نشاهد القلاع مبنية مثل هذه • ولكن الحرب لم تنقطع مع العرب بل بقيت مستمرة ، لا هوادة فيها • ولما كانت عيشة العشائر على النخيل ، وما يتحصل منها ، اضطرت القوة الى قطع هذه النخيل جميعها ، وبذلك أذعنوا وقدموا الطاعة فأظهروا أنهم يسالمون الحكومة ، ولكن لا ثبات فى أقوالهم ، فلم يلتفت الى ذلك • وكأنهم فى ذلك يحاولون القضاء عليهم •

كانت الهجومات والحروب تتكرر بعد ذلك من الطرفين ووقعت حروب دامية جدا ، فانفل جيش العرب ، وقتل أكثرهم • ولما تمت القلاع تأهب الجيش للوصول الى ابن عليان للحرب وحينئذ جاء ابن أخيه يرجو الصلح ، والمفتى هناك (محمد الحارث) جاء معه أيضا ، وفى الديوان المنعقد من جانب اسكندر باشا طلبوا ذلك فخلع عليهم الباشا بخلع ثمينة ، وفى الديوان الثانى (الجلسة الاخرى) قيل لهم ان ابن عليان اذا كان صادقا فى طلب الصلح وجب عليه أن يؤدى فى كل سنة لخزانة البصرة خمسة عشر ألف دينار ذهبا ، وان يترك رهائن فى البصرة جملة من أولاد الشيوخ ، فقبل السفراء ذلك وذهبوا • وبهذا تم تسخير الجزائر جملة ، ونهض الجيش والاسطول من هناك فوصل الى المحل المسمى (صاعبة) ، فجاء حينئذ أخو ابن عليان مير سلطان بخمسين سفينة فأظهر الطاعة والانقياد ، وفى هذا المحل وافى أسطول البصرة المتكون من تسعة أغربة مع على باشا فالتقوا هناك ، فنزلوا قلعة (فتحية) ، ومن ثم جاء

السردار من البر وكذا وافى شيوخ الجزائر ورؤساؤهم الى الباشا ، وأعطوا الرهائن ، وأطاعوا ولكن عرب (نهر الطويل) مقابل قلعة الرحمانية لا يزالون على عنادهم وتصلبهم ، ولم يلبوا الدعوة ، وان رئيسهم (فضل) لم يأت الى الوزير ليبدي طاعته • ومن ثم سارت اليه الجيوش ، وطالت المحاربات معه نحو خمسة أيام ، فهلك من العربان هناك ما لايحصى ، وتشتت الآخرون فانتهب الجيش عيالهم وأموالهم ، وأحرق قراهم ، وقطع أشجارهم (نخيلهم) •

وفي محل اجتماع ثلاثة أنهر بنيت قلعة ، وقطعت المياه عنهم • ومن ثم أعطى لواء بواب الى مير سلطان • وفي أوائل رمضان عاد الاسطول الى بغداد ، وأذن للجيش بالاجازة ...[1]

هذا ما قاله كاتب چلبي ، ولم نر هذا التفصيل في غيره ، ولكن من المؤسف أننا لم نعلم العشائر الموجودة آنئذ ، ولم نقف على أخبارها منه ، كما أنه عد هذه الوقعة من الوقائع البحرية ، وهي أول تجربة للأنهر استعان بها الجيش للقضاء على غائلة العشائر ، وأبدى أن المحاربة النهرية لم تكن خارجة عن (أسفار البحار) ، وقد تدعو الحاجة أن تتكرر أمثالها ، وسمى هذه الجزائر بـ (جزائر شط العرب)[2] ومن ثم نعلم ان الجيش استفاد من الأنهر لدفع الغوائل الداخلية والقضاء عليها ، فربح القضية من هذه الطريقة ولكن لم يكن ربحا حقيقيا فقد رأوا من العرب ما رأوا ... وابن عليان هذا من أمراء طيء •

سبق في تاريخ العراق ذكر ابن عليان من أمراء الجزائر وانه من طيء القبيلة المعروفة ، ولم تتغير سلطة آل عليان الى تلك الايام[3] •

شمسي البغدادي :

لم يعين تاريخ وفاته بالضبط الا انه توفي بعد سنة **٩٧٥** هـ فانه في هذا التاريخ كان حيا وقد ترجمه ابنه عهدي البغدادي فقال :

---

(١) تحفة الكبار ص ٨٥ •

(٢) تحفة الكبار في أسفار البحار ص ٨٣ ـ ٨٥ •

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج٣ ص ١١٢ •

«من اهل العلم ، ووالد راقم هذه الحروف (عهدى البغدادى) مشغول ليل نهار بالمطالعة للكتب المتداولة ...واختار القناعة فاعتزل الخلق ، وصار يدعو للسلطان بالعز والرفعة ونظم باسم السلطان ثلاثة دواوين على بحر المثنوى . وكل منها مقبول لدى فصحاء العصر ، وفاق به على فحول الشعراء ، وله قصائد فى نعت الرسول والأئمة الكرام . وله ديوان فى الغزل معتبر عند أصحاب العرفان . وكان ممن ملك أزمة البلاغة فانقاد له البيان . وصار يعد فى مقدمة الادباء الافذاذ ... » اهـ وأورد له بعض المقطوعات الشعرية فى الفارسية والتركيـة .

منهـا :

منجم گرشمارد اختران دائم رقـم گيرد

أگر روى ترابيند حسـاب ازمـاه كم گيرد

وگرحسن خطت راخوش نويسى درنظر آرد

محالست اينكه أزحيرت دگردستش قلم گيرد

الى أن يقول :

سيه چشمان بغدادى بشمسى رهنمون گشتد

كه در ملك عرب سازد وطن ترك وعجم گيرد

ومعناه : أن المنجم أو الفلكى المنهمك بحساب النجوم والمتوغل فى تعدادها دائما ، لو رأى طلعتك لما تمكن من الحساب ولغلط حتى فى البدر وعده ناقصا . ولو أن الخطاط المتقن الخط شاهد خط محياك لاستحال عليه أن يمسك بالقلم لما أصابه من حيرة وذهول . الى أن يقول : ان سود الحدق من البغداديين (يريد العرب الموصوفين بنجل العيون) اهتدوا بشمسى الذى اتخذ بلاد العرب وطنا له فى حين انه من الترك وصار يقتنص العجم .

وقد رأيت له ديوانا باللغة الفارسية فى مكتبة كوپريلى قسم الادبيات رقم

٢٩٤ سماه (منظر الابرار) في مجلد واحد بين فيه أنه مغرم بالآداب الصوفية وعاشق لها ... ويرى أنه ممن تخرج بنظامي وسار على آدابه ... أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

مطلع پرنونور كلام قديم

هركه از وگفت أزل كام يافت

دست بهر كار زد اتمام يافت

وفيه مقالات يتخللها حكايات عن الصالحين وغيرهم وفيها ما يتعلق ببغداد. وفي خاتمته يذكر اسمه ... وهو بخط ابنه عهدي كتبه في جمادى الاولى سنة ٩٧٥ وختمه عهدي بهذا البيت :

دستم بزير خاك چو خواهد شد تباه

بارى بيادگار بماند خط سياه

والكتاب من موقوفات الحاج أحمد ابن الوزير الاعظم نعمان وقد نسب لعهدي غلطا . وعلى كل مواضيعه تنبىء عن قيمة الرجل ودرجة علمه في ايراده الحكايات عن بغداد وأمرائها وغيرهم ... وخط عهدي تعليق جميل ويعد بهذا خطاطا ولم يشر ابنه الى ان والده قد توفي فالظاهر أنه حي الى ذلك العهد ...

وأولاد شمسي وأقاربه :

١ ـ عهدي ابنه .

٢ ـ رضائي ابنه الكبير . مر ذكره .

٣ ـ مرادي ابنه الصغير .

وهم من الشعراء ولهم بعض المختارات .

٤ ـ رندي البغدادي ابن أخي شمسي . ونظمه مقبول .

٥ ـ عبدالملك البغدادي أبو شمسي .

٦ ـ محمد بن عبدالملك المذكور .

وعلى كل ان المترجم والد عهدى . وهذا صهر نظمى البغدادى والاتصال العائلى موجود وأسرته جماعة ومنهم من مر القول فيه ومنهم من سيأتى الكلام عليه فى حينه .

الوالى مراد باشـــا :

ثم عهدت ايالة بغداد الى مراد پاشا . وهذا لم يبين عنه صاحب گلشن خلفا سوى بناء الجامع المعروف باسمه . وكأنه جاء بهذه المهمة فأتمها كما أتم منارة جامع الكاظمين ، وذهب .

حوادث سنة ٩٧٧هـ - ١٥٦٩م

كتـــاب من الاســتانة

ورد فى هذه السنة كتاب من استانبول مؤرخ فى ٢٢ شوال سنة ٩٧٧ الى والى بغداد فى أنه كان قد ورد كتاب الوالى مخبرا أن الأمن والأمان على نصابهما ، وأنه ساع فى تحصيل الاموال الأميرية وتوفيرها فى حين أن الخزانة العامرة الآن فى ضرورة الى المال الوافر سوى أنه من أهم الامور الحاجة الى ملح البـــارود فاذا وصل اليكم الامر فالســرعـة الســرعـة فى ارســال مقدار ثلاثة آلاف قنطار منه ولزوم تحميله على الابل وايصاله بهمة زائدة .. وفى هذا ما يعين الحالة والعلاقة معا(١) .

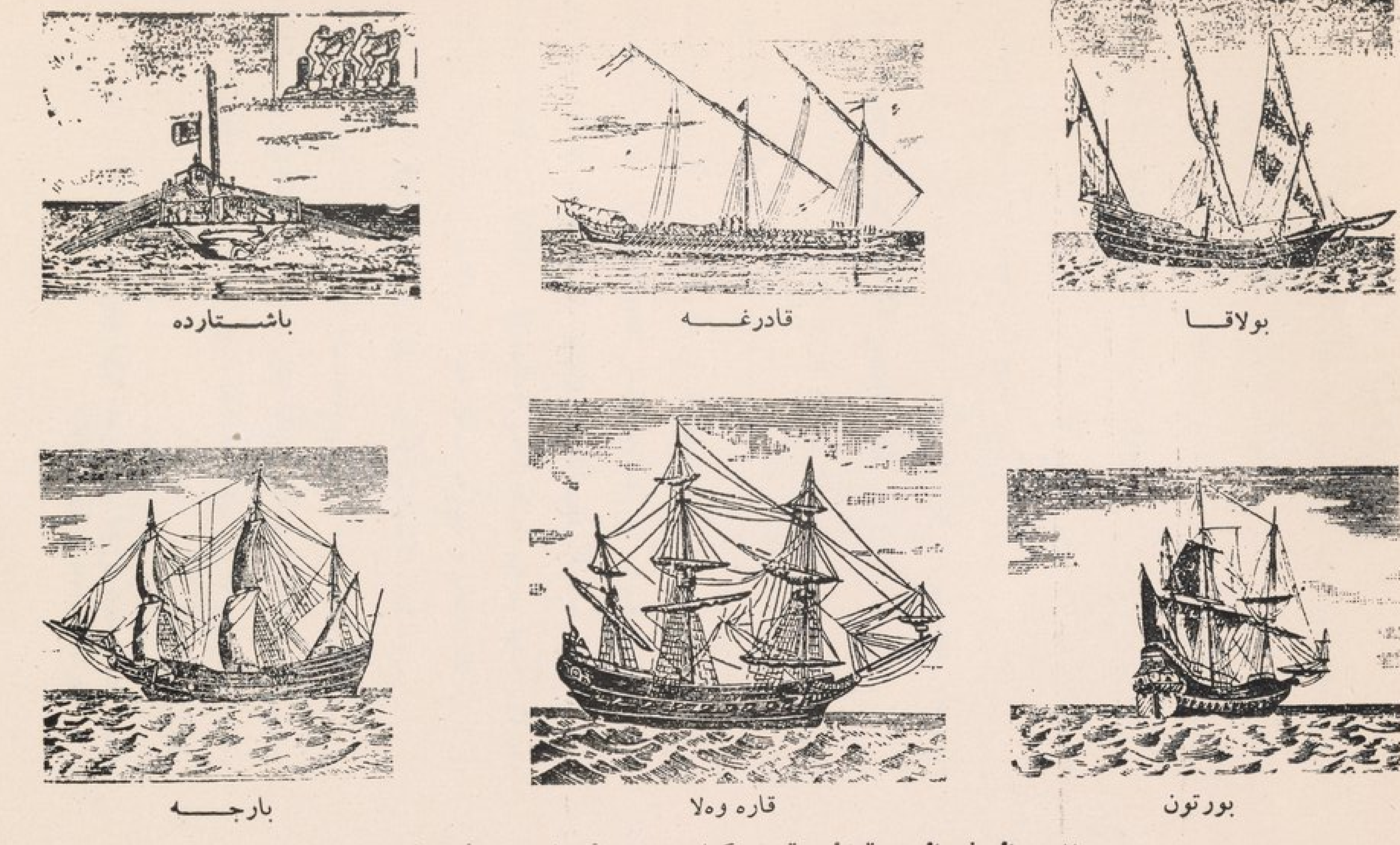
حوادث سنة ٩٧٨هـ - ١٥٧٠م

جامـــع المـــرادية

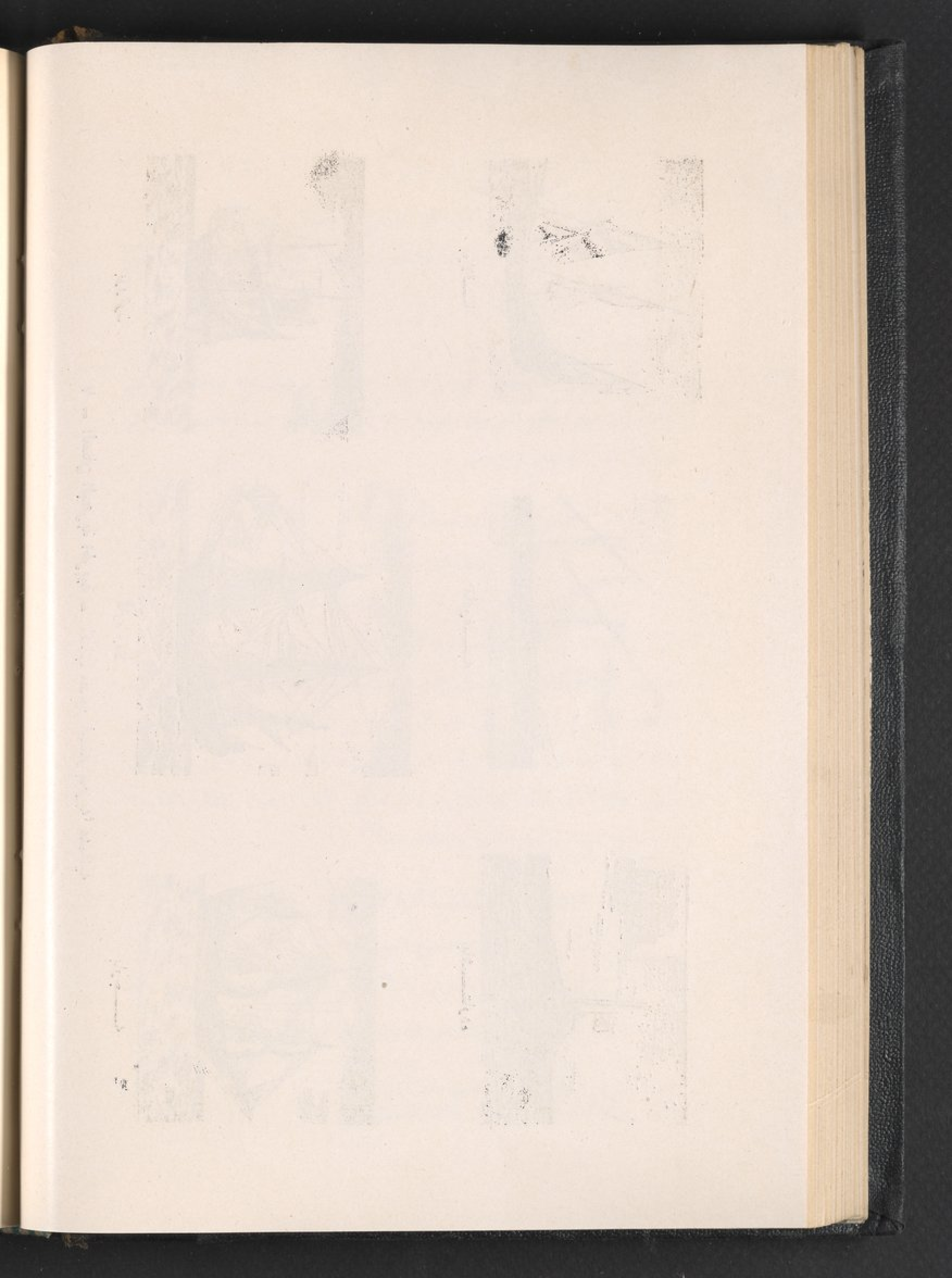
بنى الوالى هذا الجامع وأجرى له الاحتفال . عمر فى محلة الميدان وقد أرخه الشاعر فضلى(٢) ابن الشاعر فضولى فقال :

---

(١) تاريخ أنجمنى مجموعه‌سى عدد (٢) ص ٦٩ .
(٢) مر الكلام عليه عند ذكر والده فضولى .



٧ ـ السفن البحرية الحربية ـ كتاب مصور أسفار بحريه‌ٔ عثمانيه



سلطان جوان بخت سليم أول شه عادل

كم در كهنك خادميدر چرخ معلا

أول سرور اسلام خداوند ممالك

داراى عبادتكه دين وملجأ دنيا

بغداده بر أهل كرمى ايلدى والى

كم قلدى انوك همتى بو مسجد انشا

پاشاى فلك قدر مراد اولكه أزلدن

لطف ايتمش اكا عز وعلا حضرة مولى

فضلى ديدى بو مسجد ايچون صدقله تاريخ

كل مسجده اى پاك مراد ايله تمنى

وذلك سنة ٩٧٨ هـ • والملحوظ ان هذه التعميرات كانت من مالية الوقف وكانت تصرف على المساجد وسائر الاعمال الخيرية • وبهذه التسميات الجديدة تغيرت معالم الاوقاف القديمة ولم يعد يعرف ما كان هناك من مساجد وما كان أصلها لنعرف الصلة بالماضى ومؤسساته • والغاية فى الحقيقة مصروفة الى ازالة تلك المعالم واظهارها بشكل عليه طابع القوم • وان الجامع المذكور لا يزال معروفا بهذا الاسم الى الآن • فيسمى بجامع المرادية ...(١)

وقد أوضحت عنه فى كتاب المعاهد الخيرية • وذكرت ما لحقه من تعميرات وما جاء من شعر فى تاريخه نطق به فضلى بن فضولى البغدادى فكان التعليق فى تاريخ مساجد بغداد غير صحيح لظن المعلق أن فضولى وفضلى واحد •(٢)

---

(١) كلشن خلفا ص ٦٥ ـ ١ ورحلة أوليا جلبى ج٤ ص ٤١٩ •

(٢) تاريخ مساجد بغداد ص ٦٤ •

جامع الكاظميـــة :

فى هذه السنة تمت منارة هذا الجامع وبذلك تم بناؤه فى سنة ٩٧٨ هـ . وكان فى ٦ ربيع الثانى سنة ٩٢٦ هـ قد أتم عمارة المشهد الشـــاه اسماعيل الصفوى ، ولم يتعين لنا تاريخ بناء الجامع واتمامه أيام السلطان سليمان ولقد استمر الى أيام السلطان سليم ، فتمت منارته أيام هذا الاخير . ينطق تاريخها بذلك بلسان الشاعر فضلى ابن الشاعر فضولى البغدادى . وما جاء فى تاريخ مساجد بغداد مغلوط فى التاريخ ، وفى الاعلام والالفاظ . أوضحنا ذلك فى كتابنا (المعاهد الخيرية) . وجاء التاريخ : (أولدى بوجانفزا مناره تمام) فى بناء المنارة سنة ٩٧٨ هـ[١] .

ولم يرد لهذه التعميرات ذكر فى گلشن خلفا .

الوالى على باشـــا الصوفى :

ثم آلت ادارة بغدادالىالوالىعلى باشا الصوفى . وجاء فى سجل عثمانى أنه وليها عام ٩٧٧ هـ وهذا لا يأتلف مع تاريخ بناء جامع المرادية أيام سـلفه والظاهر أنه سنة ٩٧٨ هـ . وذلك بعد بناء الجامع ، أو ان هذا تاريخ التعيين لا الدوام فى المنصب . وقال عنه انه توفى سنة ٩٧٩ هـ وهو من أهالى بوسنة ، تخرج فى البلاط الملكى ، وصار متصرفا فى بعض الالوية ثم صـار مربيـا للشهزاده السلطان سليم وتقلب فى عدة امارات وقضى مدة فى معيةالشهزادة السلطان سليم وأرسل ســـفيرا الى ايران وبعد عودته ولى مصر سنة ٩٧١ هـ وفى سنة ٩٧٣ هـ عزل ثم صار أمير أمراء بغداد وكان عدلا مجتنبا الاطماع ، صالحا ، دينا .[٢] وگلشن خلفا لم يذكر شيئا من وقائعه وانمـا بين أنه ولى بعد مراد باشا ووقف عند ذلك .

الوالى حسين باشـــا :

قال عنه صاحب گلشن انه پتور حسين باشا ولى بعد على باشا الصوفى ، وقال عنه صاحب سجل عثمانى انه من أهالىهرسكوهو (بودور حسينباشا)

(١) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ١١٨ .
(٢) سجل عثمانى ص ٥٠٠ .

تربى في البلاط وصار مير لواء ثم صار أمير أمراء بودين وفي سنة ٩٧٩هـ ولي بغداد وفي سنة ٩٨١ هـ صار أمير أمراء مصر وتقلد مناصب أخرى وتوفي بعد سنة ١٠٠٣ هـ وهو مائل للعدل ، مبتعد عن الظلم ، رافع للبدع . وبنى جامعا في براجه ...(١) » اهـ ونعته في گلشن خلفا بأنه كان رافع البدع وجامع الطرفين . ولم يزد على ذلك .(٢)

الوالي عبدالرحمن باشـــا :

ولي بغداد سنة ٩٨١ على ما جاء في سجل عثماني(٣) وقال عنه : «كان عالما ، ثم صار تذكرجي لرستم پاشا ، وبعدها نال دفترية مصر ، ثم تيمار روم ايلي واثر ذلك وجهت اليه امارة بروسه ، ومرعش . وفي سنة ٩٨١ هـ حصل على منصب بغداد وانفصل عنه عام ٩٨٢ هـ ثم توفي . » اهـ وجاء عنه في گلشن خلفاء أنه معروف بتصلبه وخشونته فشاع بين الناس بـ (عدوالرحمن). نال الولاية من طريق الكتابة والتحرير . وكانت وفاته ببغداد .» اهـ(٤)

حوادث سنة ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م

الوالي علي باشـــا الدرويش

ولي بغداد سنة ٩٨٢ هـ . وهذا الوالي كانت عهدت اليه ادارة الاحساء وولاية البصرة ثم وجهت اليه ايالة بغداد ، ومات فيها . والظاهر أنه توفي في سنته كما يفهم من تاريخ من أتى بعده .

الوالي الوند زاده علي باشـــا

نشأ في سلك الأمراء وولي بغداد سنة ٩٨٢ هـ اثر جلوس السلطان مراد الثالث . وانفصل عنها سنة ٩٩٥ هـ(٥) . ثم ولي ادارة نجد والاحساء

---

(١) سجل عثماني ج٣ ص ١٨٥ .
(٢) گلشن خلفاء ص ٦٥ ـ ١ .
(٣) ص ٣١٢ .
(٤) گلشن خلفاء ص ٦٥ ـ ١ .
(٥) وما جاء في سجل عثماني من أنه ولي سنة ٩٩٩ هـ فانه يخالف صراحة گلشن خلفا مما لا يقبل الريب .

وفي سنة ١٠٠١ هـ انفصل من هناك وسكن حلبا وفي ربيع الآخر سنة ١٠٠٧ هـ[١] ولي بغداد أيضا ، وبعد شهرين في جمادى الثانية توفي ونقل نعشه الى حلب وكان شيخا جليلا من أهل الثمانين . (كذا في سجل عثماني)[٢].
والمستفاد من گلشن خلفا انه أورده في حوادث سنة ٩٨٤ هـ . ولكنه نسب اليه من الحوادث ما جرى سنة ٩٨٢ هـ . وقال صاحب گلشن انه اثر وروده وبأمر من السلطان مراد الثالث عمر جامع الحسين رضي الله عنه سنة ٩٨٤ ومرقده المبارك سنة ٩٩١ هـ ومنارته سنة ٩٨٢ هـ كما انه عمر جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله .. ويستفاد من نص گلشن خلفا انه ولي بغداد سنة ٩٩١ هـ ودام فيها الى سنة ٩٩٥ هـ ... وليس بصواب بالنظر لتاريخ بناء المنارة .

وهذه المنارة وتعرف بمنارة العبد هدمت قبل بضع سنوات أي قبل الحرب العالمية الثانية في سنة ١٣٥٦ هـ - سنة ١٩٣٧ م - ولم يبق لها أثر ، وكانت منارة بيضاء بلا كاشي ، بنيت في الجهة اليسرى من نفس الحضرة .

والحاصل أن الوقائع لم تردنا مطردة . وعلى كل ندون ما جرى على ترتيب السنين بقدر ما نتمكن من تدوينه على أن ما ذكره الغرابي في تاريخه يدعو للالتفات فيما يخص جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني .

حوادث سنة ٩٨٥ هـ - ١٥٧٧ م

حسيني البغدادي

في هذه السنة توفي حسيني البغدادي ، وان المومأ اليه كان آباؤه واجداده من أعيان بغداد ، وحصل هو أيضا على مكانة وغنى ... الا أنه مال الى التصوف واختار العزلة فقطع العلاقة مع الامور الدنيوية فتجول كثيرا في الاقطار فاختل عقله . وكان قد نظم في اللغتين الفارسية والتركية وصف بها الجمال والحسن بأجلى بيان فهو من الشعراء المشاهير

---

(١) الظاهر سنة ١٠٠٦ .
(٢) سجل عثماني ص ٥٠٤ .

ذكره عهدى وأورد له بعض الاشعار والرباعيات الفارسية والتركية(١) ...

ومن هذه الترجمة وغيرها يظهر أن عهدى البغدادى قد زاد فى گلشن شعراء بعد أن أتمه فى سنة ٩٧١ هـ فمضى به الى هذا التاريخ .

حوادث سنة ٩٩١ هـ - ١٥٨٣ م

عمارة مرقد الحسين (رض) وجامعه

فى هذه السنة عمر الوالى مرقد الحسين رضى الله عنه وجامعه . وقد مرت الاشارة الى ذلك . وذكرت التفصيلات فى (كتاب المعاهد الخيرية) . وفى كتاب (تاريخ جغرافياى كربلاى معلى) الفارسى بعض التوضيح .

حوادث سنة ٩٩٣ هـ - ١٥٨٥ م

دفترية عالى أفندى فى بغداد

فى أواخر هذه السنة نال عالى أفندى دفترية بغداد . وهو أديب كامل ومؤرخ فاضـل ، صاحب تاريخ (كنه الاخبـار) فى مجلدات بعضهـا لا يزال مخطوطا ، وله (كتاب مناقب هنروران) وفيه بيان عن الخطوط والخطاطين وهو أيضا من مشاهير الخطاطين وأمثال هؤلاء الفضلاء تأثروا بالقطر وثقافته والادلة على ذلك عديدة . ومؤلفاته كثيرة والمطبوع منها (فصول الحل والعقد وأصول الخرج والنقد) ولم يذكر فيه اسم مؤلفه دامت مدة بقائه فى الدفترية الى سـنة ٩٩٤ هـ فعزل من بغداد . توفى سنة ١٠٠٨ هـ . وترجمه ابن الامين محمود كمال بك بترجمة ضافية فى كتاب مناقب هنروران . وابن الامين كان مدير متحف الاوقاف الاسلامية فى استانبول رأيته هناك سنة ١٩٣٤ م ، أديب فاضل وله آثار كثيرة . وعالى أفندى عرفنا بخطاطين عراقيين فى كتابه مناقب هنروران، وفى أوليا جلبى ذكر له بيتين فى نخيل بغداد(٢) . والموما اليه تأثر كثيراً بالعراق

---

(١) گلشن شعرا ـ عهدى ص ١٥٦ .

(٢) أوليا جلبى ج٤ ص ٤٣٠ .

وكتابه وأدبائه ، ونقل الخط ورجاله ودواوين شعرائه وعرف بهم وهكذا فعل في الممالك الاخرى مما زاد في الثقافة التركية وأضاف اليها آدابا جديدة ...

حوادث سنة ٩٩٥هـ - ١٥٨٦م

الوالي جغالەزاده سنان باشـا

ولي بغداد وقيادتها للمرة الاولى في هذه السنة . وهـذا هو المعروف بـ (سنان پاشا) واسمه الاصلي (يوسف) . كان قد جاء بجيش عظيم ... واثر وصوله سار الى محاربة العجم في أنحاء (چمچمال) فساق الجيوش اليها وافتتح قلعتي (بيلور) و(ناور)(١) فانتصر على العجم وعاد ظافرا ...

حوادث سنة ٩٩٦هـ - ١٥٨٧م

دسفول - نهاوند

وفي هذه السنة استولى الوالي سنان پاشا على دسفول فافتتحها . ثم مضى الى نهاوند فاكتسحها وكانت هذه عاصمة الشاهات . وبعد ان استولى عليها عهد بمنصبها الى كتخداه محمد پاشا وعين لها المهمات والمستحفظين ... وتوجه نحو همذان ونكل بجيوش العجم كثيرا ودمرهم فعاد الى بغداد(٢) ...

وجاء في (عالم آرا) ان چغالەزاده أمير أمراء بغداد ساق جيشا الى نهاوند وسلب ونهب ، وسحب كثيرا من القبائل والعشائر في عليشكر (قطر معروف) الى جبال اللر فأسـكنهم فيها . فأظهر (شاه ويردي) طاعتـه لحكومة الروم (العثمانيين) والاتصال بولاة بغداد . ولما تصالحت ايران مع العثمانيين بقي شاه ويردي على حياله ولكنه أبدى الطاعة لايران ولم يترك بابا من أبواب الحيل الا ولجه ، وآماله مصروفة الى أن ينال حكومة ايران يوما ... هكذا كانت تحدثه نفسـه ...

---

(١) الاختلاف بين النسخة المطبوعة والمخطوطة في هذين العلمين في كلشن خلفا ظاهر ففي المطبوعة كما ذكر وفي المخطوطة جاء (بيلور) و(تادده) .

(٢) ديوان روحي البغدادي ص ١٣ .

جامع الكيلانى ــ تعميراته :

كان هذا الجامع فى الاصل مدرسة لاستاذه أبى سعيد المخرمى • يقع فى محلة باب الازج • ولكثرة الاتصال بهذا الجامع صارت المحلة تدعى بمحلة الشيخ أو محلة (باب الشيخ) • ومنارته البيضاء موجودة من أيام السلطان سليمان القانونى • وقد مر الكلام على تعمير قبة الشيخ عبدالقادر الكيلانى •

ومن أعمال الوالى سنان پاشا تعمير (جامع الشيخ)، ودار السبيل للحضرة الگيلانية ذكر ذلك روحى البغدادى فى ديوانه وبين تاريخا لذلك قال :

« جامع أهل دعا جشمهٔ آب حيات »

قال الغرابى فى تاريخه :

« وبعده أسس سنان باشا بحذاء القبة ــ قبة الشيخ عبد القادرالكيلانى ــ جامعا ولم يتفق له اكماله، وانما بنى منه مقدار ثلثه، وبعد مضى سنوات كمله والى بغداد على باشا الوند فى العقد التاسع من المائة العاشرة ••• » اهـ

وهذا النص يخالف ما فى گلشن خلفا، ومنه ومن غيره تعين لنا أن التاريخ عن الولاة غير متقن ولا مضبوط •

طال أمد تعمير هذا الجامع حتى ظهر بهذه العظمة • فان قبة المصلى كبيرة جدا لا يوازيها فى الاقطار التى رأيتها ما هو بعظمتها وسعتها وجليل بنائها • ويقال انباطنها قد ملىء تبنا وعوض به عن معتمد أو مستند للبنائين فى صنع تلك القبة وبنائها دون استخدام (الصقالة) او (السكلة) •

حوى هذا الجامع ريازة معتبرة كما أنه جمع خطوط خطاطين تصلح أن تعد نموذجا لخطاطينا عدا التزويقات والنقوش •••

وفى الجامع اليوم مدرستان • ويطول الكلام الآن فى التوضيح • وقد فصلنا القول فيه فى كتاب (المعاهد الخيرية) •

١٢٠

الطريقة القادرية

تكية الشيخ عبدالقادر الكيلانى غير منفكة عن الجامع ، وان الدراويش يسكنون الجامع فى حجر خاصة ، وتاريخ تكونهـا قديم يرجع الى تاريخ تكون الطريقة . فهما متلازمان .

والشيخ عبدالقادر الكيلانى كان ورد العراق شابا ، وأخذ العلم من مشاهير علماء بغداد . ومن أشهرهم المخرمى صاحب مدرسة باب الأزج وكان أكثر اتصالا به ، واشتهر بالوعظ كما عرف بالزهد والتقوى ، فصار من العلماء المعروفين ، والوعاظ المقبولين ، خلف أستاذه فى التدريس بمدرسته فمالت اليه القلوب ، ولهج به الناس ، وحصل على الثقة من كافة الطبقات ، ويعد سلوكه المرضى ، وزهده وصلاحه (طريقة) ، عرفت أخيرا بـ (الطريقة القادرية) ونهجها اتباع الكتاب الكريم والحديث الشريف .

وهكذا مال القوم من قديم الزمان الى أهل الصلاح والتقوى ، بحيث صار الناس يقتدون بهم فى زهدهم وصلاحهم ، بل روعيت كافة أعمالهم الدينية ، وتعبداتهم ، فاتخذت نهجا لما نالوه من منزلة مقبولة فى النفوس ، فصار ذلك منشأ الطرائق .. ومنها هذه .

عاصر حضرة الشيخ عبدالقادر جماعة من الزهاد الاكابر ... ثم دخل كثيرون من أرباب الزيغ من غلاة التصوف هذه الطريقة ، فأفسدوا الكثير منها ولم يعهد أن ذم أحد الزهد والصلاح والتقوى الا أن دخول أهل الابطان بين صفوفهم أخرجهم عن نهجهم ، وجعلهم (فلاسفة) من رجال (الافلاطونية الحديثة) لا من رجال العبادة والتقوى . والبر معروف ، والفاجر كذلك . ولم ينجح الغلاة فى التدخل بهذه الطريقة .

نالت هذه الطريقة رغبة لما عرفت بالصلاح والزهد ، ولم يدخلها الغلو المعروف عن الكثيرين من المتصوفة ، فلم تعهد فيها النزعة القائلة بالوحدة ،

أو بالاتحاد ، والحلول ، بل لم يتمكنوا منها ... ونتناول هنا ما قامت عليه من أصول الزهد والصلاح ...

كان الشيخ عبدالقادر عرف بالصلاح ، وذاعت آثاره ، وانتشرت فى الاقطار ومن كتبه (الغنية) ، و(فتوح الغيب) ، وجاءت ترجمته فى كتب عديدة، وبينها ما خلص لذكر مناقبه فى الزهد والتقوى وانه كان مدرسا معروفا ، زاول التدريس والوعظ فى مدرسة شيخه المخرمى ، وكان من علماء السلف ، حنبلى المذهب ، وكذلك كان خلفه الشيخ عبدالقادر ...

ويهمنا أكثر من كراماته ، وما ينسب اليه من خوارق أمر صلاحه وتقواه ، وحوادث وعظه ونصيحته للمسلمين ، فان تلك اعتادتها الطوائف لاكبار صاحب طريقتها أو نحلتها ... وما قيمة من يمشى على الماء ، أو يطير فى الهواء ، ولا يذعن لقدرته تعالى وطاعته بل يدعى ما انفرد به الواحد الأحد ، ويحاول أن يزاحم البارى فى قدرته . فجل ما يصلح أن يكون قدوة للمسلمين التزام الشرع ، وما أوصى بمقتضاه ، وخلصت عقيدته فوافقت القرآن ، ولم تخرج عليه قيد شعرة ، بل ان حسن العقيدة والسلوك المقبول انما يكون فى متابعة أوامر الله ، وما قرره فى كتابه العظيم من اجتناب نواهيه. وهذه هى سبيل المؤمنين ، وطريق المسلمين الصالحين المتقين ، ويشتركون فى اتباع هذه الطريقة . ولا يهمنا عمل الشخص والتزامه أمورا شاقة ليكون قدوة ، وان كانت لا تخلو من حب تفوق .

ويعين طريقته ما مضت عليه فى مختلف العصور من تعاليم قويمة لمريديها ، والراغبين فى سلوكها . أخذها شيوخ عن شيوخ ، ومن هؤلاء يعرف أن شيوخ الجيلى بل أجل شيوخه أبو سعيد المبارك المخرمى (١) الشمطى الحنبلى ، وهو أخذ عن الشيخ أبى الحسن على بن محمد ابن يوسف القرشى الهكارى عن الشيخ أبى الفرج يوسف الطرسوسى عن الشيخ أبى الفضل عبدالواحد بن عبدالعزيز التميمى اليمانى ، عن الشيخ الشبلى ،

(١) ورد فى اجازات الطريقة بلفظ (المخزومى) وليس بصواب . توفى سنة ٥١٣ هـ .

عن الجنيد ، عن سرى السقطى عن معروف الكرخى عن على بن موسى الرضا عن آبائه حتى الامام على بن أبى طالب ... وهؤلاء شيوخهم معروفون . لكل واحد شيوخ متعددون لا محل لتعدادهم . الى أن يتصلوا بالرسول (ص).

ومن تلقيناتهم :

لا آله الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى .

حديث ينقلونه ، ويتناقلونه .

« قل هو الله أحد » .

والوصايا بالذكر : « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ... » .

والصلوات الخمس « أقيموا الصلاة ... » .

ومحبة الله . « والذين آمنوا أشد حبا لله » .

وهذه وصية الشيخ التى يتناقلونها المؤكدة لمراعـــاة أحكام الكتاب ، أوصى بها بعض أولاده فقال :

« أوصيك يا ولدى بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع ، وحفظ حدوده ، واعلم يا ولدى ـ وفقنا الله تعالى واياك والمسلمين أجمعين ـ ان طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة ، وسهل الصدور ، وسخاء اليد ، وبذل النـدى ، وكف الجفا ، وحمل الاذى ، والصفح عن عثرات الاخوان .

وأوصيك يا ولدى بالفقر وهو حفظ حرمات المشايخ ، وحسن العشرة مع الاخوان ، ونصيحة الاصاغر والاكابر ، وترك الخصومة ، لا ترك أمور الدين .

واعلم يا ولدى ـ وفقنا الله واياك والمسلمين أجمعين ـ أن حقيقة الفقر أن لا تفتقر الى من هو مثلك ، وحقيقة الغنى أن تسـتغنى عمن مثلك ، وان التصوف حال ، لا الاخذ بالقيل والقال ، واذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق ، فان العلم يوحشه ، والرفق يؤنسه .

واعلم يا ولدى ـ وفقنا الله واياك والمسلمين ـ أن التصوف مبنى على ثمانى خصال أولها السخاء ، وثانيها الرضا ، وثالثها الصبر ، ورابعها الاشارة ، وخامسها الغربة ، وسادسها لبس الصوف ، وسابعها السياحة ، وثامنها الفقر ، فالسخاء لنبى الله ابراهيم ، والرضا لنبى الله اسحاق ، والصبر لنبى الله أيوب ، والاشارة لنبى الله زكريا ، والغربة لنبى الله يوسف ، ولبس الصوف لنبى الله يحيى ، والسياحة لنبى الله عيسى ، والفقر لسيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أوصيك يا ولدى أن تصحب الاغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل ، وعليك بالاخلاص وهو نسيان رؤية الخلق ، ودوام رؤية الخالق ، ولا تتهم الله فى الاسباب واستكن لله فى جميع الاحوال ، ولا تضع حوائجك اتكالا بأحد لما بينك وبينه من القرابة والمودة والصدق ، وعليك بخدمة الفقراء بثلاثة أشياء أحدها التواضع ، والثانى حسن الآداب ، والثالث سخى النفس . وأمت نفسك حتى تحيى ، وأقرب الخلق الى الله أوسعهم خلقا ، وأفضل الاعمال رعاية التسرى عن الالتفات الى شىء يؤذى الله . وعليك اذا اجتمعت بالفقراء بالتواصى بالصبر . ان الفقير لا يستغنى بشىء سوى الله تعالى .

يا ولدى ان الصولة على من هو دونك ضعف وعلى من هو فوقك فخر ، وان الفقر والتصوف جد فلا تخلطهما بشىء من الهزل .

هذه وصيتى لك ...» اهـ .

هذه الوصية ليس فيها ما يخالف الشرع ، بل كلها تقوى ، واخلاق مرضية ورعاية للسلوك المرضى وتكرار لفظة الشهادة .

جرى هؤلاء على الذكر ، وشيخ الذكر يقال له (شيخ الحلقة[١]) . وليس لديهم الا ترديد (كلمة الشهادة) ، ولا يقصد من ذلك الا رسوخ التوحيد ، وتكرار أمره ، وحسن تلقينه وتلقيه .

---

(١) لا يزال شيخ الحلقة منصبه متوارثا ، وآل شيخ الحلقة معروفون آخرهم السيد محمد نجيب توفى سنة ١٣٦٦ هـ .

وان عاتكة خاتون[١] صاحبة المدرسة رصدت من وقفهـا بعض الغلة الذكر وشيخ الذاكرين ومعه عدد منهم ، والحث على الوصايا الفاضلة التى تصلح أن تكون سـلوكا عاما شـاملا •• وفى آية « اتقوا الله ما اسـتطعتم » ما يؤيد هذه الوصايا ، وقد اتخذ القوم أعماله قدوة ، على أساس آية « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » •

وهنا نقول ان القوم وأمثالهم من أرباب الطرق تجاوزوا الحـد فى الاتباع ، وانما يراد بذلك « سبيل الله » وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وهى « سبيل المؤمنين » يدل على ذلك آية « قل هذه سبيلى ادعو اليها أنا ومن اتبعنى » • فالاخذ رأسا وبلا واسطة هو المطلوب ، وهو سبيل المؤمنين • فلا نعرف سواه حذر أن يشاد أحد فى هذا الدين ، أو يكلف نفسه بما لا يطيقه عامة المسلمين فالانقطاع الى الله مقبول ممن كلف نفسـه ورغب فى ذلك ، واتباع أمره مرضى أيضا فى لزوم الاخذ بما خلق المرء لاجله فلا يمنع من ملاذ الحياة المشروعة • نقل القرآن عن عباده المؤمنين دعاءهم :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عـذاب النار »

وجاء فى أخبار عديدة منها « كل ما ليس عليه أمرنا فهـو رد » ، ويدل على التزام الشرع فاذا كان الشيخ رحمه الله ، ورضى عنه سار على طريقة المؤمنين ، وهى الدين القويم المبين فى القرآن الكريم ، فلا ريب أنه يدعو الى هـذه الدعوة ، وأن يسير كل مسلم على هذا ولن يشاد أحد فى هذا الدين الا غلبه ، فلا شك أنه لا يتأخر لحظة عن اتباع القرآن الكريم ، (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى •••) •

نعوذ بالله من الخروج عن جادة الصواب والغلبة ، وفى هذه الايام شاع فى اتباع هذه الطريقة من خرج عن الصدد وزاغ عن الطريق السـوى ، فصارت متابعة الطريقة أشبه بالخروج عن الاسلام لما دخلها من بدع وشذوذ مما لم يؤثر عليها • نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا • تكلمت فى (عشائر العراق الكردية) عن الطريقة • وهى منتشرة فى الهند وبلاد الترك وسورية ومصر وبلاد المغرب •••

(١) ذكرتها فى كتاب المعاهد الخيرية •

١٢٥

الاسرة الكيلانية

هـذه أسرة قديمة تبتدىء بحضرة الشيخ عبدالقـادر الكيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ • جاء بغداد من جيل فى لواء كركوك وتسمى گيل أو من گيلان وكان من تلاميذ المبارك بن على بن الحسين بن بندار المخرمى بانى مدرسته المعروفة بمدرسة (باب الأزج) أو (مدرسة المخرمى) ، ثم عرفت (بمدرسة الشيخ عبدالقادر الكيلانى) • وتعد أسرته من أقدم الاسر العراقيـة ، عرف مؤسسها بالوعظ والتدريس من أيام وفاة شيخه المخرمى المذكور سنة ٥١٣ هـ، وكان الشيخ حنبليا ويعد من أكابر العلماء فى عصره ، وجاء ذكر معاصريه فى كتاب بهجة الاسرار • ودامت الاسـرة الى اليوم تتولى أوقاف الحضرة القـادرية •

وفى بغداد منها (آل عبدالعزيز) ، و(آل عبدالرزاق) من أولاد حضرة الشيخ الا ان التولية والنقابة كانتا ولا تزالان لهذا العهد بيد (اولاد عبدالعزيز) ابن الشيخ • وفى هـذا العهد أصابتهم نكبات من الدولة الصفوية ، وترك الكثيرون منهم بغداد ، ذهبوا الى مختلف الانحاء الى حلب ، والى الشـام ومصر ، والى استانبول •• وكان ذلك فى أيام دخول الشـاه اسـماعيل بغداد سنة ٩١٤ هـ •

كان تأثيرهم على العالم الاسلامى كبيرا وكلمتهم مسموعة فى بيان فظائع الصفويين • والحق ان هؤلاء لم يمنعهم حنقهم من الوقيعة والنكـاية بالمسلين لأغراض مذهبية •

ومن مشهورى الاسرة جماعة ذكرهم صاحب قلائد الجواهر منهم الشيخ شمس الدين والشيخ زين الدين ، وهم من آل عبدالعزيز أهل التولية والنقابة فى الوقت الحاضر • وفى خلال المدة بين حكم العجم والعثمانيين لم تنقطع علاقة الاسرة بالحضرة الكيلانية مما يتعلق بادارة المدرسة أو الجامع ، والتكية القادرية • فهم شيوخ الطريقة تؤخذ عنهم ومعروفون بالعلم أيضا •

وكل ما عرف من أحوالهم فى هذا العهد ما جاء منصوصا عليه فى قلائد الجواهر . وأشرنا اليه فى تاريخ العراق [١] . ولا نمض دون بيان أن الموقوفات الموجودة التى يتمتع بها آل الگيلانى كانت من موقوفات السيد الشيخ شمس الدين الكيلانى والسيد الشيخ زين الدين الكيلانى من أسرة الشيخ عبد القادر من أولاد عبد العزيز ابنه فى هذا العهد ، وقد أنعم السلاطين العثمانيون انعامات كثيرة فى اعفاء الموقوفات من التكاليف والرسوم الأميرية بل وقفوا عليها الرسوم وقفا ارصاديا ، وجعلوها للحضرة القادرية .

وأما أسرة عبد الرزاق منهم فانها لم تكن لها نقابة ولا تولية فى العهد الذى نكتب عنه ، ولم تنل مكانة الا بعد هذا التاريخ ، فقد زاحموا أولاد عبد العزيز ونازعوهم النقابة ، فتولاها كثيرون منهم ، وفى أيام الوالى محمد نجيب باشا سنة ١٢٦١ هـ عادت النقابة والتولية مستقلة الى السيد على ابن السيد سلمان النقيب من آل عبد العزيز ، فاستقرت فيهم ولا تزال الى اليوم غير مزاحمة لطول عهدها بالتولية والنقابة ...

وعرف من اسرة (عبد الرزاق) السيد على ، والسيد عبد الرحمن ، والسيد عبد العزيز ، ، والسيد رمضان ، والسيد محمود بن زكريا وغيرهم . وأما أسرة عبدالعزيز فقد عرف منها السيد على ابن السيد سلمان ، وابنه السيد سلمان ثم ابنه السيد عبدالرحمن ، والسيد محمود حسام‌الدين ابن السيد عبدالرحمن ، والسيد عاصم . وهو نقيب الأشراف اليوم ابن السيد عبدالرحمن ، ومتولى الوقف القادرى وكان قد زاحمه فى التولية فخامة السيد رشيد عالى الكيلانى . فولى الوقف مدة .

وللتفصيل عن الاسرة الگيلانية موطن آخر .

عزل الوالى سنان باشا :

ثم طوى ذكر هذا الوالى وسماه صاحب سجل‌عثمانى (چغاله زاده سنان يوسف پاشا) وهو اسم ولقب جمع بينهما وقال : « هو من بوسنة ، ابن قبطان

(١) تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الثالث ص ٣٤٣ .

الفرنك جغاله . أخذ والده فى عصر السلطان سليمان وتربى فى البلاط ونال مناصب عديدة منها ولاية بغداد ، وقبطانية البحر وآخر ما عهد اليه سردارية العجم فتوفى بتاريخ رجب سنة ١٠١٤ هـ . وكان محاربا جسورا ، وله ابن اسمه محمود باشا . »(١)

دامت ولايته الى سنة ٩٩٨ هـ فعزل .

الوالى قاضى زادة على باشــا :

ولى بغداد سنة ٩٩٨ هـ ، وبعد أن عزل حصل على منصب بودين وهكذا تقلب فى مناصب عديدة وتوفى سنة ١٠٣٢ هـ وكان صادقا ، متدينا ، عاقلا(٢) .

وهذا لم يذكره صاحب گلشن خلفا . وانما مضى رأسا الى جغاله زاده سنان پاشا . والحال ان روحى البغدادى ذكره فى ديوانه ص ١٥ . ومن الغريب أن مرتضى آل نظمى لم ينقل من ديوان روحى البغدادى ، ولعله لم يصل اليه . وجاء فى روحى البغدادى تاريخ ولايته وتصادف هذه السنة التى ذكرها صاحب سجل عثمانى . وتاريخه :

« على پاشاى عادل حامىء دار السلام اولدى » .

قضاء بغـــداد :

فى هذه السنة ولى (قضاء بغداد) رضوان أفندى وهذا جعل الملا غانما البغدادى مدرسا فى المدرسة المستنصرية(٣) .

حوادث سنة ٩٩٩ هـ — ١٥٩٠ م

جغاله زادة سنان ـ ولايته الثانية :

فى هذه السنة ولى بغداد جغاله‌زاده سنان پاشا مرة ثانية وكان كاتب ديوانه (حسن افندى) ولروحى البغدادى قصيدة فى مدحه أطرى فضله وتفوقه فى

---

(١) سجل عثمانى ص ١١١ ج ٣ .
(٢) سجل عثمانى ج ٣ ص ٥١٠ .
(٣) فذلكة كاتب جلبى ج ٢ ص ٦ .

الشعر والكتابة[١] ... وان الوالى سنان پاشا رأى العجم استعادوا نهاوند فتقدم نحوهم وسار اليهم فافتتحها وكان جيشه متكونا من عسكر بغداد وقليل من عسكر شهرزور ومن ثم عين لها أمير أمراء ، وجيشا وقام بما لزم لتنظيم ادارتها. وفى هذه الاثناء كان حاكم لرستان (شاه ويردى خان)[٢] وهذا أصابته من الوالى ضربة موجعة كما أن هذا الوالى أسر حاكم همذان قورقمز خان وعاد منصورا ، قص ذلك كله فى كتاب عرضه لدولته ونقله صاحب گلشن خلفا . مدحه روحى البغدادى بقصيدة فى فتح نهاوند وبأخرى رحب بها بقدومه[٣] ...

خان جغان والقهوة والسوق :

وبعد أن أتم حروبه مع العجم عاد الى بغداد بالغنائم . عمر فيها خانا وقهوة وأسواقا فى أطرافهما . قال صاحب گلشن ولا يزال هذا الخان معروفا (بخان چغاله زاده) . مدحه عليه شعراء ذلك الزمن بأشعار تركية . وأقول كان هذا الخان قائما ويسمى خان الصاغة أو (خان جغان) بتحوير طفيف فى أصل اللفظ ولكنه فى سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ قلع من أصله وبنى مجددا واتخذت فيه أسواق لبيع الاقمشة الحريرية وما ماثلها ولم يبق منه للصاغة الا قسم قليل . امتلكه السيد مناحيم دانيال صاحب المبرات العديدة والصديق السيد صالح قحطان المحامى وشركاء آخرون .

وكان كتب على بابه حين بنائه :

« عمر هذا الخان وما فيه من البنيان فى أيام دولة السلطان ابن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه وأفاض على كافة العالمين عدله واحسانه ٩٩٩ » اهـ .

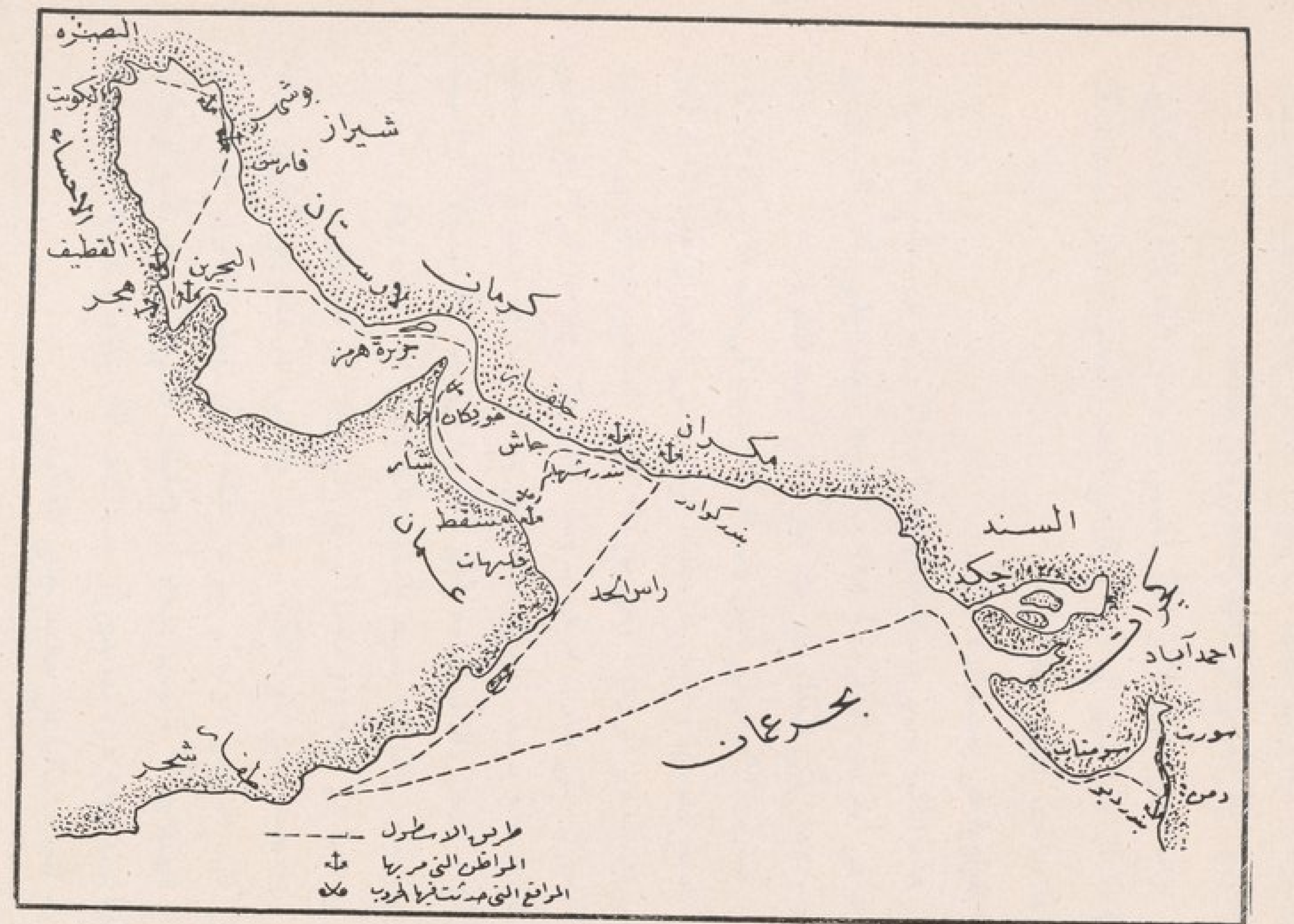
والملحوظ ان ذلك كان أيام السلطان مراد الثالث ، وهو بخط الخطاط

---

(١) ديوان روحى ص ٤٧ .

(٢) **كان شاه ويردى يلعب على الاثنين . يرى ضعفا فى حكومة ايران . ذكر ذلك صاحب (عالم آراى عباسى) الا أنه مال للايرانيين حينما رأى أن الشاه نظم داخلية ايران على أحسن ما يرام فأخذ يميل اليه ويتوسط لقبوله وقد وسعنا القول فيه فى (تاريخ اللر الفيلية) .**

(٣) **ديوان روحى ص ٢٠ الى ٢٥ وگلشن خلفا ص ٦٥ - ٢ .**



٨ - خارطة المواقع التي مر بها سيدي علي رئيس من البصرة الى بر العرب فالهند

العراقى صاحب الثلاث تسعات عبدالباقى المولوى المعروف (بقوسى) وكانت هناك كتابة تركية زالت معالمها ولم يبق الا ما ذكر مما عثرنا عليه . أوضحت فى (تاريخ الخط العربى فى العهد العثمانى) عن خطاطه .

وأما القهوة فهى الآن الخان المسمى بـ (خان الكمرك) وكانت عليها كتابة الا أن هذه نقلت الى دار الآثار فى القصر العباسى . وهى أبيات تركية ذكرها صاحب گلشن خلفا[1] .

تكية المولوية فى بغـــداد :

هذه التكية تسمى (المولاخانه) أيضا . والآن تعرف بجامع الآصفية . عمرت فى أيام هذا الوالى سنة ٩٩٩ هـ عمرها محمد چلبى كاتب الديوان فى بغداد . وهذا يأتى الكلام عليه عند بيان وقائع أحمد الطويل .

تضاربت الاقوال فى أصل هذه التكية المسماة فى هذه الايام بالمولاخانه ، وفى تاريخ تأسيسها . وجل ما تحققناه من نصوص عديدة ان هذه التكية كانت تسمى (رباط دير الروم) . وهى من بناء الخليفة المستنصر بالله العباسى ، وتقلبت بها الاحوال حتى صارت تعرف بـ (تكية المولوية) . وما جاء فى تاريخ الغياثى عن القلندرخانة يستبعد أن يكون هذا المحل مع اننا ظننا انها قد صارت قلندرخانة (تكية) . أوضحنا ذلك فى المعاهد الخيرية . ثم صارت (جامع الآصفية)[2] والتسمية الاخيرة لداود پاشا فانه عمرها فأضيفت اليه باعتبار أنه آصف وقته . ذكرنا ما جرى عليها فى أيامه وأوضحنا الوثائق التى دعت الى تعميرها .

ومحمد چلبى بانى التكية لم يعرف عنه شىء غير قتلته ابن الطويل ، وانه كان كاتب الديوان ، ولو لم يتعرض لقتلة الوالى المتغلب لما عرف بل كان فى عداد المهملات[3] . ومما علمناه أن (الخطاط قوسى) كان قد كتب لوحا فى التكية سنة ٩٩٩ هـ ، مما يعين أن هذه التكية كان بناؤها سنة ٩٩٩ هـ . وهذا تاريخ تجديد بنائها من محمد چلبى المذكور .

---

(١) كلشن خلفا ص ٦٦ــ١ .
(٢) تاريخ العراق ج ٢ ص ١٠٥ .
(٣) كلشن خلفا ص ٦٦ ــ ٢ .

والملحوظ ان هذه التكية تخرج منها خطاطون عديدون بل أساتذة أكابر من شيوخها كان لهم الذكر الجميل في جودة الخط واتقانه • وقد تعرضنا لذكر جماعة منهم في كتابنا (تاريخ الخط العربي في العراق) • وسنتناول بعض المعروفين في الطريقة خاصة وفي مواهب أخرى •

الطريقة المولوية

ولما تعين لنا بناء تكية هؤلاء المتصوفة في بغداد لزم أن نتكلم في أصل هذه الطريقة وكيف نالت شهرتها في المملكة العثمانية مع أنها لم يستقر لها قدم ثابت في بغداد ولم تنل رواجا ، وذلك أن الموظفين الواردين من الآستانة كان كثير منهم ينتسبون الى هذه الطريقة الا أنهم لم يؤثروا التأثير الكافي ولأنهم في عزلة ، عن الاحتكاك بالاهلين • ومن جهة أخرى لم تقبلها نفوس الاهلين ومع هذا لا يزال في هذا الحين وبعده بمدة طويلة لها شيوخ تجرى على مراسيم القوم وتقاليدهم المعروفة • لا سيما وقد رأوا من رجالها خدمة لا تقدر •••

والمولوية شائعة في بلاد الترك وكان رئيس الارشاد يقلد السلطان سيفه اثر جلوسه على العرش ومؤسس هذه الطريقة جلال‌الدين الرومي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ اشتهر بكتابه (المثنوى) ويحتوى على أكثر من ٤٧ الف بيت • وله ديوان أيضا في ثلاثين الف بيت • وهو في الاصل من خراسان • ولد ببلخ • وخراسان في الاصل منبع الغلو وكان قد لقن تصوف (فريدالدين العطار) حفظ كتابه (أسرارنامه) • و(تصوف الحلاج) ، وأخذ عن ابن عربي ، وعن القنوى والغلاة أمثال هؤلاء • اتصل (بشمس‌تبريزى) فلم ينفك أحدهما عن الآخر والمتصوفة يقولون انه كان قد استولى عليه العشق الآلهى (الجذبة) • وغيرهم يقول انه قد تبله الشمس‌التبريزى حبا واستأسره في عشقه فامتلك مجامع قلبه حتى أنه يقال ان ديوان الشمس التبريزى قاله جلال‌الدين على لسانه ونطق باسمه • ويدل شعره على أنه من الغلاة أرباب نحلة الاتحاد والحلول من الباطنية • ونبه العلماء على لزوم نبذه ••• أما صناعته الادبية فهي ليست براقيـة تماما ولكن الرغبة مصروفة الى ما فيه من غلو وعقيدة باطنية •

يدعو لنبذ التقليد ، وطرح العقيدة الموروثة ويريد أن يستميل بهذه الى طريقته • وهي لم تكن بالامر الجديد ولا الغريب •

ومن وقف على آراء فريدالدين العطار ، وسائر الغلاة عرف طريقة هؤلاء وتلخص في صد الناس عن القرآن الكريم تارة بتأويل أحكامه ، وصريح نصوصه الى ما يخرجها عن معناها ، وطورا بتلقين عقائد وحدة الوجود والحلول والاتحاد وآونة بترك الفرائض والرسوم الشرعية بزعم أنها لا تخصهم وانهم الواصلون فلا تسرى الاحكام عليهم وأمثال ذلك مما يدخل في دعوة أهل الابطان ••• ولا يترددون في تسمية أنفسهم أنهم من أهل الباطن ، ورجال الشرع والدين من أهل الظاهر • فلا فرق بين هؤلاء وبين فرق الباطنية المتكتمة الا أنها جاءت بشكل توهم أنها غير تلك • وأما السماع ، والرقص وما يتعلق بهما من ناى أو عود فانه تلاعب باسم الدين ولهو لا يرضى به الله « اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور • » وفي (رسالة ناصحة الموحدين وفاضحة الملحدين) للعلاء البخاري ما يبين عن أغراضهم وفيه رد عليه وعلى محيي الدين ابن عربي والحلاج • والكتب عنهم وعن أضدادهم كثيرة جدا لا محل لاستقصائها •••

ومن الكتب المؤلفة في المولوية باللغة التركية (حديقة الأولياء)•منها رسالة خاصة (بالمولوية) ولعبدالغني النابلسي (العقود اللؤلؤية في الطريقة المولوية) كتبه باللغة العربية • وباللغة الفارسية نفس (المثنوى) ، و(مجالس سبعه مولانا) ، و(مكتوبات جلال الدين الرومي) • وهذه كتبت باللغة الفارسية • والمخطوطات والمطبوعات في هذه الطريقة كثيرة جدا •

وهؤلاء توغلوا في المملكة العثمانية ، وعمروا تكايا اصطادوا بها كثيرين ، ونسبوا لشيوخها تصرفات وكرامات ••• الا أن العرب لم تمض عليهم مغازى هؤلاء فكانوا في دائرة ضيقة لم تلبث أن زالت من العراق ولم يبق الا اسمها •••

وهذه الطريقة ثلاث شعب :

١ ـ الجلبية •

٢ ـ القلنـــدرية •

٣ ـ الددويـــة •

وفي ايران الطريقة الجلالية تنسب الى جلال‌الدين نفسه • وعندهم المثنوى لا يعادله كتاب • وهم كثيرون • وطبع المثنوى عندهم مرات •

جامع الصاغة أو جامع الخفافين ومدرسته :

يعرف اليوم بـ (جامع الصاغة) أو (جامع الخفافين) • وكان هذا الوالي قد عمره • وفيه لوح كتب لمدرسته سنة ٩٩٩ هـ ، وهو بخط الخطاط الشهير في ذلك العهد (قوسي البغدادي) ونصه « انما يخشى الله من عباده العلماء ••• » لا يزال ناطقا بتاريخه •

يعد من الجوامع القديمة • ونسي اسمه الاصلي ، فتضاربت الآراء فيه • والصحيح أنه (مسجد الحظائر) من تأسيس أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي • والمدرسة في هذا الجامع قديمة • ويرجع تاريخ تجديدها الى هذا العهد • واللوح المذكور يشير الى ذلك • والتعميرات الجديدة من عمل آل الپاچه‌چي • والتفصيل لا يسعه هذا المقام • والتولية على الجامع اليوم بيد آل مصطفى سليم •

دار القرى :

هذه من عماراته أيضا دامت الى ما بعد السلطان مراد الرابع • ذكرها أوليا چلبي في رحلته • ولم يبق لها الآن أثر • قال أوليا چلبي انها لا تزال موجودة أي في أيامه الى سنة ١٠٦٧ هـ ، ولا شك أنها دامت الى ما بعد هذا التاريخ (١) •

عزل الوالي :

ثم ان هذا الوالي انفصل عن ولاية بغداد ولم يعرف عنه أكثر من أنه حارب العجم ، أراد أن يستفيد من حالة ايران المضطربة فلم يتمكن أكثر مما أشير اليه • وبعودته صرف جهوده للعمارة فبنى الخان وتوابعه • ولروحي قصائد فيه مذكورة في ديوانه (٢) •

---

(١) أوليا چلبي ج ٤ ص ٤٢٠ •

(٢) كلشن خلفا ص ٦٥ ـ ٢ •

حوادث سنة ١٠٠٠ هـ - ١٥٩١ م

والى البصرة

جاء فى سجل عثمانى ج٣ « ان سنان باشا ولى البصرة سنة ألف وعزل منها سنة ١٠٠١ وكان رئيس بوابين أيام محمد باشا الصوقوللى وقد استشهد فى الحرب سنة ١٠٠٧ هـ وهو أمير أمراء مرعش (١) . وهذا لم تتعرض له نصوص التواريخ الاخرى .

حوادث سنة ١٠٠١ هـ — ١٥٩٢ م

الوالى جعفر باشا

وفى هذه السنة قد ولى بغداد (خادم جعفر پاشا) . قال فيه صاحب گلشن خلفا انه حكم ايالة تبريز لمدة ثمانى سنوات فكانت مساعيه هناك مشكورة ، وله حروب مع ايران مشهورة . فانعم عليه السلطان بمنصب بغداد .

حوادث سنة ١٠٠٢ هـ — ١٥٩٣ م

عهدى البغدادى

فى سنة ١٠٠٢ هـ توفى عهدى الشاعر الكاتب المؤرخ المشهور ، ابن شمسى البغدادى المذكور فى حوادث سنة ٩٧٥ هـ . وأكثر ما عرف برحلته العلمية الى استانبول (گلشن شعراء) المسماة (تذكرة أرباب الصفا) ، وفيها أبدى من المقدرة والعلم الغزير ، والانتباه القوى فى نعوت الأدباء والعلماء ، ورجال الدولة باستانبول كما انه عرف بوالده ، وببغداديين كثيرين . عندى نسخة مخطوطة منها ، وكذا فى المكتبة العامة باستانبول نسخة أخرى . والترك اليوم يعولون عليها فى تراجم المعاصرين ممن عرف بهم .

ان المؤلف ذهب الى استانبول سنة ٩٦٠ هـ وعاد الى بغداد سنة ٩٧١ هـ واتصل فى طريقه بمختلف الطبقات واستطلع ما عندهم من علم وأدب وفضل . عاشر ضروب الناس من أرباب المشارب فلم يترك شيخا الا تحرى ما لديه ولا شابا الا سبر نياته ، ولا أرباب المناصب الا أخذ من معارفهم ولا أهل

(١) سجل عثمانى ص ١١٠ .

التصوف الا اقتبس منهم فحصل من المعرفة صنوفا ، ومن العلوم أنواعا فوقف على ما عند أهل الدنيا، وما في خزائن أهل الزهد والتقوى من رجال الآخرة ...

وصل الى استانبول فرأى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ... وبين أنه لم يتمكن من تدوين كل ما رأى من فضل وأدب جم ، ومعرفة غزيرة . فكانت هذه - كما قال - عجالة سريعة، ونزرا قليلا تنبيء عن معين لا ينضب .

اكتسب ما اكتسبه من مجالسة الشعراء المجيدين ، والامراء الكرام ومن معاشرة العلماء الأبرار ، ومن مصاحبة أهل الفصاحة والبلاغة من عنادل البيان ، ومن الاطلاع على أغاريدهم اللطيفة . كل ذلك بطريق المحادثات ، أو المطارحات الشعرية ، أو المذاكرات العلمية ...

وفي هذه كان طالبا متتبعا لازم القوم حتى أتقن لغتهم وتمكن أن يحذو حذوهم حتى صار كأحدهم بل صار فريدا في الشعر ...

وفي سنة ٩٧١ هـ دعاه داعي الوطن وحبه من الايمان فقال في التشوق الى بغداد :

دل از طوربتان روم چون عهدى پريشانست

هواى ديدن بغداد وخوبان عجم دارد

يقول انه مغرم بجمال الروم الا أن هوى بغداد والشوق اليها والى الحسن الفارسي ملك زمام لبه وأخذ بمجامع قلبه فمال به . وقال :

- انني عزمت الى العودة فدونت ما خطر لي من خواطر وما عن لي عن السلاطين العظام ، والعلماء الفخام ، وأرباب الدولة والشعراء الأخيار مما جرى في مجالسهم وما عرفته عنهم وما اقتبسته من صحبتهم فجعلته في أربع روضات أكتبها حسب الطاقة وأجمعها من أوراق متفرقة ...

جعل الروضة الاولى في بيان صفات السلطان العادل وابنائه ذوي الخصال الجميلة ، والروضة الثانية في علماء زمانه العظام والموالي الكرام والمدرسين النبلاء ، والروضة الثالثة في الأمراء والدفتريين ومنتخبات أشعارهم ، والروضة

الرابعة فى مشاهير الشعراء مرتبا لها على ترتيب حروف الهجاء مع ذكر نتف من اشعارهم •

وفى هذه الروضات أورد مقدارا وافرا من شعره ••• ثم انه قدم كتابه الى السلطان متوسلا قبوله • قال :

جمع ايدوب أرباب نظمى ايتدم أول سلطانه عرض

عادت أولمشدر صونر بندهشه دورانه عرض

خاكپايندن بتر مقصودى أرباب دلك

نوله صونسه خاكپايه عهدى فرزانه عرض

والمؤلف لم يكتف بذكر رجال الروم وعلمائهم بل تعرض للبغداديين ممن نبغ فى أدب أو علم وأضاف ترجمة والده شمسى البغدادى وبعض من لهم به لحمة نسب أو اتصال أدب وكثيرين ممن لا يزالون فى خفاء عنا أو لا نعلم عنهم شيئا كثيرا ، أو أكثر مما بينه بل لم يقف عند تاريخ هذه التذكرة وانما زاد عليها • وتجاوز التاريخ المرسوم لها •

وهذه قائمة بأسماء من ذكرهم مع بيان نتف يسيرة عنهم :

١ ـ داعى • بغدادى المولد وفى الأصل من الفرس المدرسين • ذكر فى كشف الظنون له ديوانا •

٢ ـ حقيقى بك • من الامراء ولد ببغداد واسمه مصطفى وهو ابن عم عثمان بك ترك بغداد أيام خضر پاشا سنة ٩٦٣ هـ لمنافرة حدثت بينه وبين الوالى وكان (قوللو أغاسى) ، ومن أمراء الألوية • له شعر فى الفارسية والتركية •

٣ ـ فكرى بك • ولد ببغداد وهو من البيكات الممتازين • أبوه سنان الطويل الذى كان فى خدمة السلطان ثم صار واليا ببغداد ، وله أشعار فى اللغات الثلاث • فقد بين عهدى أحد أولاد سنان پاشا المترجم ، ولم يعرف له ذكر فى المؤلفات الاخرى • وسيأتى ذكر ابن سنان الطويل أعنى سنان پاشا وهو (محمود پاشا) الذى تنسب اليه (المحمودية) •

٤ ــ سليمان أفندى • من العلماء دخل فى سلك الحكومة فقام بوظائف كثيرة • ثم صار دفتريا ببغداد • شاعر وأديب •

٥ ــ أكرم بك ابن قايتمز بك • من بغداد وأصل نسبه من قره قويونلى • ابن عم على پاشا والى بغداد • شاعر فى اللغات الثلاث صاحب عهدى فى الأستانة •

٦ ــ محمد بك • من غلمان السلطان سليمان • عين دفترى تيمار اتخذ لقب (فيضى) عنوانا له • مشهور فى النظم والنثر •

٧ ــ أحمد الحريرى من العلماء • بغدادى ، وهو صوفى مشهور •

٨ ــ أحمد ظريف ، بغدادى • ينتسب الى العالم المشهور المولى محمد الشيرازى •

٩ ــ آتشى • بغدادى • من أرباب الصناعة وهو شاعر •

١٠ ــ جوهرى • بغدادى وهو السيد حسنى شاعر أيضا •

١١ ــ ابن رفيق • من بندنيج دخل فى السپاه ببغداد وهو صوفى شاعر ذهب الى بلاد الروم عدة مرات •

١٢ ــ حسينى • من أعيان بغداد ومن عشاق المتصوفة • توفى سنة ٩٨٥ هـ •

١٣ ــ خادمى • بغدادى من محلة قنبر على شاعر صوفى •

١٤ ــ ذهنى چلبى • بغدادى اسمه عبدالدليل شاعر اشتهر بالموسيقى •

١٥ ــ روحى البغدادى • أشهر من قفا نبك شاعر معروف اسمه عثمان • رومى الأصل ومن مماليك اياس پاشا والى بغداد • ولد ببغداد وتزوج فيها • دخل فى المتطوعين وتوفى سنة ١٠١٤ هـ وديوانه مطبوع يأتى ذكره •

١٦ ــ ضائعى • بغدادى من أهل العلم • ثم مال الى الشعر بكليته •

١٧ ــ طرزى • من أهل دزفول • ورد بغداد بأمل السياحة ولكن طاب له الوطن فأقام وهو صديق حميم لعهدى • ويعد من حلالى المشاكل فى الآداب •

١٨ ـ فضولى البغدادى • هو محمد بن سليمان شاعر مشهور فى الفارسى والتركى والعربى اشتهرت دواوينه • توفى بالطاعون سنة ٩٦٣ هـ وفى كشف الظنون سنة ٩٧١ هـ • مر الكلام عليه •

١٩ ـ فضلى بن فضولى البغدادى • شاعر كوالده •

٢٠ ـ كلامى • كربلائى شاعر صوفى كان فى الخانقاه فى مشهد الحسين (رض) نزعت نفسه الى التطلع الى العالم ومشاهدة الاقطار • يعرف (بجهان دده) والظاهر ان آل الدده فى كربلاء الآن ممن يمتون اليه والخانقاه لا يزال فى أيديهم • وهم فى الأصل من البكتاشية •

٢١ ـ نادرى • بغدادى الأصل سكن الموصل وهو شاعر أيضا •

٢٢ ـ محيطى • من القضاة ولد فى جزيرة رودس • ودرس العلوم عن بوستان زاده محمد چلبى من الموالى العظام تولى النيابة فى الشام وأدرنة والأستانة أمدا طويلا • وقد تقلب فى مناصب شرعية حتى صار قاضى الفيلق• وله وقوف على العلوم العربية وشعر لطيف وعين ابنه أحمد أفندى دفتريا لبغداد سنة ٩٩٦ هـ • ذهب لزيارة مشهد الحسين (رض) ونظم قصيدة فى الغزل قدمها للحضرة • شعره فى الغزل معروف • ومقطعاته جميلة رقيقة وله (فتح نامه) تتضمن وصف الحروب فى الجبهة الشرقية • فكان ممن توطن بغداد •

٢٣ ـ نصرتى • من الفرس توطن بغداد مدينة السلام مدة طويلة وهو ابن أخت المولى الرازى الشيرازى • وكان يحفظ خيار الشعر •

٢٤ ـ والهى البغدادى • من زمرة أرباب الاقلام • كان من أهل المعارف والعلوم • وسعى سعيه للتحصيل وله شعر لطيف رقيق •

هذا ما أمكن الاطلاع عليه فى تذكرة عهدى من بغداديين •

أما عهدى فانه شاعر أديب ومؤرخ • أما اطلاعه على التركية ، فمما لا نزاع فيه •• وكذلك يقال عن تضلعه فى الفارسية• ولا ريب أنه يتقن اللغة العربية • فانه عاش فى محيط عربى •

ذكره مؤرخون عديدون كصاحب (قاموس الاعلام) . و(صاحب سجل عثمانى) ، و(كشف الظنون) فى مادة تذكرة الشعراء و(عثمانلى مؤلفلرى) وغيرهم وبينهم روحى البغدادى ذكره فى ديوانه وأطراه اطراء عاطرا . وكفى أن يعرف كتابه گلشن شعرا .

ويصح أن يعد من أول السياحين العراقيين الى بلاد الترك فى عهد العثمانيين كتب رحلته العلمية فجاءت بأفضل المطالب وأجل المباحث وان كانت ليست من نوع السياحات التى تعين موطن الحركة والقيام والقعود والأيام والليالى ، ولكنه كتب كل ما أراد ، وأوضح عن القطر التركى بل عن استانبول ايضاحا لم يسبق اليه .

حوادث سنة ١٠٠٣ هـ — ١٥٩٤ م

الشيخ عبدالله الكردى البغدادى :

اشتغل بالعلوم أولا وفاق بها أقرانه ثم غلب عليه الحال ورمى كتبه فى الماء وسلك الطريقة ، نزل دمشق وعزيت اليه فيها كرامات . كذا قال صاحب خلاصة الأثر وبئس ما فعل . توفى سنة ١٠٠٣ هـ تقريبا(١) .

حوادث سنة ١٠٠٥ هـ - ١٥٩٦ م

البصرة ــ حكومة افراسياب

مر بنا ذكر ولاة كانوا حكموا البصرة . أكثرهم لا نعلم عنهم شيئا مهما . ومن هؤلاء الولاة (على پاشا) حكمها الى سنة ١٠٠٥ هـ وان وقائعها خلال الحكم العثمانى متقطعة فلم تصل الينا تامة ، بل بقيت فى غموض فالمدونات عنها قليلة جدا تكاد تكون معدومة وغاية ما نعلمه أنها بيد المتغلبة وليس للوالى أمر أو نهى الى أن انتزعت تماما ... أما بعد هذا التاريخ فقد وصلت الينا وثائق مهمة مثل

(١) خلاصة الاثر ج ٣ ص ٨٥ .

(زاد المسافر ولكنة المقيم والحاضر)(١) و(منظومة فى آل أفراسياب)(٢) فى تاريخ وقائعهم الاخيرة وفيها مطالب مهمة ، وكذا (كتاب قطر الغمام) ووقائع تاريخية مفرقة فى كتب كثيرة كلها تبحث فى أيام تغلب هذه الامارة على البصرة. أما العثمانيون فلم يتعرضوا الا لما وقع فى أيامهم ولا يهمهم غير ذلك ...

ومن مطالعة هذه الوثائق تبين أن والى البصرة (على باشا) باع البصرة بدراهم معدودة الى أفراسياب ومضى لوجهه ولم يذكر عنه العثمانيون شيئا يستحق التدوين سوى هذه الصفقة الخاسرة .

يقال ان أفراسياب كان كاتبا للجند المحافظ فى البصرة . وان الاهلين قاطعوا واليهم ، وأضربوا عن الاختلاط به أو الرجوع اليه ، وبسبب ذلك قلت مداخله وعجز عن القيام بأرزاق الجند وأقواتهم فلم ير بدا أن يبيع البلدة من أفراسياب بثمانية أكياس رومية(٣) وكان الكيس ثلاثة آلاف محمدية على أن لا يقطع اسم السلطان من الخطبة فرضى بذلك أفراسياب واشترى البصرة وذهب حاكمها الى استانبول سنة ١٠٠٥ هـ .

ومن العبث فى حال كهذه أن نلتمس لهذا المتغلب أصلا بعد معرفة الطريقة التى توصل بها أو أن نركن الى الاقوال فى ذلك فهو عصامى حصل على الحكومة وصارت تدعى باسمه (الافراسيابية) أو (السيبية) ، وتنسب اليه بعض

---

(١) طبع فى بغداد سنة ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ م بمطبعة الفرات . وكان عنى بتصحيحه وترتيبه الاستاذ خلف شوقى الداودى صاحب جريدة شط العرب . ويأتى الكلام عليه فى المجلد الآخر من هذا الكتاب .

(٢) وهذه نظم العلامة الشيخ ياسين بن حمزة آل شهاب البصرى الشافعى ذكر فيها واقعة حسين باشا ابن على باشا آل افراسياب فى البصرة وما جرى عليه مع مصطفى باشا والى بغداد وباقى الوزراء وفيها تفاصيل لا توجد فى غيرها سواء من ناحية المواقع التاريخية أو الاشخاص المشاهير .

(٣) الكيس خمسمائة قرش وهنا يراد بالكيس ما شرحه النص ثلاثة آلاف محمدية ، والمحمدية عشر أقجات . ضربت أيام السلطان محمد الفاتح . والاقجة كانت تعتبر نصف مثقال من الفضة وتسمى بالعثمانى ، ولكنها تغيرت كثيرا حسب العهود المختلفة . أوضحت عنها فى كتاب (النقود العراقية لما بعد العهد العباسى) .

العمارات مثل (السيب) ولم نعرف عن حاله السابق أكثر من انه (ديرى) نسبة الى نهر الدير من أنهار البصرة فى شماليها ، فاستخدم كاتبا للجند الا أن صنائعه لم يكتفوا بذلك وانما استنطقوه ، أو أخذوا اشارة من بعض أخلافه فبنوا عليها وقالوا انه من آل سلجوق • والمتزلفون كثيرون فى كل حين • ونسبه الى آل سلجوق عبدعلى الحويزى فى كتابه (قطر الغمام) ، فهو بصرى وعندى انه لما كان بصريا فالافتخار به أولى من الصاقه بآخرين من الاجانب • وقال الحويزى ان نسبته الى الدير باعتبار ان أخواله من هناك •

والمطلوب بيان أعماله ، وما قامت به أسرته من الحضارة أو التخريبات ولا يهمنا ما يتوسل به رجال هذه الاسرة أو المتزلفون لهم من الانتساب الى أكبر أسرة ، أو أعز قوم ، أو أشرف قبيلة فى حين ان المؤسس انما قام بمقدرة ذاتية ، ومواهب نفسية • ولم يكن المعول عليه النسب فى أصل تسنمهم المكانة الرفيعة •

والمعروف عن هذا المؤسس أنه راعى رغبة الاهلين فى الامور النافعة ونشر العدل والعلم فقوى سلطانه وزادت شوكته فحبب نفسه من الاهلين ، وفتح القبان • وكان يحكمه رجل يقال له (بكتاش اغا) فانتزعه منه وقضى على نفوذ (حاكم الدورق) وهو بدر ابن السيد مبارك و(حاكم الحويزة) السيد مبارك[1] اللذين صار لهما شأن استفادة من ضعف حاكم البصرة • فلما تمكن أفراسياب قضى على أمثال هؤلاء أو تمكن من فتح أكثر الجزائر ، وكذا امتنع من اعطاء الجوائز الى السيد مبارك وهى رسوم كان يأخذها وكذا رده عما كان يأخذه من شط العرب من القسم الشرقى منه • واستمرت حكومته لمدة سبع سنوات ثم خلفه ابنه (على باشا) ولم نعثر على تفاصيل كافية عن أيامه وعلى كل تصادف زمن تأسيس حكومة وتنظيم ادارة فلا يؤمل منها أكثر مما عرف عن والده • ويأتى بنا ذكر حوادثهم فى حينها •

---

(١) هذا ابن سجاد المذكور فى تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣٤٨ •

١٤١

حوادث سنة ١٠٠٦ هـ - ١٥٩٧ م

الوالي الوزير حسن باشـــا

قال في جامع الدول : « في هذه السنة (١٠٠٦ هـ) خرج خارجي من جانب البصرة يقال له السيد مبارك فاجتمع اليه جمع عظيم من أوباش العرب والعجم فنهبوا البلاد وأفسدوا فيها ولما عرض ذلك الى الباب العالى وجه ايالة بغداد الى الوزير حسن پاشا ابن محمد پاشا الطويل (الطوپال) وأمر بدفع غائلة الخارجي وأرسل الى صوبه . » اهـ(١)

وفي فذلكة كاتب چلبي في حوادث سنة ١٠٠٦ هـ اختير هذا الوزير لمنصب بغداد في أوائل شهر رمضان من هـــذه السنة ، وصار سردارا على الأمراء والجيش في شهرزور وفي الحدود لما قام به السيد مبارك من أعمال نهب وافساد فتجاوز على أنحاء البصرة ، وسواحل الاحساء وحدودها ليقوم بدفع غائلته ، وكان أهل تلك الأصقاع استمدوا من شـاه العجم ، فكان ضرر جيشهم أكبر ، فاستعانوا بالدولة العثمانية . وفي ذي الحجة من السنة المذكورة كتبت الدولة العثمانية لشاه العجم لدفع غائلته الا ان صاحب الفذلكة أسدل الستار عن النتائج .(٢)

والسيد مبارك هذا هو أمير المشعشعين وله ابن اسمه السيد بدر ولي الدورق ، ومنهم السيد خلف ذكرهم أبو البحر الخطي في ديوانه(٣) .

ومثله في تاريخ نعيما . بين أن حسن پاشا عهد اليه بوزارة بغداد في رمضان هذه السنة وعين سردارا على الأمراء والعساكر في بغداد وشهرزور وفي الثغور

---

(١) جامع الدول ج ٢ ص ١٠٩١ .
(٢) الفذلكة ج ١ ص ١٠٦ .
(٣) الخطي أبو البحر شرف الدين جعفر بن محمد توفي سنة ١٠٢٨ هـ . كـــذا قال صاحب السلافة وترجمتـــه في خلاصـــة الاثر أيضا . عندي نسـخة مخطوطة من ديوانه . جمعـه السيد الشـريف جعفر ابن عبدالجبار الموسوي لما بينهما من الالفة والاختصاص كذا ذكر عند ايراد قصيدة في مدحـــه . والديوان لا يخلو من فوائد تاريخية عن القطيف والبحرين وصحار . أوضحنا عنه في التاريخ الادبي .

أختير لدفع غائلة السيد مبارك الذي عاث في انحاء البصرة بجموعه فانتهب قرى البصرة والاحساء وأحدث فيها ضررا كبيرا وأدى الى قتل نفوس بريئة في القرى والقصبات والبنادر فكانت الخسائر فادحة[١] ... وزاد صاحب سجل عثمانی أنه أي الوالي الابن الكبير لمحمد پاشا الطوپال (لا الطويل) الصوقوللي ولي بغداد سنة ١٠٠٦ هـ وعزل سنة ١٠١٢ هـ وقتل سنة ١٠١٣ هـ في حرب قره يازيجي من الجلالية وكان چلبيا ، شجاعا ، ميالا الى الأبهة ، بنى في بغداد (جامعا ورواقا) . وله كرسي من فضة يجلس عليه ، ذو أزهار وأشجار صناعية ...[٢]

وفي گلشن خلفا أنه سنة ١٠٠٤ هـ عهد الى الوزير حسن باشا بحكومة بغداد وأكثر التواريخ على أن ولايته كانت سنة ١٠٠٦ هـ .

وفي ديوان روحي البغدادي قصيدة في مدح الوزير حسن باشا . ليس فيها تاريخ .[٣]

حوادث سنة ١٠٠٨ هـ — ١٥٩٩ م

جامع الوزير

بنى حسن پاشا الجامع المعروف باسمه ويقال له (جامع الوزير) ولا يزال معروفا بهذا الاسم ، وبعد تلك الوقائع عاد الى بغداد وبنى الجامع سنة ١٠٠٨ هـ . مكتوبا عليه بخط قديم انه عمره الوزير حسن پاشا ابن محمد پاشا ، و(تاريخ الجامع) يعين أن ذلك كان سنة ١٠٠٨ هـ والظاهر أنه تاريخ تمامه .

والمشهور ان هذا الوزير عمر الجامع من أموال التجار المنتهبة من الاعراب ، كانوا هاجموا سفن التجار ثم استحصلت منهم . اختلطت فلم

(١) تاريخ نعيما ج ١ ص ١٩٢–١٩٣ .
(٢) سجل عثماني ص ١٢٧ .
(٣) ديوان روحي ص ٣٥ .

يعرف أصحابها ولم يستطيعوا أن يعينوها وباقتراح منهم على الوزير طلبوا أن يعمر جامعا بها فعمر هذا الجامع من أموال التجار وسمي باسمه . أنقل هذا الخبر عن المرحوم السيد محيي‌الدين الگيلاني عن والده المرحوم فخامة السيد عبدالرحمن أفندي الكيلاني نقيب الأشراف ببغداد .

وهذا نص ما كتب في باب المصلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . عمر هذا المسجد في أيام خلافة خليفة الرحمن السلطان ابن السلطان ، السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه . صاحب البناء والانشاء الغازي الوزير حسن پاشا ابن الوزير المعظم المرحوم محمد پاشا في سنة ١٠٠٨ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية » اﻫ .

والآن لم يبق من هذا الجامع الا منارته القائمة ورقعته الواسعة . ولم يعمر بعد . وهذا الجامع لا علاقة له بحسن پاشا المذكور في تاريخ مساجد بغداد للاستاذ الآلوسي في صفحة ٣١ فان تلك الصفحة في (جديد حسن پاشا) الذي مر الكلام عليه باسم (الجامع السليماني) . وأصل هذا الجامع من بناء الخليفة المستنصر بالله العباسي . ويسمى بـ (المسجد ذي المنارة) . وفي كتابنا (المعاهد الخيرية) تفصيل عنه في ما جرى عليه من تعميرات ، وما ورد فيه من نصوص .(١)

كاخ بهشت :

وهذا الوزير مائل الى استخدام الحشم والأعوان بحيث يضارع الملوك في أبهتهم وسائر أوضاعهم فهو معجب بنفسه ومعروف بالجلبية والشجاعة . ولما كان واليا ببغداد اتخذ له سريرا فخما بقيمة اربعين ألفا أو خمسين ألف قرش ، سماه (كاخ بهشت) وزينه بأشجار وأثمار من فضة خالصة مما جعل الناس في حيرة من أمره ...(٢)

(١) كلشن خلفا ص ٦٦ ـ ١ ورحلة أوليا جلبي ج ٤ ص ٤١٩ .
(٢) كلشن خلفا ص ٦٦ .

ترجمة كتاب مناقب الكردرى :

وفى أيامه كان مفتى بغداد المولى حسين ابن الحاج حسن الأدرنوى وبرغبـة من حسن پاشـا الوزير ترجم الى التركية مناقب البزازى المعروفة بمناقب الكردرى وهو الامام محمـد بن محمد الكردرى المعروف بالبزازى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ وكتابه المناقب عربى طبع فى الهند مع مناقب الموفق وهذا فى أبى حنيفة (رض) وتاريخ حياته •

حوادث سنة ١٠١١ هـ ـ ١٦٠٢ م

أمير قشـعم

أظهر العصيان أمير قشعم فحاربه والى بغـداد محمد پاشـا وانكسر عسكر بغداد • هذا ما ذكره صاحب عمدة البيـان فى تصاريف الزمان الا أننا لا نعرف واليا ببغداد لهذا التاريخ بهذا الاسم • نثبت ما ذكره هنا • ولعل النصوص الأخرى تعين ذلك ، وكذا ما ذكره عن خان چغاله بين أنه بناه سنان پاشا ابن چغاله سنة ١٠١٣ هـ وهذا ليس بصواب قطعا • وذكر انه بناه للينكچريه •

عزل الوالى :

عزل هذا الوالى • واختلف فى تاريخ عزله • جـاء فى تاريخ نعيمـا أنه انفصل سنة ١٠٠٨ هـ ووجهت ايالة بغداد الى طرنقچى حسن پاشـا فلم يذهب ، ثم وجهت سنة ١٠٠٩ هـ الى محمد پاشا آل سـنان پاشـا[1] • أما الوزير حسن پاشا فانه قتل سنة ١٠١٠ هـ • ولم يعرف عنه سـوى بناء الجامع ، وشراء العرش لاظهار الأبهة والعظمة • كأن أمثال هذه تزيد من خشية الناس له ، أو تكبر عقلا ، أو ترمز الى حسن تدبير ، أو تعين اقتدارا • والآراء أمثال هذه موجودة فى صنوف من الناس • وذكر صاحب سجل عثمانى أنه عزل سنة ١٠١٢ هـ الا اننـا نقطع ببطلان ذلك والامر المهم أن

(١) جاء فى عمدة البيان اسم محمد باشا ولم يوضح عنه •



٩ ـ جامع الصاغة (مسجد الخظائر) ـ دار الآثار العراقية

صاحب الفذلكة ذكر حربه لليازيجى الجلالى فى حوادث سنة ١٠١٠ هـ فمن المستبعد جدا أن نقبل ما ذكره صاحب سجل عثمانى فقد ولى الشام قبل هذا ثم صارت الحرب .[1]

ان حسن پاشا ابن محمد پاشا الوزير ابن الوزير كان نائب الشام . ولى فى مبدأ أمره كفالة حلب ، دخلها ولم يلتح أو لم تكمل لحيته ، ثم ولى بعدها كفالة الشام سنة ٩٨٥ هـ وعزل عنهـا وولى ولاية اناطولى (الاناضول) ثم ولاية أرزن الروم . وكان الوزير الأعظم فرهاد پاشا سردارا على العساكر العثمانية لغزو العجم فاجتمع به فى ولايته المذكورة ووقع بينهما أمور طويلة بسبب ان فرهاد پاشا كان بنى بعض القـلاع فى ديار الشرق ودفع حساب كلفته عليها فى دفتر وطلب من بقيـة الأمراء امضاء ذلك الدفتر فمنهم من أمضاه ومنهم من رده وكان صاحب الترجمة ممن رده وعرض على السلطان أن المبلغ الذى رفع حسابه فرهاد پاشـا ليس كما ذكر . (وعلى هذا) بادر صاحب الترجمة الى الرحيل فرحل الى دار السـلطنة . (وحينئذ) أقبل السلطان عليه وولاه الشام للمرة الثانية وكان ذلك فى حـدود سنة ٩٧٧ هـ واستمر بها حاكما مدة تزيد على سنتين . ثم عزل وأعيد ثالثا .

ولما عزل صاحب الترجمة عن الشام فى هذه المرة سافر الى دار السلطنة وتقلبت به الاحوال الى أن صار حاكما فى بلاد الروم واستمر هناك ونسبوا اليه فى حكومته أمورا لا أصل لها فورد حكم سلطانى بقتله فلم يسـلمه العسكر للقتل ثم حضر بعد ذلك الى جانب السلطنة وبحث عن أصل الحكم الذى ورد بقتله فلم يجد له أصلا . ولم يزل يحاول الخروج من القسطنطينية حتى أعطى ولاية بغداد وما يليها من بلاد عراق العرب . فذهب اليها بعسكر جرار ودخلها بأبهة عجيبة وأظهر فيها من الحجاب ما لم يعهد لمثله ولم يزل بها حاكما حتى حدثته نفسه بحفر نهر أخذه من دجلة فأجراه يسقى أماكن كثيرة قيل ان محصولها يزيد فى السنة على عشرين ألف دينار ذهبا . وحدث بينه وبين العسكر العراقى أمور أدت الى أن عرض أمرهم على الحضرة السلطانية

---

(١) فذلكة كاتب جلبى ص ١٧٣ .

فأمروه بالخروج من بغداد فخرج منها خائفا من شق العصا وأقام بالموصل أياما ثم نازلهم منازلة المحارب الى أن جاءه الامر بالانفصال بعد أن نهبت جماعته فتوجه الى ديار بكر فبينا هو فيها اذ بالأمر السلطاني جاءه أن يصير اصفهسلارا (أصله سپهسلار بمعنى قائد عام) على العساكر ويذهب لقتال عبدالحليم اليازيجي الباغي الناجم في نواحي سيواس هو والطائفة الكيانية .. (فكانت النتيجة) أن قتل في توقات . في سنة ١٠١٢ هـ[١] .

وقال في (عمدة البيان في تصاريف الزمان) عن حسن پاشا ما نصه :

« وهو لما ولي بغداد أجرى شعبة من الدجيل ، فكان محصولها عشرين ألف دينار . » اهـ ذكر ذلك في حوادث سنة ١٠١٢ هـ .

ولم يتعرض صاحب گلشن خلفا لهذا الحادث فجاء هذا النص موضحا لما في خلاصة الأثر .

وتاريخ نعيما يفيد أن حسن پاشا عين سردارا للقيام بتنكيل عبدالحليم قره يازيجي والجلالية سنة ١٠٠٨ هـ ولعله تأخر قليلا وذهب ...[٢] وهذا هو الاجدر بالقبول ، وان تاريخ العراق غامض من هذه الناحية فلم يعرف بالضبط تاريخ الولاة ولا تاريخ ولايتهم ولا أيام عزلهم .

وفي هذه النصوص كلها ما يوضح الوضع أكثر ، ويدل بصراحة على أن الاخبار جاءتنا مبتورة ناقصة ... وقد انكشف نوعا بعض الغموض وان كان هذا المؤرخ أيضا لم يعين تاريخ ولايته على بغداد ولا تاريخ انفصاله منها . ولعل الصحيح ما بينه نعيما في تاريخه . لاستقائه من المنابع الرسمية .

حوادث سنة ١٠١٢ هـ — ١٦٠٣ م

الوالي صارقجي مصطفى باشا

هذا ولي بعد الوزير حسن پاشا . والظاهر أنه طرناقجي حسن پاشا وان صاحب السجل قال عن صارقجي : « تربى في البلاط فصار رئيس

(١) خلاصة الاثر ج ٢ ص ٤٥ .
(٢) نعيما ج ١ ص ٢٤٥ .

البوابين (قپوچي باشى) ثم نال منصب سلحدار • وفى ١٧ ربيع الاول سنة ١٠٠٥ هـ ولى رياسة الينكچرية ، وبعد مدة قليلة ولى امارة وان ، ثم صار واليا على بغداد • وبعد ذلك انفصل منها وجاء الاستانة توفى فى شعبان سنة ١٠١١ هـ • وقال مشتهر بسوء الاعتقاد • » اهـ والملحوظ هنا ان صاحب گلشن خلفاء أورد شعرا جاء تاريخه (باغ داد) ومن مجموع حروفه يتحصل لنا تاريخ (١٠١٢) هـ ونراه الصحيح اللائق بالقبول وهذا هو والد محمد باشا الطيار • توفى ببغداد ودفن فى الاعظمية وابنه كانت له الاعمال المجيدة فى تسهيل الفتح •

وفاة افراسياب :

فى هذه السنة تخمينا توفى أفراسياب مؤسس الامارة الافراسيابية فى البصرة ذكرنا أعماله وبينا أنه كان همه مصروفا الى تثبيت الملك وتقوية دعائم الاستقلال فى البصرة • أما خلفه ابنه (على باشا) فقد وجد البناء ثابت الاساس فحول وجهه نحو العلوم والآداب فنالت فى أيامه نشاطا •

ابن الطويل :

جاء فى تاريخ (عيون اخبار الأعيان) فى وقائع سنة ١٠١٢ هـ ما نصه :

« فى هذه السنة ـ سنة ١٠١٢ هـ ـ ١٦٠٣ م ظهر فى بغداد محمد بلوك باشى ابن أحمد الطويل واستقل بحكومتها ، فسار لازالته والى ديار بكر نصوح باشا مع أربعين ألف مقاتل فبرز اليه ابن الطويل ، فتصافا خارج بغداد، فكان الفرار نصيب نصوح باشا • ثم ان كاتب ابن الطويل محمد أفندى دبر قتله بيد زوجته ، فجلس مكانه أخوه مصطفى بك ••• فأرسل السلطان لازالته الوزير محمود باشا ابن جغال • » اهـ[1] •

ومن هنا يفهم ان تاريخ ظهوره فى تلك السنة وان مصافه ، ومقاتلته نصوح باشا كان فى سنة ١٠١٥ هـ •

قال فى گلشن خلفاء :

---

(١) تاريخ الغرابى مخطوطتى ج ٢ ص ٩٦ •

« كان بلوك باشى أى رئيس كتيبة الخيالة وبسبب سوء ادارة الحكم تغلب وحكم بالاستقلال ... » اهـ[(١)] .

والملحوظ ان صاحب گلشن خلفا ذكر هذا الحادث سنة ١٠١٧ هـ ، وبين أنه انتصر على نصوح پاشا بسبب خيانة السكبانية[(٢)] . وان محمد چلبى بانى تكية المولوية غدر به فقتله ونصب أخاه مصطفى مكانه . ولعل واقعة نصوح پاشا كانت فى تلك السنة التى ذكرها صاحب گلشن خلفا .

حوادث سنة ١٠١٤ هـ — ١٦٠٥ م

روحى البغدادى

أصل نسبه من الروم الا أن والده كان من مماليك أمير أمراء بغداد اياس پاشا ، التحق بجيش المتطوعين ببغداد ، وان ابنه روحى واسمه عثمان ولد ببغداد فنعت بالبغدادى وان خلقه مرغوب المحبين ، ووجوده طاهر ، وذهنه مستقيم قوى ، وبلاغته روضة أريضة ، وله نظم جميل منعش ، ومعرفة لا توصف ... غنى بالشعر فبرع فيه . وصار يغرد فيه الادباء فله طبع شعرى لا يزاحم ، وفيه رقة لا تقدر ... اتفقت الكلمة على حلو ألفاظه ، وحسن انسجام أسلوبه سواء فى التركية أو فى الفارسية فقد برع فى النظم باللغتين[(٣)] ... وقد طبع ديوانه التركى سنة ١٢٨٧ هـ كما أن عهدى أورد له جملة من المختارات . نال شعره رغبة فائقة ولا يزال معتبرا حتى أيام عهدى دون عنه فى تذكرته . أورد له ضيا پاشا فى كتابه (خرابات) موشحه المسمى بـ (تركيب بند) وعارضه بآخر مثله .

وقال فيه صاحب (قاموس الاعلام) انه شاعر جذاب ، ومن مشاهير شعراء القرن العاشر وتركيب بنده مشهور معتبر . وله ميل الى السياحة يتجول دائما .

---

(١) گلشن خلفا ص ٦٦ — ٢ .

(٢) السكبانية . نوع جند أهلى من المشاة .

(٣) عهدى : تذكرة الشعرا ص ١٨٩ .

ذهب مرة الى الاستانة ثم مضى الى قونية ومنها الى الشام فتوفى هناك عام ١٠١٤ هـ[١] .

وقال صاحب خلاصة الأثر : « روحى الشاعر البغدادى المشهور ، كان من أعاجيب الدنيا فى صنعة الشعر التركى ، له التخيلات اللطيفة ، والالفاظ الرشيقة ، . وديوانه مشهور ، يوجد كثيرا بأيدى الناس وكان على أسلوب السياح ، وله فى سياحته ماجريات ووقائع كثيرة ، واستقر آخر أمره بدمشق ... كانت وفاته سنة ١٠١٤ هـ » اهـ[٢] .

ولا مجال لذكر ما قيل فيه سوى أننا نقول مع الاعتراف بقدرته الشعرية انه تصوفى بكتاشى كما يستفاد من قصيدته (قصيده ٔ حقيقت انگيز) ومن عرف مرامى القوم يقطع بأنه من الحروفية[٣] ... ولا شك أنه حفظ لنا بعض الوقائع التاريخية وعين لنا ان هناك ولاة لم يذكرهم المؤرخون مثل سليمان باشا حاكم بغداد فانه مدحه فى قصيدة ولم نقف على ترجمة له[٤] ... والمهم أكثر فى ديوانه أنه عرفنا بعصبة أدب وشعر ليس فى أيدينا من آثار توضح عنها ، وذلك أنه كتب قصيدة من الشام أرسلها الى رفقائه فى بغداد يسأل عن كل واحد منهم[٥] . خاطب بها النسيم فجعله رسوله اليهم ... حفظ بها ما اندثر أو كاد يندثر .

وممن ذكرهم (فى تلك القصيدة الادبية) :

١ ـ كشفى . أمير الكلام وزبدة الافاضل .

٢ ـ طبعى . صاحب ديوان . وله طبيعة عالية .

٣ ـ داعى . ظهير أهل الكمال ، ومقرىء القرآن . وهذا مذكور فى

---

(١) قاموس الاعلام ص ٣١٤ .
(٢) خلاصة الاثر ج ٢ ص ١٧٢ .
(٣) مر الكلام على الحروفية عند الكلام على فضل الله الحروفى ونسيمى البغدادى فى المجلدين الثانى والثالث من تاريخ العراق .
(٤) ديوان روحى ص ٣٢ .
(٥) ديوان روحى ص ٥٧ .

گلشن شعرا لعهدى البغدادى .

٤ - فيضى . ذو الذوق ، وصاحب الفيض من رجال عهدى .

٥ - حسن بك الدفترى . لروحى قصيدة فى رثائه ...

٦ - أحمد الحريرى . من رجال تذكرة عهدى .

٧ - عبدالرحيم . الفائق فى الفارسية القديمة .

٨ - سلمان . الذى ليس له نظير فى الفارسية . من رجال التذكرة .

٩ - كلامى . فى كربلاء ، منطيق بارع ، وعارف وحيد في العالم . مر فى التذكرة .

١٠ - مهدى . عندليب روضة العرفان . الماهر فى الغزل .

١١ - فضلى . مؤرخ الكون . والظاهر انه بقى حيا لما بعد عهدى وروحى .

١٢ - رندى . استاذ فى فنون الشعر ، نابغة فى اللطائف .

١٣ - خاكى بك .

١٤ - طرزى

١٥ - منلا شريف . شريف الذات وخطاط ماهر .

١٦ - أمينى . من المغرمين بفغانى ، وله مباراة لقصائده .

١٧ - جوهرى . له فى المآسى ، والبكاء على جور الزمان . من رجال عهدى فى تذكرته .

١٨ - نصرتى . متفوق فى تركيب بند ، ويأخذ بمجامع القلوب فيجعل سامعه متحيرا ... مدون فى التذكرة .

١٩ - آتشى . له شعر يكاد يلتهب ... من رجال التذكرة .

٢٠ - علمى . كامل فى الغزل .

٢١ - نقدى . مادح آل الرسول .

٢٢ - گاهى . متصوف .

٢٣ - حميدى .

٢٤ ـ فهمي • مولع في الصناعات الشعرية •

٢٥ ـ ندائي • صاحب غزل • وانشاد بديع •

٢٦ ـ شيخي • درويش عاشق •

٢٧ ـ حزمي • قارىء غزل ، ومؤانس ••• رئيس الفقراء وهو مبتلى بليلاه •

٢٨ ـ منلا حسن • من أهل الغم والبؤس •

٢٩ ـ قاسم على • من أهل الذوق •

٣٠ ـ حسن سيرين • مولع ببنت العنب •

٣١ ـ على خان أكرمي • من اخوان الصفا •

٣٢ ـ محمـــدى •

٣٣ ـ عثمان • ورد في التذكرة •

٣٤ ـ الأستاذ أحمـــد •

٣٥ ـ ســـاقى •

٣٦ ـ مريدى •

٣٧ ـ حاجـــى •

٣٨ ـ ثانى •

وأعقب قصيدته التي عدد بها هؤلاء الفضلاء بأخرى ولم نقطع في سبق احداهما الاخرى جاء فيها يطلب أن يبشره ريح الصبا عن رجال في بغداد ولعل فيها ما يكرر أسماء الماضين ولكنه يذكرهم بأسمائهم الصريحة لا بالمخلص أو على العكس ••• وغرضه المداعبة معهم وبيان أوصافهم في نظره واننا نذكرهم هنا حاذفين المكرر لعل في المستقبل يظهر ما يميط اللثام عن الجهالة •••

١ ـ عالى بك دفترى بغـداد • هو صـاحب مناقب هنروران وكنه الاخبار • مر الكلام عليه •

٢ ـ سليمان المورى •

٣ ـ محمـود •

٤ ــ علی بك ٠
٥ ــ نعمان ٠ قاضی بغداد ٠
٦ ــ محمد چلبی ٠
٧ ــ حکمی ٠ مخلص صاحب الدیوان ٠
٨ ــ محمد بك ٠ فارس میدان الشطرنج ٠
٩ ــ أهلی بك ٠
١٠ ــ لمعــــی ٠
١١ ــ محمد دده ٠
١٢ ــ علی فاقی ٠
١٣ ــ محمد چاوش ٠
١٤ ــ فنی مصلی چلبی ٠
١٥ ــ عهدی ٠ هو صاحب التذکرة (گلشن شعرا) ٠

وممن ذكرهم من أعيان بغداد :

١ ــ أحمد چاوش بیانی زاده ٠ رثاه بقصیدة (ص ٦٦) ٠
٢ ــ یوسف چلبی ٠

هذا والديوان أثر نفيس ، خالد ، منبعث من روح أدبی وثاب ٠ وقد أفردنا الموضوع فی كتاب (تاریخ الادب الترکی فی العراق) ٠
ورد ذكر بعض رجال البكتاشية وهنا أبين تكاياهم المعروفة :

تكايا البكتاشية

١ ــ فی کربلاء فی صحن الامام الحسين (تكية الددوات) وهی (تكية البكتاشية) ، وتوليتها بيد (آل الدده) ٠ لا تزال موجودة ٠ وكانت بيد السيد الفاضل المرحوم حسين الدده مدة طويلة الى أن توفی فی صيف سنة ١٩٤٨ م فی خراسان فی المشهد الرضوی ٠ ويرجع عهدها الى أول الفتح العثمانی وان من مشاهيرها (كلامی) المعروف بـ (جهان دده) ٠ وان فضولی للشاعر ممن دفن

فيها • وهناك مراقد آل الدده • والتولية منحصرة فيهم • وهم شيعة امامية • ولا تعرف عنهم البكتاشية ولا اعتناق طريقتها • فهم أصولية •

وهذه التكية من أقدم تكايا البكتاشية فى العراق ، ولم ينقطع اتصالهـــا بالبكتاشية من الترك الا بعد الحرب العامة الاولى لسنة ١٩١٤ • وزاد الانقطاع بالغاء التكايا فى الجمهورية التركية •

٢ ـ فى (النجف) تكية للبكتاشية أيضا ، ولا شك أنها ترجع فى القدم الى مثل تكية (كربلاء) الا اننا لا نقطع فى تاريخها لما قبل الفتح العثمانى • ولعل الوثائق تظهر تاريخها ، وتعين وقت تكونها مع العلم بأن الحروفية كانوا يعتقدون بأكابر رجالهم مثل فضل‌الله الحروفى • وكان فى النجف فى تكية البكتاشية الحاج السيد أحمد ويرانى سلطان• وهذا معتبر عند البكتاشية والكاكائية معا[1]• ناله الظهور ورفع الى السماء وصار أسدا • ولا تزال قلنسوته فى هذه التكية موضوعة على دكة يزورونها ويبدون لهـا غاية الاحترام والخضوع • فهو من أكابر شيوخ البكتاشية • ولم يعين تاريخه ، ولا شك انه سابق للتاريخ العثمانى بل ان تاريخ الحروفية يتحقق فى تاريخ فضل‌الله الحروفى مؤسس الحروفية • لازم الخلوة والطريقة فى حضرة الامام على فى النجف مدة طويلة فلا ريب أنهم يرجعون فى طريقتهم اليه وهى لا تختلف عن البكتاشية بوجه •

٣ ـ فى بغداد (تكية البكتاشية) كانت فى محلة الجعيفر فى القسم الغربى من البلد ، وتسمى تكية خضر الياس ، استولت عليها مياه دجلة ، ولم يبق لها أثر ، وكانت رباطا أنشأه الخليفة الناصر لدين‌الله العباسى • والتربة المجاورة له تربة سلجوقى خاتون بنت قلج ارسلان ملك الروم وهى الجهة السعيدة للخليفة•

كان تزوجها نورالدين محمد بن قرا أرســلان صاحب حصن كيفا • فلما توفى تزوجها الخليفة الناصر • توفيت سنة ٥٨٤ هـ فوجد عليها الخليفة وجدا عظيما ظهر للناس كلهم • وبنى على قبرها تربة والى جانب هذه التربة بنى الرباط وهو فى محل يقال له الرملة فى باب البصرة من جانب الكرخ

---

(١) الكاكائية فى التاريخ • طبع ببغداد سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م •

من بغداد ٠ بنيت بقربه قلعة الطيور (قلعة الطير) ٠ فلما دخل العثمانيون اتخذوا هذا الرباط تكية للبكتاشية ٠ وتاريخ ما جرى عليها أوضحناه في موطن غير هذا ٠

٤ ـ تكية بابا گورگور : للبكتاشية أيضا ٠ والآن زال أثر البكتاشية منها ٠ كانت مسجدا فعادت كذلك ٠ وهي ببغداد ٠

٥ ـ في داقوق (دقوقا) تكية يقال لها تكية دده جعفر ٠ ولا تزال ٠

٦ ـ في كركوك تكية يقال لها تكية مردان علي ، كما أن تلعفر وسنجار فيهما الكثير من باباواتهم ٠

ومن رجال هذا العهد في البكتاشية (فضولي الشاعر) ، و(روحي البغدادي) ، و(جهان دده) المذكورون وكلهم حروفية ، وقد سبق أن ذكرنا عن هؤلاء ، وعن الحروفية أيضا ما فيه الكفاية[1] فلا محل لاعادة القول ، وكان قصدنا هنا مصروفا الى بيان الصلة بين البكتاشية وبين الحروفية ٠

ويأتي الكلام على كل تكية بظهور حادث معروف لها في حينه ، فلا نعجل بالتفصيل ، وقد أفردنا تكايا البكتاشية وطريقتهم بكتاب على حدة ٠

طريقة البكتاشية

هذه الطريقة لم تعرف قبل دخول العثمانيين بغداد سنة ٩٤١ هـ والطرق في الانحاء العراقية كثيرة ٠ وفي الاصل أسسها أهل الصلاح من الاهلين وشاعت ٠ وترجع الى العهود العباسية في قدمها ، ولكن هذه الطريقة جاءتنا من الترك العثمانيين وهي خاصة بهم ، فلم تعرف البكتاشية عندنا قبل ورودهم ٠ وانما كانت الحروفية معروفة على يد فضل الله الحروفي ومن كتبها جاودان، وعلى يد نسيمي البغدادي وأتباعه ٠٠٠

وطريقة البكتاشية في الحقيقة كانت طريقة زهد وتقوى ، لم تدخلها البدع ، ولا الابطان الا من حين دخل الحروفية والأخية بين صفوفهم ٠

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٤٦ و ج٣ ص ٤٥ ٠

وكان قد ألغى السلطان محمود الثانى تكايا البكتاشية سنة ١٢٤١ هـ عندما قضى على الينكچرية ولكن ذلك لم يتم الا أيام رئيس الجمهورية التركية السابق المغفور له أتاتورك (مصطفى كمال) ، فكان القضاء المبرم ٠

لم تنل هذه الطريقة رواجا فى العراق ولا فى البلاد العربية ٠ ومؤسسها الاصلى الحاج (بكتاش ولى) المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ٠ والكلمة متفقة على أنه كان من أهل الصلاح والتقوى ، الا أن الحروفية دخلوها فافسدوها من جراء أن هؤلاء استغلوا شهرة بكتاش فمالوا اليها ٠

وبدخول العثمانيين تأسست فى العراق ، فاتخذت جملة تكايا فتمكنوا من تكوين طريقتهم فى بغداد والانحاء العراقية الاخرى ، فتكونت لهم (تكية خضر الياس) و(تكية بابا گورگور) ٠ كان مسجدا ، فصار تكية لهم ٠ وتكايا أخرى فى النجف وكربلا وغيرهما ٠

وهؤلاء أهل ابطان تستروا بالتشيع ، وان مؤلفاتهم التى عرفت لحد الآن تنبىء عن أنهم من الغلاة دخلوا من طريق التصوف بل ان تصوفهم كان غاليا وفى العراق ظهرت بعض حوادثهم ٠ وتأتى فى حينها ٠ وعندنا من أهم العناصر القريبة منهم العلى‌اللهية ، والكاكائية ، والقزلباشية ، والباباوات ، ولا يفرقون عن غيرهم الا بما دخل هذه الطوائف من أمور دخيلة مما فرضه الرؤساء ، وقد تكلمنا عليهم فى كتاب (الكاكائية فى التاريخ) ٠ وكلهم اليوم فى قلة ٠ وفى كركوك تكية للبكتاشية يقال لها (تكية مردان على) ، وفى دقوقا (تكية ددهجعفر) ٠

وهم فى العراق لم يحدثوا تأثيرا كبيرا على الاهلين بالرغم من وجود مؤسساتهم فهى ضعيفة الاثر ٠ ولما كان بحثنا يتناول الموجود فى هذا العهد فلا يسعنا أن نتناول كل تكية بحالها ، ولا أن نتكلم على (تكية بابا گورگور) ولا ما حدث بعد هذا التاريخ ٠

اشتهروا فى حكاياتهم التى يندون بها بالامور الشرعية ، والفرائض المكتوبة ، ويقولون بترك الرسوم الدينية ، وتتداول بين الناس هذه الحكايات

يحفظها الكثيرون فى مقام يعين وضعهم فى شرب الخمر وسائر المنكرات والتهاون بالعبادات الا انهم يتظاهرون بانهم اثنا عشرية وهم بعيدون عنهم ، فأبطنوا ما أبطنوا • ولولا ما قامت به السلطة من التنكيل بهم ، أو القضاء عليهم فأدى الى انتشار كتبهم لبقوا على هذا التكتم مدة أطول •

ومن أهم الكتب الموضحة لهذه الطريقة :

١ ـ كاشف أسرار بكتاشيان• للخواجة اسحق• وهذا يوضح اغراضهم ويرد عليهم • وهو من أجل الآثار فى التعريف بهم ، وبما يكتمون •

٢ ـ دافع المفاسد وكاشف المقاصد • وهذا رد على سابقه • وفيه ما يبين مؤلفه انهم مسلمون ، ويتنصل مما عزى اليهم فى كتاب كاشف اسرار بكتاشيان •

٣ ـ تاريخ البكتاشية • للاستاذ بسيم أتالاى • ويعد من أجل الآثار •

وبعد القضاء على التكايا أيام المغفور له اتاتورك ظهرت آثارهم وتبين صدق ما أوضح صاحب كتاب (كاشف اسرار بكتاشيان) • وان كتبهم (كتب الحروفية) وقد أوضحت عنها وقدمت قائمة باسمائها ، وعينت أوضاعها فى المجلدات السابقة من (تاريخ العراق بين احتلالين) ولا تزال مخطوطات من مؤلفاتهم عندى ومنها ولايتنامه • وبحث الترك العثمانيون كثيرا ، ونشروا فى بيان هذه الطريقة وأسرارها وما تكتمت به ، فوضح المبهم ولم يبق خفاء • وفى دائرة المعارف الاسلامية بحث فى البكتاشية •

وعندنا من العارفين بالآداب البكتاشية التركية الاساتذة بهاءالدين نورى ، توفيق وهبى ، احمد حامد الصراف ، وآخرون لا محل للتوسع فى ذكرهم •

حوادث سنة ١٠١٥ هـ ــ ١٦٠٦ م

أحوال بغداد

من سنة ١٠١٢ هـ الى هذه السنة (١٠١٥ هـ) لم تتوضح وقائع الولاة ، ولم تعرف بوجه القطع ••• ومن النصوص التاريخية المتقدمة أن طرناقچى

حسن پاشا قد ولى بغداد بعد أن غادرها الوزير حسن پاشـا ثم عزل عنها ولا يعرف عن خلفه ... ثم عاد اليها مرة أخرى وجاء فى گلشن خلفا أنه وليها بعده صارقچى مصطفى پاشا وأرخهفى سنة ١٠١٢ هـ .

ومن ثم أسدل الستار عما وقع ...

طاعون فى الموصل :

جاء فى عمدة البيان فى تصاريف الزمان أنه حدث فى هذه السنة فى الموصل طاعون خفيف امتد خمسة أشهر .

نصوح باشـا ـ أحمد ابن الطويل

وفى ٤ المحرم سنة ١٠١٥ هـ توجه نصوح باشـا الى بغـداد بأمر من الوزير الاعظم ليكون واليا على بغداد ، فصدر الامر السلطانى بذلك . ولما ورد قرب الفرات لقى فى طريقه پيالة باشا[(١)] المعزول من ولاية البصرة . وهذا بين له ان محمد بن أحمد الطويل قد أبرز أمرا مزورا وبه استولى على بغداد وتابعه الجيش الاهلى الذى تمكن من أن يستميله لجهته وأعلن ولايته فيها ... وكان سبب تغلبه سوء التدبير الحاصل من الحكام فاستقل فى بغداد .

ومن ثم سارع الباشا الى نصيبين فاستقبله حاكم الجزيرة مير شرف الذى كان أميرها عن وراثة وأمير أمراء الرقة والتزم أن يساعد الوزير فى استمالة الاكراد ومن ثم قدم نصوح باشا الخلع الى كل من سيد[(٢)]خان وأمراء سهران من الاكراد ، وكذا أمير العربان الامير أحمد بن أبى ريشـة ودعا الكل على السفر الىبغداد اتباعا للامر السلطانى وأنيكونوا مع السردار نصوحباشا...

أما ابن أبى ريشة فانه خـدع القوم وقال لهم : امضوا لجهتكم ونحن نمضى من هذا الجانب والملتقى فى الجانب الغربى من بغداد . وهكذا فعل سيد خان وسائر الاكراد فكانت مواعيدهم غير صحيحة وان الپاشـا توقف ، فى

---

(١) الظاهر انه كان قديما فى ولاية البصرة أى قبل على باشـا الذى كان باعها الى افراسياب والا فلم يعهد فى هـذا التاريخ أثر للحكم العثمانى هناك . وربما عين للبصرة ، وبقى ببغداد .

(٢) ورد فى مواطن أخرى بلفظ (ابن سيد خان) وليس بصواب .

الموصل نحو أربعين يوما فلم يظهر أثر من أعمال اولئك ... وبينا هو فى حيرة من أمره منتظرا ما تأتى به الاخبار اليه اذ عثر على كتاب من سيد خان أرسله الى محمد الطويل فقبض عليه وفحواه اننا تمكنا أن نؤخر نصوح پاشا هذه المدة ، وخذلنا أكراد سهران ومنعناهم من الذهاب فعليك أن تثبت كالرجل الشجاع والعاقبة لك فلا تخرج بغداد من يدك ، وان تسعى جهدك .

فلما رأى نصوح پاشا ذلك انفعل غاية الانفعال وارتبك عليه أمره ، كانت آماله قوية فى الاستيلاء على بغداد لولا هذه الخيانة فتعسر عليه الامر ... وحينئذ ورد اليه الامر السلطانى بلزوم اقدامه والذهاب لافتتاح بغداد فسار اضطرارا وكان معه أمير أمراء شهرزور ولى باشا ، پياله باشا ومير شرف ، ولما وصل الى اربل كتب أيضا الى أمراء سهران والى سيد خان فلم ينل منهم مرغوبا ولم يلتفتوا الى رسائله . وهكذا فسد عليه أمر طوائف التركمان الذين كانوا صحبوه فاستهووهم بالأموال وبان سوء قصدهم ...

والحاصل ان نصوح پاشا اعتمادا على مواعيد ابن أبى ريشة نزل فى أنحاء بغداد فى ٣ شعبان سنة ١٠١٥ هـ وكان هذا التاريخ موعد وصول ابن أبى ريشة المذكور فلم يظهر له أثر . أما ابن الطويل فقد جاء المدد من أتباعه وأعوانه ومن ابن أبى ريشة ومن سيد خان فدخل العربان والاكراد بغداد وتحصنوا بها ... وحينئذ خرج القوم من بغداد صفوفا لمقابلة نصوح پاشا . وفى هذه الاثناء تمكن ابن الطويل من ارسال ثلاثين ألفا من الدنانير الى السكبانية ليكونوا معه فاستهواهم . وعند تقابل الجموع فى ٦ شعبان مال السكبانية الى جهة البغداديين، انفصلت كتيبة منهم بصورة ظاهرة للعيان والتحق آخرون بناء على أمر بيت ليلا والباقون تفرقوا فى الصحراء وانهزموا ... فأصاب الجيش وهن وضعف . أما الامراء فقد ثبتوا مدة تحاربوا فى خلالها حربا وبيلة فاستشهد ولى پاشا أمير أمراء شهرزور وجرح نصوح پاشا بجرحين . وكان أكثر رجالهم من أتباع مير شرف فاستشهد أكثر أمرائهم ...

وعلى هذا انسحب نصوح پاشا بمن بقى فعــادوا الى الجزيرة موطن مــير شرف فاستراحوا هناك الى نهاية الشتاء وعرضوا ما جرى .

ولم تمض مدة حتى قتل ابن الطويل فى بغداد(١) .

ونصوح پاشا هذا من قرى كوملجنة دخـل الحرم وصـار من زمرة زلغلو بالطهچى وعين لخدمة أحد ندماء السلطان ثم خرج من الحرم الى المتفرقة وصار مدة (ويودة) أى متصرفا على ايالة زيلة ثم صار كهيــة البوابين سـنة ١٠٠٧ هـ ، ثم صار أمير آخور صغير ثم صار مير ميران حلب . ثم عين سردارا كرة بعد أخرى لدفع غائلة الجلالية فانكسر منهم فى كل مرة فولى بغداد فجرى بينه وبين عسكر بغداد نزاع أدى الى القتال ثم نقل الى ديار بكر وبقى فيهـا مدة ... وكان قد صالح الشاه عباس ورجع الى دار السلطنة فدخلها فى شعبان سنة ١٠٢١ هـ وأكرم بمصاهرة السلطان وبقى فى الوزارة الى أن قتل فى ٢٣ رمضان سنة ١٠٢٣ هـ وكان مرتشيا ، سفاكا ، جبارا كذا قال عنه صاحب جامع الدول(٢) وترجمته فى خلاصة الأثر أيضا .

حوادث سنة ١٠١٦ هـ — ١٦٠٧ م

وفاة محمد بن عبدالملك البغـدادى

« هو محمد بن عبدالملك البغدادى الحنفى ، نزيل دمشق الشام . الشيخ الامام المحقق . كان من كبار العلماء خصوصا فى المعقولات كالالهيات والطبيعيات والرياضيات وهو من جماعة علامة زمانه منلا مصلح الدين اللارى . قيل أخذ عن أخيه شمسى البغدادى(٣) . وكان فى الاصول والفقــه علامة . وله اليد الطولى فى الكلام والمنطق والبيان والعربية . قدم دمشق سنة ٩٧٧ هـ وحضر دروس البدر الغزى ولازم أبا الفداء اسماعيل النابلسى وقرأ فقه الشافعى على الشهاب العيثاوى ثم تحنف وولى وظائف تدريس منها المدرسة الدرويشية وفى

---

(١) تاريخ نعيما ج ١ ص ٤٥٨ وفذلكة كاتب جلبى ج ١ ص ٢٨٣ .
(٢) جامع الدول ج ٢ ص ١١٢٤ .
(٣) مرت ترجمته فى حوادث سنة ٩٧٥ هـ .

الجامع الأموى وتولى تصدير الحديث بالجامع المذكور • وكان له فى صندوق السلطنة فى كل يوم ما يزيد على أربعين عثمانيا(١) وتولى مشيخة الجامع فسمى شيخ الحرم الأموى • وتولى تولية الدرويشية وعظم أمره وتردد الى القضاة • وشمخ بانفه حين رجع الناس اليه • وكان يحضر درسه أفاضل الوقت • ودرس التفسير بالجامع • وكانت فى لسانه الكنة عظيمة حتى انه كان لا يفصح فى كلامه أبدا • وشاع ذكره فى الاقطار الاسلامية • توفى ليلة الاثنين فى العشرين من شعبان لسنة ١٠١٦ هـ وقد احتال القاضى والنائب هناك لسلب أمواله استفادة من غياب أقاربه عنه • ثم جاء بعد مدة ابن عم له من بغداد الى دمشق فصالحه النائب على شيء من المال ثم ذهب فشكاه الى الوزير نصوح باشا • وكان الوزير المذكور رأس العساكر اذ ذاك بحلب فوردت الاوامر بطلب النائب بسبب ذلك الى حلب » انتهى ملخصا من خلاصة الأثر •

ويظهر من ترجمته هذه انه رجل عظيم لا يقل عن شمسى وعهدى وان كان لم يعرف له تأليف فخدمته للتدريس والارشاد غير قليلة أنجبه العراق واستفادت منه دمشق والمنفعة حاصلة منه على كل حال وليس هذا أول من رباه العراق واقتطف ثمرته قطر آخر •••

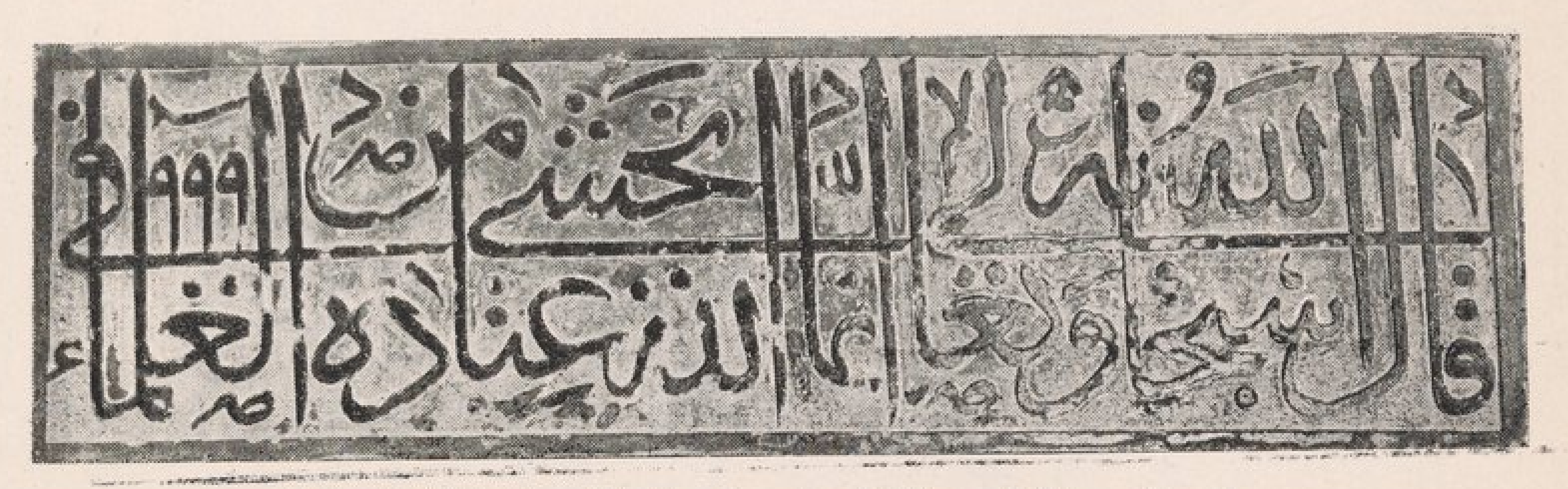
حوادث سنة ١٠١٧ هـ — ١٦٠٨ م

قتلة ابن الطويل

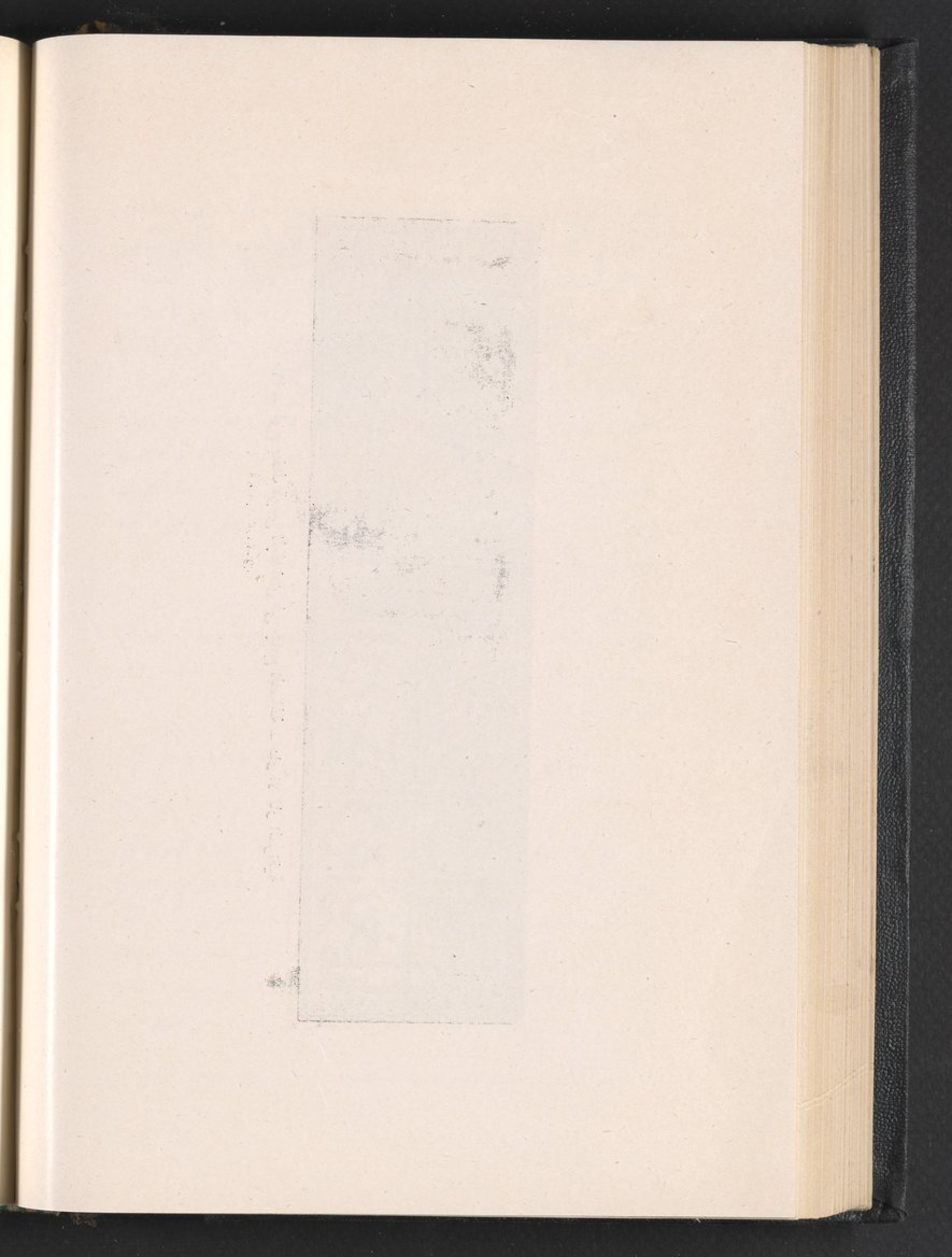
لم نعثر على بيان شاف عن تدخلات محمد بك ابن أحمد الطويل فى الادارة ولا عن أسباب حركته هذه ومتابعة البغداديين له وكذا غيرهم وعصيانه على حكومته كما يقولون وكل ما نعلمه عنه ان والده أحمد الطويل كان رئيس كتيبة خيالة (بلوك باشى) فلما توفى والده قام هو مقامه • وقال عنه صاحب سجل عثمانى ولى بغداد عام ١٠١٣ هـ فخلفه فى أمور الادارة أخوه مصطفى فأنقذها منه محمود باشا چغالەزاده • وأما مصطفى فانه مضى الى ايران وتوفى هناك •

---

(١) اى درهما عثمانيا ويراد به (الاقچة) • وتساوى نصف مثقال من الفضة ثم تغيرت •



١٠ ـ لوح بخط قوسى البغدادى فى جامع الصاغة ـ دار الآثار العراقية



أما قتله فان المؤرخين لم يبدوا تفصيلات عنها أوسع مما جاء في گلشن خلفا وذلك انه في سنة ١٠١٧ هـ بعد ان خذل نصوح پاشا وعاد الى محله مقهورا لما أصابه من خيانة السكبان استقر الطويل في حكومة بغداد مستقلا ومن ثم اغتاله محمد چلبي كاتب ديوانه ومحرم أسراره ولم يوضح عن سبب قتله فخلفه أخوه مصطفى ...

وذكر صاحب الفذلكة خبر وفاة محمد ابن الطويل في حوادث سنة ١٠١٦ هـ وسيأتي تفصيل حوادثه .

عودة الى حوادث بغداد

الوالي محمود پاشا جغالة زاده
واستخلاص بغداد

ان هذا الوالي هو ابن سنان پاشا المذكور ، كما ان له ابنا آخر هو فكرى بك وقد مر ذكره . وكذا محمد بك . عهد اليه بمنصب بغداد وان يقوم بأمر انقاذها فعين سردارا ، فذهب نحو بغداد في غرة شوال سنة ١٠١٦ هـ وأخذ معه جيشا عظيما وبين هؤلاء حاكم أدنه ، وأحمد ابن أبي ريشة ومير شرف من أمراء الاكراد ، فقطعوا مراحل للوصول الى بغداد . وان هذا الوالي القائد كانت له معرفة سابقة بآل قشعم ، وبسيد خان ، وبحاكم سهران وسائر عشائر الكرد والعرب ... ومن ثم اختار من صنوف الجيش عسكرا مرتبا وتوجه نحو بغداد فوصل الى الموصل وهناك كتب رسائل الى البلوكباشية القدماء[1] ، والى أغوات الجيش . بعثها اليهم سرا وفيها من الاستمالة والترغيب الشيء الكثير ... وفي الليلة التي جاءتهم الرسائل قتلوا السكبانية[2] وعند الصباح مضوا لالقاء الحصار على مصطفى پاشا في القلعة الداخلية أمام السراجخانة وأعلموا محمود

---

(١) رؤساء كتائب الخيالة .

(٢) صنف من الجيوش المحلية يتكونون من أهل القرى المتطوعين في أدنى خدمات الجيش من المشاة (عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكريه سى) ص٩ للمرحوم محمود شوكت پاشا وهو الاخ الاكبر لفخامة الاستاذ الجليل السيد حكمت سليمان . وعندنا السكماني يراد به من يجيد الرمي مأخوذ من هذا اللفظ .

باشا بما وقع • ذلك ما أنعش الوالى وبعث فيه الفرح والامل فعجل بالسير فى أوائل ربيع الآخر سنة ١٠١٧ هـ فوصل حوالى بغداد وقوى نشاط الثائرين كما ان جيوش الوالى هاجمت المحصورين وشددت الحصار عليهم وبتوسط من أرباب المصلحة منح مصطفى باشا لواء الحلة وشتت شـــمل العصاة فى أواخر الشهر المذكور واستقر الوزير فى حكومة بغداد • ولا يزال سوق السراجخانة من آثاره • فقضى على هذه العائلة(١) •

وهذا الوالى لم يعرف عن وقائعه ، ولا عن ادارته وأعماله فى العراق ولعله اشتغل بتثبيت الادارة وترتيب الحكومة ••• وقبل وروده الى بغداد تقلب فى مناصب عديدة ففى الاصل كان مير لواء ثم صار أمير أمراء • وفى ســـنة ١٠١٣ هـ ولى ديار بكر ، وفى سنة ١٠١٦ هـ ولى بغداد ثم رفعت عنه الرتبـة وبعدها أعيدت اليه والحاصل لم ينفع لأمر ما فتوفى سنة ١٠٥٢ هـ كـــذا قال عنه صاحب السجل(٢) •

وجاء فى تاريخ الغرابى ما نصه :

« ثم ان كاتب ابن الطويل محمد أفندى أعمل الحيلة فى قتله بيد زوجته فجلس مكانه أخوه مصطفى بك فأرسل السلطان لازالته الوزير محمود باشا ابن جغال • فلما وصل الى الموصل راسل من تابع مصطفى بك من عسكر بغداد اذ كان له معهم معرفة حين كان واليا بها ، فأرسلوا له خبرا أن احضر ونحن معك فلما جاء الى بغداد أظهروا أنواع الجلادة ثم توسطوا بالصلح فأعطى محمود باشا لابن الطويل حكومة الحلة فرضى بها وخرج اليها ، وحكم ابن جغال فى بغداد وذلك فى سنة ١٠١٧ هـ • ثم ان ابن الطويل فر الى العجم ، وبقى هناك • ولما لم يبق فى قطر الاناضول من المخالفين أحد قصد الوزير الاعظم بلاد العجم وذلك فى سنة ١٠١٩ هـ » اهـ(٣) •

---

(١) كلشن خلفا ص ٦٦ ـ ١ ، وفذلكة كاتب جلبى ج١ ص٢٩٧ وص٣٠٩ •
(٢) سـجل عثمانى ص ٣١٩ •
(٣) تاريخ الغرابى ص ٩١ •

المحمودية :

اليوم تعد من أقضية بغداد المعمورة والكبيرة ، كانت مقاطعة فى تملك والى بغداد محمود پاشا چغالەزاده ابن يوسف سنان پاشا والى بغداد الاسبق ، ثم صارت قرية . والآن هى قضاء . ولا تزال معروفة باسمه . وكانت من أوقاف آل قرەعلى وآل الغرابى . لهم عقرها مسجل باسمهم ووقفهم هذا على الذرية . ذكرت نص الوقفية فى محل غير هذا ، وهناك علقت ما لزم عن أسرة آل قرەعلى، وعرفت بهم كما انى ذكرت (مدرسة الغرابى) وموقوفاتها مما لا مجال لتفصيلها هنا .

حوادث سنة ١٠١٩ هـ — ١٦١٠ م

الوالى قاضى زادة على باشا

فى هذه السنة (١٠١٩ هـ) ولى بغداد أمير أمراء روم ايلى . وهذا هو المعروف بقاضىزاده . مر الكلام على ولايته الاولى فى بغداد سنة ٩٩٨ هـ ولم يتعرض صاحب گلشن خلفا لحكومته الآنفة الذكر فى بغداد كما ان صاحب سجل عثمانى لم يبين ولايته الثانية وانما ذكر انه صهر قپوجى مراد پاشا وكان صادقا ، متدينا ، عاقلا[١] ، ولم يعين تاريخ انفصاله ...

حوادث سنة ١٠٢٢ هـ — ١٦١٣ م

صلح ايران وشروطه

فى هذه السنة عقد الصلح مع الشاه وكان من شروطه أن لايسب الصحابة ولا الائمة المجتهدون ولا أم المؤمنين عائشة الصديقة ، فتعهد الشاه بذلك كما كان سبق أن تعهد الشاه طهماسب بذلك ، وأن يزول العداء لاهل السنة وأن يؤذن لمن أراد المجىء الى هذه الانحاء باختياره فلا يمنع ، وأن تراعى الحدود التى كانت أيام السلطان سليمان ، فلا يتعرض للقلاع والبقاع ، وأن

---

(١) سجل عثمانى ص ٥٠٩ .

تكون البلدان والممالك التى بيد مبارك ابن سنجار[١] تابعة لبغداد وأن لا يعاون المرقوم ، ولا يحمى بوجه وان البقاع والبلدان التى استولى عليها (هلوخان[٢]) من لواء شهرزور اذا كانت قد استردت منه فلا يساعد ، ولا يمد بمعاونةما ، وأن يذهب حجاج ايران من طريق حلب والشام لا من طريق بغداد والبصرة حيث لم يكن الطريق فيها أمينا . الى آخر ما جاء مما لا يخص العراق . وفى هذه المعاهدة جاء ذكر والى ايالة بغداد الحافظ محمود باشا ، وأمير الامراء محمد باشا وانهما أودع اليهما أمر تحديد الحدود[٣] .

وهذه المعاهدة غالبها يخص العراق والعلاقة به . فهى مما تهمه احكامها ، وتعين الجهات المختلف فيها .

حوادث سنة ١٠٢٤ هـ — ١٦١٥ م

الوالى دلاور باشا

هذا ما جاء فى گلشن خلفا ــ ولى بعد على باشا قاضى زاده فنال منصب حكومة بغداد برتبة وزارة . والظاهر من سجل عثمانى أنه بقى الى سنة ١٠٢٤هـ لانه صار بعدها واليا فى ديار بكر فى التاريخ المذكور . وجاء عنه فى تاريخ جامع الدول انه «كان قد تخرج من البلاط برياسة الچاشنگيرية ، أى رؤساء الميرة[٤] . ثم ولى قبرص وبغداد وديار بكر ثم صار وزيرا أعظم بعد عزل حسين باشا الى آخر سنة ١٠٣٠ هـ وقتل يوم ٧ أو ٩ رجب سنة ١٠٣١ هـ »[٥] .

الوالى حافظ أحمد باشا

ثم ولى حافظ أحمد باشا ، ذكره صاحب گلشن خلفا ولم يعين تاريخ حكومته فى بغداد . وليس فى التراجم الموجودة لدينا ما يعين ولايته أو يشير الى

(١) السيد مبارك بن سجاد من المشعشعين . وهو الصواب . وجاء ذكر سجاد فى تاريخ العراق ج ٣ ص ٣٤٨ .
(٢) من امراء أردلان .
(٣) فذلكة كاتب جلبى ج ١ ص ٣٥٤ .
(٤) أصلها من يذوق الطعام للسلطان . فارسية . فأطلقت على من يقوم بالميرة من الجند .
(٥) جامع الدول ج ٢ ص ١١٣٢ .

أنه ولى بغداد فى هذه الايام . وانما كان حارب العجم ، فلم يفلح فى حروبه ، ولا نعلم عن ولايته شيئا .

حوادث سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢١ م

الوالى يوسف باشا

وهذا آخر ولاة الترك فى بغداد لهذا العهد ومنه انتزعها المتغلبة وفى رأسهم بكر صوباشى . وكان النفوذ على الولاة قبل هذا التاريخ مشهودا الا أنه لم يظهر كما ظهر فى هذه المرة بمجابهة أصل الحكومة والثورة فى وجهها. وهذا الوالى لم يعين صاحب گلشن خلفا تاريخ ولايته الا انه ذكره بعد أن أورد حوادث سنة ١٠٢٦ هـ مما يشير الى أنه كان قبل هذا التاريخ ولعله أورد اسماء الولاة مطردا ثم مال الى الوقائع فى أيامهم . وصاحب السجل يشير الى أنه ولى بعد سنة ١٠٣٠ هـ لانه ذكر انه ولى امارة روم ايلى سنة ١٠٣٠ هـ ووجد فى حرب لهستان ثم عهدت اليه ولاية بغداد فقتل فيها عام ١٠٣٢ هـ فى الثورة التى قام بها بكر صوباشى . وكان من بوسنة فتخرج فى البلاط ثم صار اغا الينگچرية وبعدها ولى روم ايلى بالوجه المشروح[١] .

بكر صوباشى

١ ـ جداله :

قالوا تزايد نفوذ بكر صوباشى من سنة ١٠٢٨ هـ وكان فى بادىء أمره من أفراد الينگچرية فصار فى رتبة (صوباشى)[٢] ، ثم صار اغا الينگچرية ومن ثم جمع له أعوانا فى الخفاء واكتسب نفوذا . تابعه نحو اثنى عشر ألفا من الجيش الاهلى (قول بغداد) . وكان قد خافه جماعة من الاعيان أيضا فمالوا اليه رهبة لا رغبة وانضم اليه الاهلون من كل صوب فتأثيره كان كبيرا ، وبقى فى هذا المنصب مدة حتى نال النفوذ المطلق بحيث صار الوالى يهابه . لا يستطيع مخالفته،

---

(١) سجل عثمانى ص ٦٥٥ .

(٢) الصوباشى . له كسوة خاصة . ويقوم بأعمال الشرطة ومهمات البلدية وفى أيام الحرب يؤدى الواجب العسكرى (قيافت وتشكيلات عسكرية ص ٦٠) .

ولا يخرج عن رأيه خصوصا حينما رأى الاهلين معه وهم قوة لا يستهان بها ولم يكن آنئذ للولاة اتصال بحكومتهم . فكانوا يتوقعون منه كل شر . ولما كان عسكر بغداد بيده من مدة فليس للولاة غير الاسم المجرد . والحكم كله له . وهكذا مضى ، ولا يزال يتكامل جمعه ، وتقوى عصبته .

استثقل يوسف پاشا هذه الحالة وصار يترقب الفرصة للوقيعة به ، وفي سنة ١٠٣١ هـ عصى بعض العشائر في الانحاء القاصية وزاد ضررهم فتحتم ارسال قوة تأديبية لدفع غائلتهم فذهب (بكر صوباشي) بنفسه لتسكين هذه الفتنة وأقام ابنه محمدا مقامه . وكان آنئذ رئيس كتيبة الخيالة (بلوك باشي) ومحمد اغا العقيد (البيكباشي) فاستمال يوسف پاشا محمد اغا المذكور فهرب أولاد بكر صوباشي وآخذت أموالهم وسدت أبواب بغداد وتهيأ يوسف پاشا للقتال . ولما كسر بكر صوباشي تلك العشائر وعاد بلغه الخبر ، فحاصر بغداد . انضم اليه جمع عظيم لهذا الغرض وكان من جملة من سافر مع بكر صوباشي (عبدالله الرئيس ابن محمد قنبر أغا العزب)[1] ، وتفصيل الخبر ان محمد قنبر هذا استفادة من غياب بكر صوباشي صار يشوق الاهلين على بكر صوباشي ويحثهم أن يقوموا عليه . فعل ذلك باغراء الوالي يوسف پاشا وبين أن بقاء الحالة بهذا الوضع مما يخل بسمعة البلدة ، ويقضي على مصالح الاهلين ويضر بحقوقهم .

وحينئذ دعا السپاه[2] والعزب والاشراف والاعيان ممن في بغداد وشاورهم في الامر واتفقت كلمتهم على لزوم استئصال بكر وأعوانه وابادتهم كلهم ووجوب مراعاة النظام وانهاء هذه الحالة المضطربة .

سمع محمد بن بكر أغا وكتخداه عمر أغا بما وقع عليه الاتفاق فتمكن محمد من الفرار وأما عمر أغا الكتخدا فانه جيء به الى محمد قنبر أغا فصار

---

(١) العزب صنف من الجيش الاهلي من قسم المشاة . ويشترط أن يكونوا غير متزوجين ، ومن ثم سموا بـ (العزب) .

(٢) السپاه . جيش من صنف الخيالة يستخدم في الحرب وفي أيام السلم يقوم بانضباط المملكة ويجمع الاعشار . يقوم بتجهيزه التيمار . وله كسوة خاصة . (تشكيلات وقيافت عسكرية ص ٦٢) .

يتضرع اليه ويتوسل به • يبكى ويستغيث طالبا أن لا يقتل وانه يقوم بما يلزم لتأديب بكر وأعوانه • فأبدى بعض الحاضرين لزوم اغتنام الفرصة وأن يقتل لحينه ولكن محمد قنبر قد غر وظن انه سيكون من أعوانه ، يستميله اليه بالعفو • وعند ذلك أطلق سراحه ، وذهب الى بيته ومن ثم تقلد سيفه وتقدم فى المعمعة وصار يترقب ما تأتى به الاقدار • وبهذا غفل محمد قنبر عن مكر الاعداء وغره ما أظهروا •

وحينئذ ذهب الوجوه والاعيان وكافة الاشياع الى القلعـــة ووصلوا الى الوزير يوسف باشا فأعلموه بدخائل الامور وحقائقها وأن الاعداء أشعلوا نيران الفتن والشرور وأوصوه أن يتخذ ما يلزم من التدابير الا أن هذه كانت فى غير أوانها بل شغل الوزير عن اغتنام الفرصـة بتوجيـه المناصب بدل من شغرت مناصبهم • وكان الاولى به أن يراعى التدابير الواقية حذرا من أن يستفحل الامر فلم يفعل •

وبهذا تمكن الثائرون من لم شعثهم ومن تدارك الاسلحة خـلال غفلة هؤلاء • جمعوا الاشياع والاحزاب ونهضوا • فحلوا منعطفات الطرق وممر الناس • وكذا المواطن الاخرى التى رأوا ضرورة فى لزوم احتلالها • ولم يكتفوا بذلك بل أغاروا على القلعة الداخلية والميدان وباشروا الجدال • رشقوا أتباع الپاشا بنيران البنادق حتى سقط الكثير منهم قتلى •

ومن ثم عاد بكر صوباشى وحاصر البلد بل ضيق الخناق على الوالى • ذلك ما دعا الوزير أن يخاطر بنفسه وبمن معه فهاجم صوب الميدان وحمل على أعدائه فدامت المعركة بين الطرفين بضع ساعات فى خلالها قتل خلق لا يحصى • فكانت النتيجة أن انتصر بكر صوباشى وأتباعه وخذل أتباع الوزير • وحينئذ لجأ أعوانه الى القلعة الداخلية وفى الحال اتخذ القوم المتاريس والخنادق حولهم فحصروهم •

رأى محمد قنبر أغا هذه الحالة بأم عينه وشاهد الخطر المحدق فأخذته الحيرة من خفوق مسعاه وصار لا يدرى أين يتوجه • ارتبك عليه الامر وأضاع رشده • قطع الامل من النجاة • لا سيما بعد أن علم أن الكتاب الذى أرسله الى

ابنه قبض عليه بكر صوباشي وكان يحثه به أن يسرع بمن معه من العزب ، ويتخذ تدبيرا عاجلا ، وأن يستأصل بكرا وأتباعه ويأتي بباقي العسكر بلا تأخر • وعند ما وقف على منطوياته أمر بالقبض على ابنه عبدالله الرئيس وكان نائما فاعتذر لنفسه ودافع بكل ما أوتي من بيان فلم ينجع • وانما ضرب عنقه • وفي الحال تفرق أتباعه من العزب في البراري منهزمين ورجع بكر صوباشي لحينه الى بغداد فعلم بذلك محمد قنبر أغا وشعر بما حل بابنه من الرزية • وما سيناله من مصيبة •

ان بكر صوباشي وأتباعه وافوا على عجل وعبروا دجلة ومالوا ميلة واحدة على أعدائهم فأذاقوهم وبال أمرهم • وفي المعركة قتل الوالي • كان واقفا على تل الطوب فأصابته طلقة نارية أردته قتيلا • واستمر الباقون لبضعة أيام على حصارهم ، وقد قيل (المحصور مغلوب) فلم يروا بدا من التسليم وطلب الامان •

وهنا تلاعبت أقلام كتابهم في بيان أعمال بكر صوباشي وتمثيله بالمحاربين، وقسوته ، وأنه لم يقبل أمانا وانما غصب ودمر ما شاء أن يدمر [١] • وقالوا نهبت العتاد (الجبه‌خانه) المخزونة من أيام السلطان سليمان ومن بعده ، وذهبت أموال كثيرة لا يحصيها قلم ، وكثر السلب • فأصبح كثير من الاغنياء والمتمولين لا يملكون شروى نقير •

٢ ـ تخلص بغداد له :

ومن ثم وقعت بغداد في قبضة بكر صوباشي ، فصار حاكمها المستقل • وقالوا انه بث العيون للاطلاع على أحوال الناس فصار يذيق المخالفين أنواع العقوبة ، وضروب القسوة • ولم نجد أثرا عراقيا سوى گلشن خلفا يعين نفسية الاهلين تجاه هذا الحادث الذي لم يطل في بغداد أمد حكمه بسبب الهجومات القوية المتوالية عليه من العثمانيين الا ما جاء في تاريخ الغرابي • قال :

« وفيها ـ في سنة ١٠٣٢ هـ ـ تغلب بكر صوباشي في بغداد • فقتل حاكمها يوسف پاشا ، وأرسل الى محافظ دياربكر حافظ أحمد پاشا يطلب منه أن

(١) خبر صحيح ، گلشن خلفاء ، جامع الدول ج٢ ص ١١٣٧ ، وفذلكة كاتب جلبي ج٢ ص ٣٩ •

يعرض الى حضرة السلطان مراد ... هذه الاحوال وأن يجعله حاكما فى بغداد . فلما بلغ هذا الخبر الى السلطنة جعلت سليمان باشا حاكما على بغداد ، وأمر حافظ أحمد باشا أن يسير بعسكر ديار بكر الى بغداد ويزيل بكر صوباشى، ويجلس سليمان باشا . » اهـ[١] .

٣ ـ الوالى سليمان باشـــا :

وبعد أن تم لبكر صوباشى أمر بغداد حاذر من موقفه هذا وما سيجر من النتائج فعرض الحال على السلطان وطلب العفو وذكر أن يوسف باشا كان السبب فلا يتوجه عليه لوم والتمس أن تنعم عليه الدولة بمنشور الولاية . راجع بذلك والى ديار بكر حافظ أحمد باشا لكن الحكومة اعتبرته عاصيا فلم تمنحه الولاية . فعهدت بايالة بغداد الى سليمان باشا وأرسل هذا (متسلمه)[٢] اليها فمنعه بكر صوباشى من الدخول وكان أمله أن يولى هو دون غيره فلما شاهد ذلك قال : « لا حاجة لنا الى أمير أمراء ! » وبهذا عارض رغبة الدولة العثمانية[٣] .

أما الوالى فانه لما سمع من بكر صوباشى الرد وانه متأهب للقتال عزم على حربه وكان معه أمير أمراء الموصل ، ووالى كركوك ، وأمراء الكرد فساروا بعشرين ألفا من الخيالة وتقدموا نحو بغداد فوصلوا الى قرية الجديدة (ينگيجه) وآمالهم مصروفة الى حصار بغداد وكانت المدينة آنئذ فى قحط عظيم ولكن الوالى بقى فى محله ولم يجسر على التقدم . دام مكثه بضعة أشهر فاتخذ الشدة تارة والسهولة أخرى فلم تظهر نتيجة . ومن ثم قام من مكانه وتوجه الى ما يقابل (بعقوبا) و(بهرز) فاتخذ هذه المواقع مضرب خيامه . وصاروا يعيثون فى القرى نهبا وغارة .

---

(١) تاريخ الغرابى ج٢ ص ٩٩ .
(٢) المتسلم من ينوب عن الوالى فى استلام أمور الادارة والقيام بها الى حين وروده الى محل منصبه . وان الغاية من ارساله أن تتيقن الدولة درجة الطاعة والامتثال والا جهزت الجيوش وقضت على أرباب الزيغ . وهـذا أول متسلم عرف فى بغداد . وكذا يراد بالمتسلم متصرف اللواء التابع لايالة الوالى ، أو من كان دونه فى نطاق السلطة .
(٣) جامع الدول ج ٢ ص ١١٣٧ .

ولما علم بذلك بكر صوباشى أرسل كتخداه عمر آغا لحراسة القرى وصيانتها من التعديات وكان معه من جيش بغداد نحو ثمانية آلاف خرجوا من (الباب الابيض) المسمى (آق قپو) فعبروا نهر ديالى من شريعة (صفوه) (كذا) وصاروا تجاه الوالى سليمان پاشا فى محل يقال له (قباب ليث) •

ومن ثم جرد الوالى عليهم حملة تقدر بخمسة آلاف • عهد بقيادتها الى بوستان پاشا والى كركوك • جاء لمقابلتهم ، وصاروا يتضاربون ، واغتنم جيش بغداد الفرصة فعبر النهر وهاجم الجيش العثمانى • وفى المعركة جرح بوستان پاشا • وفى تلك الليلة استولى الرعب على جيش الوالى فانهزم سحرا قبل أن يلتقى الجمعان • فولى الوالى الادبار • وعاد الى جهة الشام وأخبر حكومته بما جرى فاهتمت للمعضلة وبذلت ما فى وسعها للتنكيل بهذا الثائر ودفع غائلته • أرسلت الى أمير أمراء ديار بكر حافظ أحمد پاشا ليكون قائد الحملة(١) ...

حوادث سنة ١٠٣٠ هـ — ١٦٢٠ م

ملا غانم البغدادى

ان بكر صوباشى فى هذه السنة قتل أحد العلماء مفتى بغداد (ملا غانم) ، وكان لهذا أقارب فى بغداد من العزب • يخشى منه أن يخالفه فغدر به •

أبدع الترك فى تمثيل هذه المأساة فرأوا أنه حين قتله كان مشغولا بقراءة القرآن • يقرأ سورة (يس) وقبل أن يتمها قضى نحبه ولكنه — كما قالوا — استمر فى القراءة حتى أتمها وهو ميت • وعدوا هذا الحادث كرامة تذكر له • وقالوا ان قتله أحدث حزنا فى القلوب ، ودعا الى استياء عام •

قال كاتب چلبى : « ولد فى بغداد وحصل العلوم فاستولى عليه العشق (اعترته الجذبة) فصار يتجول نحو ١٢ سنة فى الصحارى والبرارى ، ثم انه وصل الى الشيخ علاءالدين فى عينتاب فسلك عليه • ولما ولى رضوان أفندى منصب قضاء بغداد سنة ٩٩٨ هـ سمع عنه أوصافا جميلة فمال اليه ومن ثم أصلح

---

(١) كلشن خلفا ص ٧٠ — ١ •

حاله . فجعله مدرسا فى المستنصرية وكانت من أجل مدارس بغداد فصار يقضى أيامه فى التدريس . فظهر علمه وبان فضله ، ونعت بأعلم العلماء ، وفى سنة ١٠٣٠ هـ قتل أيام الاضطراب فى بغداد .

كان هذا الولى وصل الى درجة الكمال فى علوم الظاهر والباطن . وله اليد الطولى فى الفقه . صار مرجع الفتوى ومن آثاره (ملجأ القضاة)(١) المعروف بترجيح البينات ، وكتاب (مسائل الضمانات) وله كتاب فى النحو لم يتمه ، وله (حصن الاسلام) فيما يتعلق بألفاظ الكفر ...»(٢) .

القحط :

فى هذه السنة استولى القحط على بغداد فلم تنزل الامطار وقلت الاعمال بسبب هذه المصائب وأخذ يهجر الناس أوطانهم . وان العربان عدموا الامطار ولم يجدوا أثرا للكلأ فرموا بأنفسهم الى بغداد وصاروا يشكون الجوع فاستولى الغلاء على البلدة وصار الناس فى فقر وفاقة ، فكان المصاب فادحا مؤلما(٣) .

حوادث سنة ١٠٣٢ هـ — ١٦٢٢ م

حافظ أحمد باشا وبغداد

فى (سنة ١٠٣٢ هـ) نال السلطان مراد الرابع السلطنة . وكان موصوفا بالشجاعة والسطوة والقوة . وفى أيام جلوسه كانت الادارة فى تذبذب واضطراب لم يعهد مثلهما ، وان الجيش والينگچرية جمحوا فلم يتمكن أحد من ضبطهم ، فحدثت غوائل منها (حادثة بغداد) فأبرز من الشدة والحزم ما مكنه من ازالة الاضطرابات وارجاع الادارة الى نصابها فتولد نشاط وجدة نوعا ...

وقبيل جلوس السلطان كانت الحكومة رأت ما رأت فى بغداد من رد متسلمها أرسلت سليمان باشا واليا بالوجه المذكور وهذا خذل . وحينئذ زاد

(١) طبع مرارا . وكذا طبع كتاب الضمانات .
(٢) فذلكة كاتب جلبى ج ٢ ص ٦
(٣) كلشن خلفا ص ٦٨ ـ ١ .

حنقها واهتمت أكثر لدفع الغائلة ففوضت حافظ أحمد باشا أمير أمراء ديار بكر وهو من قدماء الوزراء • جعلت معه ولاة مرعش وسيواس والموصل وأمراء كردستان • فكان من رأى أحمد باشا المداراة وتولية بغداد لبكر صوباشي والا فانه يتوقع أمورا ليست فى الحسبان •

وأكثر ما كان يخشى منه أن يميل هذا المتغلب الى ايران ويسلم بغداد الى العجم عنادا فيدعو الشاه لصد العثمانيين فيولد مشاكل خارجية فلم يلتفت أعيان الدولة الى رأيه بل حملوا ذلك على سوء الظن به • اتهموه بأنه أخذ مالا من بكر صوباشي من جراء المراجعة والتوسط لحكومته •

ولما وصل خبر ذلك الى حافظ أحمد باشا سار الى بغداد فقاتل هذا الثائر • فكسره فتحصنوا فى المدينة ، وشرع فى الحصار والقتال فى أطراف بغداد • بدأ بالتضييق على بغداد وهاجم عدة هجومات ، جرت خلالها مصادمات فاضطر أخيرا جيش بغداد الى الهزيمة ، فأضاعوا ثلاثة آلاف وسبعمائة جندى وألفين وخمسمائة أسير • أما الأسرى فانهم حينما حضروا الى القائد أمر بقتلهم ولم يقبل منهم عذرا ، ولا رحم شيخا ولا شابا •

بغـداد وشـاه العجم :

ولما وصل خبر هذه المغلوبية الى بكر صوباشي ورأى ان الخناق قد ضاق على بغداد كتم غيظه ولم يبال بما جرى على القتلى والأسرى ورأى الصواب فى أن يسلم مفاتيح بغداد الى الشاه عباس الكبير • نظرا لما ناله من الحصار ولما أصاب بلاده من القحط الشديد من جراء ذلك •

وعلى كل لم يطق بكر صوباشي صبرا على هذه الحالة ولم تبق له قدرة المقاومة والتزام الجيش لمدة طويلة فاضطر الى الاستمداد من الشاه عباس والاستعانة به مبينا له أنه اذا أنقذه من هذه الورطة وخلصه من الترك فسوف يسلم له بغداد خصوصا بعد أن عقد مجلسا للمذاكرة مع أعيانه واتضح للجميع ان العثمانيين لو ظفروا به وبأعوانه لا ينجو منهم أحد فاستولى اليأس عليهم بسبب الضعف عن المقاومة ••• ورجحوا أسر العجم على هلاكهم من جانب

الترك فقرروا لزوم تسليم بغداد الى الشاه صيانة لحياتهم • وافق الكل على هذا • وكتب بكر صوباشى كتابا يتضمن انه منقاد لايران وعرض المفاتيح والكتاب مع رسول يسمى (عباسا) • فذهب هذا لبلاد العجم مسرعا •••

جاء فى خلاصة الأثر عن هذا الكتاب « ••• كتب ـ (بكر صوباشى) ـ للشاه كتابا يقول له أسلمك بغداد بشرط أن تكون الخطبة والسكة باسمك فقط فرضى الشاه بذلك » اهـ •

وفى هذه الاثناء كان الشاه فى سفر قندهار فأرسل اليه بريد سريع قدم اليه الرسالة والمفاتيح فخلع الشاه على الرسول وأكرمه اكراما زائدا اذ أنه كان يترقب هذه الفرصة آنا فآنا • ولما حصلت بادر للمساعدة • وحينئذ رتب أمير همذان (صفى قولى خان) سردارا وجعل معه كلا من حاكم اللر (حسين خان) وحاكم اردلان (أحمدخان) وخان أوشار (أفشار)، وقاسمخان وأمراء آخرين • كتب أن يذهبوا معا على جناح السرعة لانقاذ بكر صوباشى من مخالب حافظ أحمد باشا وأن يستولوا على المدينة وعين من يذهب توا لتنفيذ هذا الامر واعطائه الى السردار • فكان ما أمده به من الجيوش يبلغ نحو ثلاثين ألف جندى •

فلما ورد اليهم الامر نهضوا مسرعين متوالين الواحد اثر الآخر فذهبوا الى بغداد وتسابقوا فى الوصول اليها فوصلوا الى خانقين وضربوا خيامهم هناك • وحينئذ وافى الخبر الى حافظ أحمد باشا وهذا رأى ان الخطر قد حل به من جهة أن الجيش قد استولى عليه التعب من مشاق السفر والحروب فاذا سمع بورود الجيوش الايرانية تولد الوهن فى قوته المعنوية • ولو خرجت عليهم الجيوش المحصورة أيضا فلا يتيسر صد الاثنين بوجه • ولا قدرة حينئذ على مقاومتهما •••

وحينئذ فكر فى اتخاذ تدبير ناجع للنجاة من هذا المأزق الحرج فرأى أن يؤيد بكر صوباشى ويقره فى منصبه بارسال فرمان اليه بمنصب بغداد مع الخلعة السلطانية الفاخرة • وكان الرسول اليه (سيد خان) حاكم العمادية •

ومن ثم أبدى له أن قد عفا السلطان عن جميع أعماله السابقة وجدد المحبة معه بكتاب أرسله اليه موضحا فيه أن الماضى لا يذكر ، وأن يحافظ على مدينة السلطان من تطاول الأيدى اليها . لئلا يؤدى ذلك الى وقائع مؤلمة فى النفوس . مخربة للبلاد ، وأن يهتم بالدفاع بما استطاعه من حول ...

الى آخر ما جاء فى الكتاب من النصائح وأضاف اليه ولاية الرقة . ووجه لواء الحلة لابنه فتمكن من جلبه اليه . وبعد أن بعثه اليه عجل بالذهاب الى دار الامان والنجاة من الخطر بالانسحاب الى موقع بمعزل عن التقرب الى أحد الجيشين ...

ثم ورد الى حافظ أحمد باشا سفير من العجم . أتى بكتاب اليه يقول فيه ان بكر خان دخيل الشاه ، لا تتحركوا بما يخالف الصلح . ارحلوا عن بغداد . والا يختل السلم .

فأجاب حافظ أحمد باشا اننا لم نكن فى مملكة الشاه وانما عصى أحد رجال السلطان فجئنا لتأديبه . فقال له السفير ان بكر صوباشى استمد بالشاه فلو أن طيرا لجأ الى قشة لحمته فأجابه ان الطير لا يزال فى قفصنا . فلو فر وذهب اليكم لكان لكم العذر فى حمايته . وكان قوله الاخير : أقسم وأقول الحق انكم اما أن ترحلوا أو أن يأتيكم أمير أمرائنا (خان خانان) بثلاثين ألفا من جنده . وحينئذ استعدوا للنضال . فأجابه : اذا فسد الصلح فالحكومة العثمانية غير عاجزة عن المقابلة .

وعلى هذا نهض السفير ورجع .

دخل بغداد نحو ثلثمائة من العجم وعرف بواسطة الجواسيس أن السكة ستضرب يوم الجمعة باسم الشاه . فبقى حافظ أحمد باشا متحيرا فاتخذ التدبير الآنف الذكر ووجه ايالة بغداد لبكر صوباشى . بعد ان كان أعلن داخل البلدة أن بغداد للشاه وبكر خان عبدالشاه وضربت النقود باسم الشاه كما شاع على الألسنة . وحينئذ ورد اليه فرمان الايالة وفيه « وجهت اليك بغداد فكن على بصيرة وابذل ما تستطيعه من قدرة لحفظ الايالة وحراستها » .

قال أوليا چلبى : اضطر بكر صوباشى الى الالتجاء الى ايران ، فأخبر القائد حافظ أحمد پاشا دولته ، فاضطر الصدر الاعظم (مره حسين پاشا) أن يصدر الفرمان السلطانى بولايته[١] .

فرح كثيرا بمنشور الولاية وندم على دعوة الشاه عباس والركون اليه بالدخالة فاتخذ التدابير لاعادة صفى قولى خان . فكتب اليه يرحب به بعد أن قام بضيافته وقدم له أفخر الهدايا واعتذر له ولكنه أى صفى قولى خان لم يكن ممن يقعقع له بالشنان أو يكتفى بالمدح الفارغ والالفاظ اليابسة وانما كلفه بتسليم المدينة اليه حسبما عهد اليه . وكان قد قال له بكر صوباشى فى كتابه :

ـ انا عبيد الشاه القدماء وبيننا حقوق الجوار فنشكره على ما أسداه الينا من المعاونة وما أجراه من الالتفات ونذكر له هذا الصنيع ونثنى عليه من أجله دائما ونقدم له هدايانا الحقيرة مع ما استطعنا تقديمه من النقود ولا نزال على عرض العبودية ...

أما صفى قولى خان فانه تهور وأطال لسانه . ويقال انه قتل بعض من جاءه والقى القبض على آخرين ...

مجيء الشاه عباس الى بغداد :

ان صفى قولى خان كان قد وصل الى خانقين . وتقدم نحو بغداد . فلما سمع بكر صوباشى ندم على ما فعل . وصار يلتمس الوسائل لرفعهم عن بغداد . ولذا استقبله بواسطة أعيان البلدة لاجراء لازم الضيافة وترصينا للوداد فأنزلهم خارج الباب المظلم (قراكلق قپو) وقام بضيافتهم ثلاثة أيام وقدم لهم الهدايا ورحب بهم غاية الترحيب وكتب بكر صوباشى بذلك كتابا . وقدم لهم بضعة أكياس من النقود .

وفى گلشن خلفا ذكر انه استشاط غضبا حينما فتح الكتاب وعرف منطوياته وقال انى لم آت لهذا الغرض وسأخبر الشاه بما وقع فأرسل بعض رجاله بصورة مستعجلة الى الشاه وأخبره بالحالة . وكان الشاه أتم سفر قندهار

---

(١) أوليا جلبى ج٤ ص ٤٠١ .

وعاد الى أصفهان عاصمته وصار يترقب الاخبار عن بغداد وبينا هو كذلك اذ جاءه الرسول ... وحينئذ تهور أكثر وصار يتطاير من عينيه الشرر . وفي الحال عين قارجغاي خان قائدا وأرسله وجهز معه من كان لديه من الجنود وأمراء خراسان وگرجستان وگيلان ومازندران ثم توجه هو نحو بغداد بسرعة لا مزيد عليها ...

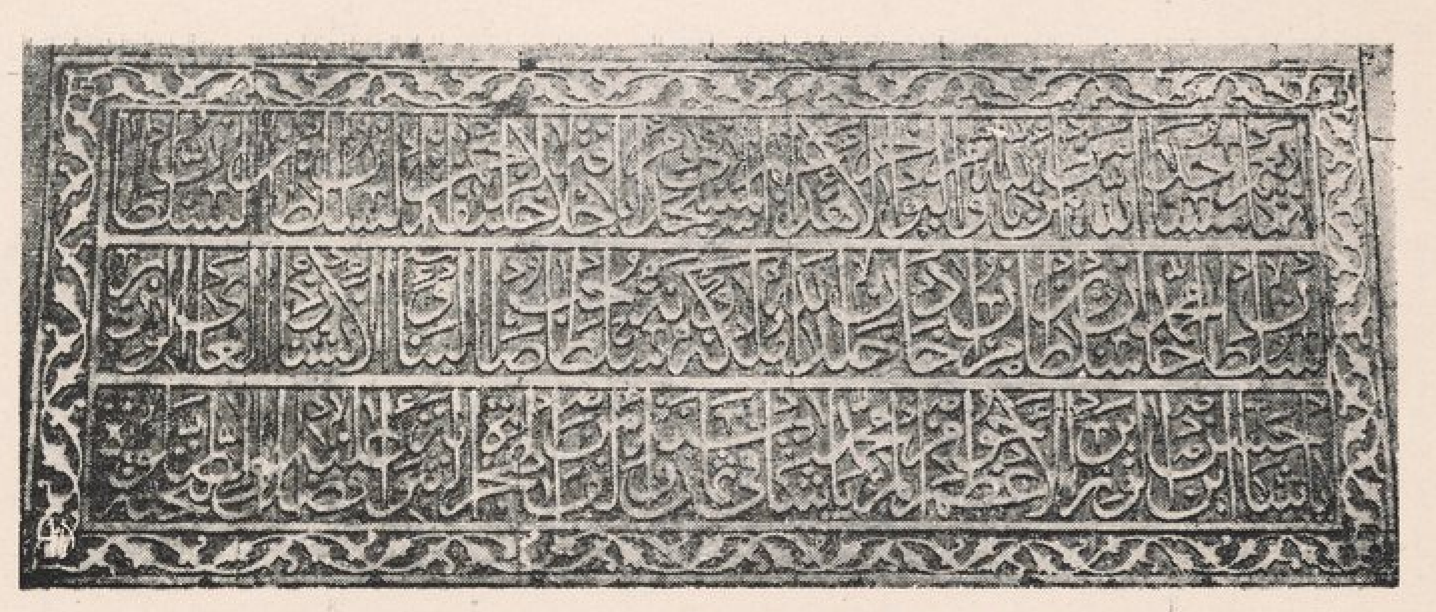
أما بكر صوباشي فانه تأهب للمقارعة . أعد جيشه وهيأه . وفي هذه الاثناء ـ قبل أن يأتي الشاه ـ عبر صفي قولي خان الى الجانب الغربي . فلما علم بذلك بكر صوباشي أرسل كتخداه عمر اغا ، جعله قائد الحملة . وبعد عبورهم من جسر بغداد تحاربا مع عسكر صفي قولي خان ودامت الحرب بضع ساعات ومن ثم ظهرت علائم الانكسار في جيش عمر أغا . وأسر من قبل العجم في هذه المعركة . وبعض الاكابر قد اعتقلوا وأرسلوا لجانب الشاه .

ثم ان قارجغاي خان وصل الى بغداد ، وحاول افتتاحها فلم يفلح وبعد ١٤ يوما جاء الشاه بنفسه فحاصرها من جميع أطرافها واتخذ المتاريس ورتب الابنية والالغام ونصب المدافع وصار يطلق النيران على بغداد ويمطرها بوابل من القنابل .

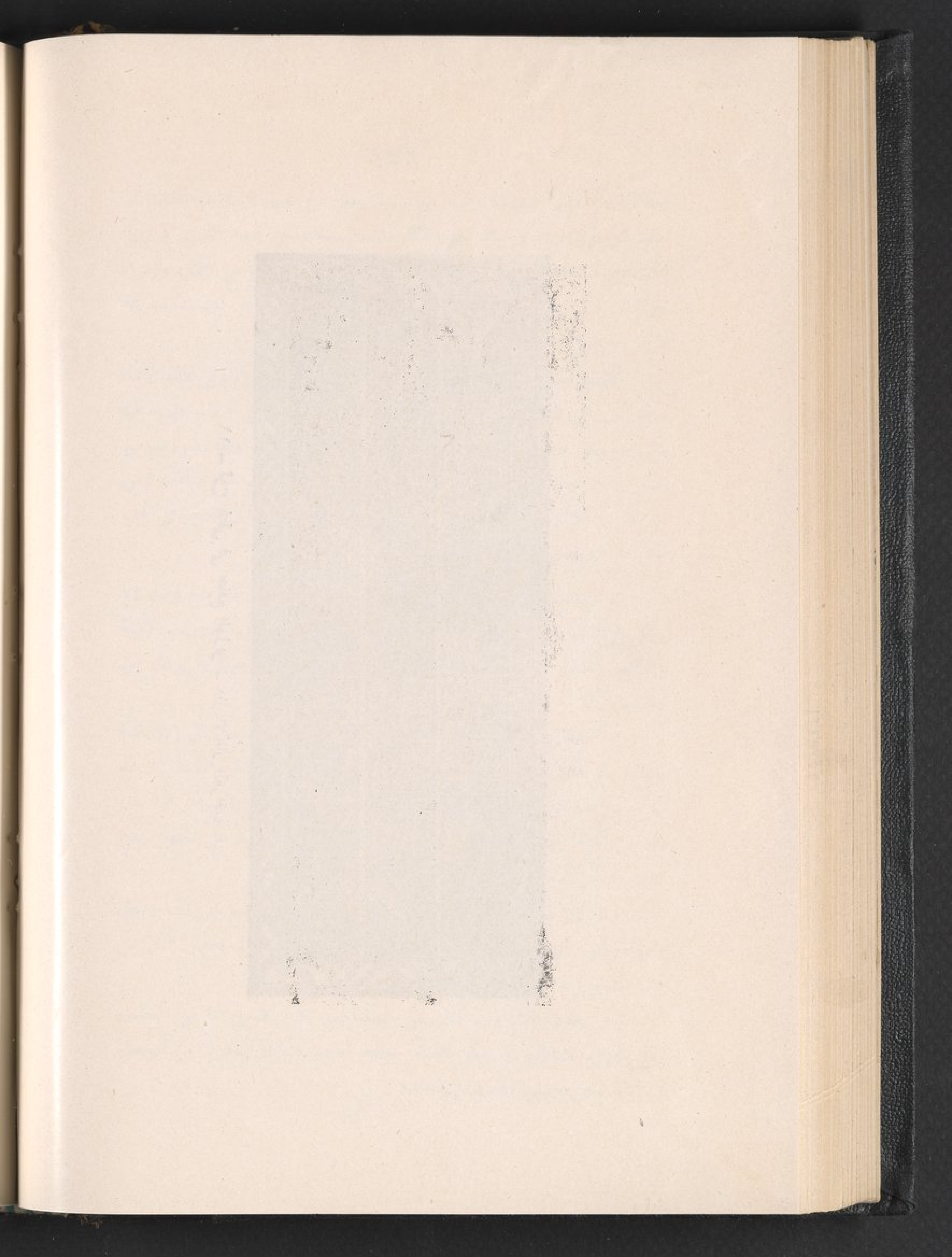
أما حافظ أحمد پاشا فانه كان في أثناء الطريق . وصل الى (درتنك) فأعلمه بكر صوباشي بواسطة رسوله أن يأتي لامداده . ولكن الپاشا كان قد سرح من معه من الجند وفي الحال تدارك قسما من السكبانية والعساكر وأرسل اليه من أمراء الموصل حسين پاشا المعروف بشجاعته ومن قدر على تجهيزه من الجند وأخبر استانبول بأن الشاه حاصر بغداد .

ولما كان صادف ذلك أيام جلوس السلطان مراد الرابع لم يعبأ رجال الدولة بأمور مهمة مثل هذه بل ولا فكروا فيها فلم يحصل أمل من هذه المخابرة .

وفي هذه الاثناء ورد كتاب من متسلم ديار بكر يتضمن انه من المحتمل مجيء ابازه پاشا الى ديار بكر فاضطر حافظ أحمد پاشا أن يتحرك من الموصل ويتوجه نحو ماردين فذهب اليها ...



١١ – **لوح خطي في جامع الوزير** – دار الآثار العراقية



وان حسين پاشا حينما أراد الذهاب الى بغداد ظهر من أمامه قارجغاى خان ومعه بضعة آلاف جندى فتحارب معه فى مكان بعيد عن الشط يقال له (قزل خان)[1] • وهو خان لا سقف له فحاصر حسين پاشا هناك مدة ، بقى خلالها بلا مهمات ولا لوازم وعتاد ، وحينئذ أرسل اليه قارجغاى خان من يفاوضه فى الصلح مبينا أن غرضه انهاء الصلح مع الحكومة العثمانية وقد بعثنى الشاه للمفاوضة فى أمر الصلح •

وبأمثال هذه الحيلة تمكن من اغوائه فخرج اليه من حصاره • وهذا القائد لم يراع تعاليم الشاه فلم يؤمن الپاشا وقتله فى الحال ، كما أنه قتل أكثر جنوده ولم يبق الا القليل وهؤلاء أرسلهم الى الشاه أحياء • ولما رآهم الشاه أظهر غضبه ــ بصورة ظاهرية ــ على قائده قارجغاى وعاتبه على صنيعه • ولاثبات نواياه وتأييدها أطلق سراح الاسرى فأبعد التهمة عن نفسه وانه لم يرض بقتلهم •••

سمع بهذا حافظ أحمد پاشا وهو فى الطريق فتألم كثيرا ولكنه نظرا لما جاءه من الخبر ولحوق موسم الشتاء اضطر الى العودة •

وكان ورد اليه كتاب من (بكر پاشا) مؤداه أنه قد حفرت الالغام فى أماكن متعددة من السور وعدتها ٥٤ لغما فبقى عاجزا عن المقاومة والدوام على المحاصرة فطلب الامداد السريع والنجدة العاجلة • فأجابه الپاشا بأن الوزير الاعظم سيوافى بقوة لامداده وانه فى انتظار مجىء الخبر اليه من استانبول • فلم يظهر أثر من هذه المخابرة وسمع أيضا بأن ابازه رجع عن الفرات وعاد •

أما القحط فى بغداد فانه بلغ حده حتى ان الامهات وصلن الى درجة أكل أبنائهن وبناتهن وبلغت قيمة الحمار ألف أقچه •••

وبهذه الصورة بدت ــ أثناء الحصار ــ علائم الضعف فى بكر صوباشى وقلت ذخائره الحربية ومعداته وان ابنه الكبير محمدا لما شاهد هذه الحالة استولى عليه اليأس •••

---

(١) قزل خان ذكر فى رحلة المنشى البغدادى ص ٨٧ الهامش •

مضت بضعة أيام والمدينة تحت حراسة محمد بن بكر صوباشي وكان الامل أن يأتى الله بفرج من عنده فلم يجد ما يزيل المصيبة أو يدفع هذا الشر • وعجز القوم عن المقاومة مع أن القوة كانت كافية للمقاومة فأرسل سفيرا الى الشاه وأبدى أنه يسلم بغداد • وعلى هذا أرسل الشاه عيسى خان ومعه بضعة آلاف من العساكر الذين كانوا فى الصحراء فدخلوا المدينة بلا عناء ولا تعب وتصرفوا بها •

وفى تواريخ تركية عديدة أن هذا الفتح كان فى الليلة الثانية من صفر سنة ١٠٣٣ هـ ــ ١٦٢٣ م فى تشرين الثانى (١) الا أن صاحب خلاصة الأثر بين أن الاستيلاء وقتل بكر صوباشي وأخاه عمر وولده كان فى سنة ١٠٣٢ هـ وهذا يوافق ما جاء فى النصوص المقولة عن المصادر الايرانية ففى مجمل التواريخ وهو كتاب مختصر فى التاريخ مفيد عام ، فيه تفصيل أمر الصفوية أكثر ، كتبه مؤلفه فى أيام الشاه عباس الثانى ، ومنه نسخة خطية لدى الاستاذ عباس اقبال، وأخرى فى الخزانة العامة لوزارة المعارف الايرانية • جاء فيه ان الشيخ لطف الله العاملى توفى سنة ١٠٣٢ هـ ثم تصرف الشاه عباس فى تلك السنة بغداد • وبين ميرزا عبدالله أفندى فى كتابه (رياض العلماء) نقلا عن عالم آرا أن الشيخ لطف الله توفى فى أوائل تلك السنة قبل فتح بغداد وان تاريخ فتح بغداد جاء فى يوم الاحد ٢٣ ربيع الاول سنة ١٠٣٢ هـ ــ ١٦٢٣ م •

وعلى كل حال ان تاريخ السنة يوافق ما ذكر فى خلاصة الأثر ج١ ص ٣٨٢ و٤٥٥ ولكن ما ورد فى رياض العلماء قد وافق ما جاء فى عالم آراى عباسى ، وخلاصة الأثر ، وفيه ضبط للتاريخ (٢) •••

ومن ثم نرى ان التفاوت بين المنقول عن جامع الدول وعن عالم آراى عباسى وعن رياض العلماء وخلاصة الأثر •

وحينئذ استولى الايرانيون على الابراج وأطلقوا المدافع للاعلام بالاستيلاء على البلدة فعلم الاهلون بما وقع واطلعوا على حقيقة الوضع واستولى عليهم

---

(١) جامع الدول ص ١١٣٧ ج٢ وغيره •

(٢) مجلة يادكار العدد الاول سنة ١٩٤٥ للاستاذ عباس اقبال •

الخوف والهلع واضطربوا لهذا المصاب كثيرا حينما رأوا في وجه النهار تبدل الحالة وأطلق الاعجام النيران وقتلوا أكثر أهل السنة ...

وبعد أن ألبسوا الخلع الى محمد بن بكر صوباشي وتوابعه وأكرموهم بانعامات أعلن للعموم بأن يبقى كل في مكانه وباستراحته وان الشاه آمن الكل وانه لا ضرر على الشيعة والسنة وأن تفتح الاسواق كالمعتاد ... ثم ألقوا القبض على (بكر صوباشي) وعلى أخيه (عمر أفندي) . ولمدة شهرين عذبوهما بأنواع العذاب فقتلوهما بسيف الغدر الذي قتلوا به محمد قنبر اغا وسائر العزب وأولادهم ...

وكان حينما ألقى القبض على بكر صوباشي جيء به الى الشاه فرأى ابنه جالسا قرب الشاه بجانبه وحينئذ عاتب الشاه بكر صوباشي بكلمات منها : قمت بهذه الاعمال الشائنة فأجابه ان الاعمال الرديئة هي من ابن الزنا هذا وأشار الى ابنه وابتدر ابنه بالسب والشتم وبكى . أما الشاه فانه أمر بحبسه في الحال .

وفي تاريخ الغرابي ما نصه :

« فلما أتى حافظ أحمد باشا الى بغداد ليزيل بكر صوباشي ، ويجلس سليمان باشا مكانه بلغ هذا الخبر بكر صوباشي فأرسل الى الشاه عباس بأني أنقاد لك ، فأمدني بعسكر كي أدفع هذه الغائلة ، فلما أتى الحافظ الى بغداد قابله بكر صوباشي خارج بغداد للقتال فلم يكن نصيبه غير الهزيمة ، فتحصن في بغداد وبقي الحافظ متوقفا خارج بغداد من غير قتال راجيا أخذ البلد بالسهولة فبينما هو منتظر التسليم أتاه الخبر بأنه من طرف الشاه أتى الى مشهد الحسين (رض) خمسة آلاف مقاتل لامداد بكر صوباشي ، وأكثر عساكر الشاه قد اجتمعت في (درنة ودرتنك) فخاف سوء العاقبة ، وأرسل منشورا الى بكر صوباشي يتضمن أننا جعلناك واليا على بغداد فاحفظها ولا تسلمها للشاه ، وارتحل وذهب الى ديار بكر ثم ان بكر باشا أخذ في تحصين السور وأرسل خبرا لمن أتى لامداده من عساكر الشاه ان اذهبوا الى مكانكم فقد حصل المطلوب .

بلغ هذا الخبر الشاه فاستشاط غضبا . فأتى الى بغداد وحاصرها فقام بكر

مضت بضعة أيام والمدينة تحت حراسة محمد بن بكر صوباشي وكان الامل أن يأتى الله بفرج من عنده فلم يجد ما يزيل المصيبة أو يدفع هذا الشر • وعجز القوم عن المقاومة مع أن القوة كانت كافية للمقاومة فأرسل سفيرا الى الشاه وأبدى أنه يسلم بغداد • وعلى هذا أرسل الشاه عيسى خان ومعه بضعة آلاف من العساكر الذين كانوا فى الصحراء فدخلوا المدينة بلا عناء ولا تعب وتصرفوا بها •

وفى تواريخ تركية عديدة أن هذا الفتح كان فى الليلة الثانية من صفر سنة ١٠٣٣ هـ – ١٦٢٣ م فى تشرين الثانى (١) الا أن صاحب خلاصة الأثر بين أن الاستيلاء وقتل بكر صوباشي وأخاه عمر وولده كان فى سنة ١٠٣٢ هـ وهذا يوافق ما جاء فى النصوص المنقولة عن المصادر الايرانية ففى مجمل التواريخ وهو كتاب مختصر فى التاريخ مفيد عام ، فيه تفصيل أمر الصفوية أكثر ، كتبه مؤلفه فى أيام الشاه عباس الثانى ، ومنه نسخة خطية لدى الاستاذ عباس اقبال، وأخرى فى الخزانة العامة لوزارة المعارف الايرانية • جاء فيه ان الشيخ لطف الله العاملى توفى سنة ١٠٣٢ هـ ثم تصرف الشاه عباس فى تلك السنة بغداد • وبين ميرزا عبدالله أفندى فى كتابه (رياض العلماء) نقلا عن عالم آرا أن الشيخ لطف الله توفى فى أوائل تلك السنة قبل فتح بغداد وان تاريخ فتح بغداد جاء فى يوم الاحد ٢٣ ربيع الاول سنة ١٠٣٢ هـ – ١٦٢٣ م •

وعلى كل حال ان تاريخ السنة يوافق ما ذكر فى خلاصة الأثر ج١ ص ٣٨٢ و٤٥٥ ولكن ما ورد فى رياض العلماء قد وافق ما جاء فى عالم آراى عباسى ، وخلاصة الأثر ، وفيه ضبط للتاريخ (٢) •••

ومن ثم نرى ان التفاوت بين المنقول عن جامع الدول وعن عالم آراى عباسى وعن رياض العلماء وخلاصة الأثر •

وحينئذ استولى الايرانيون على الابراج وأطلقوا المدافع للاعلام بالاستيلاء على البلدة فعلم الاهلون بما وقع واطلعوا على حقيقة الوضع واستولى عليهم

(١) جامع الدول ص ١١٣٧ ج٢ وغيره •
(٢) مجلة يادكار العدد الاول سنة ١٩٤٥ للاستاذ عباس اقبال •

الغرابى • وفى خلاصة الأثر لم يسمه وفى فذلكة كاتب چلبى سماه بهذا الاسم (١) •

٢ ـ نائب المحكمة السيد محمد أفندى • وقد نعته صاحب الخلاصة بالخطيب العظيم وهو على مذهب الامام الشافعى وخطيب الجامع الكبير (الظاهر انه جامع الخلفاء) وذكر له فى الخلاصة فتوى فى فسخ النكاح بسبب تعذر النفقة كما هو مذهب الشافعية •

وممن نقل عنهم بعض الحوادث عن بغداد (الشيخ عثمان الخياط البغدادى) وهذا لم نعرف عنه أكثر مما نقله صاحب خلاصة الأثر •

قتلة بكر باشا :

وأما بكر باشا فانه وضع فى قفص من حديد ولم يدعوا له مجالا أن ينام لمدة سبعة أيام وأكرهوه على ابراز ما عنده من الاموال بطريق التعذيب وكووه بالنار الى أن اشتوى لحمه ليبين مواقع أمواله ••• وان ابنه يشاهده بهذه الحالة ولا يبالى بل كان يشرب ويضحك على أبيه المتألم • وبعد ان بين جميع أمواله ولم يبق أمل فى اخراج غيرها أمر الشاه أن يوضع فى سفينة ويصب فى أطرافه النفط والقطران ويشعل بالنار فأحرقه وأخاه عمر •

وجاء عنه فى خلاصة الأثر :

« وبكر باشا هذا رومى الاصل سكن بغداد وصار من أكابر عسكرها ، تغلب عليها وانبسطت يده على مملكتها حتى صار اذا جاءت وزراؤها متولين عليها لا ينفذ من حكمهم الا ما نفذه وهو الذى أدخل الشاه بغداد وقتله الشاه وأخاه عمر وولده شر قتلة وكان قتلهم سنة ١٠٣٢ هـ (٢) •

وقائع ومظالم أخرى :

ثم ان ابنه لم ينل حظا من الشاه • سخط عليه بعد ذلك فخابت آماله وخسر وناله ما نال والده فقتل •

---

(١) خلاصة الأثر ج١ ص ٣٨٣ وفذلكة التواريخ لكاتب جلبى ج٢ ص ٥٠ •
(٢) خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٨٢ و٤٥٥ •

صوباشي بحفظ القلعة أحسن قيام لكن ابنه درويش محمد بعث خبرا الى الشاه انى أسلمك البلاد ان أنعمت بها على فوعده الشاه بذلك ففتح لهم باب السر التى فى جانب الشط فدخل منها نحو عشرة آلاف شخص وضربوا البوق وقت السحر فلما تمكنوا من البلد أمسكوا بكر پاشا وقتلوه شر قتلة وقتلوا القاضى نورى أفندى ، وقتلوا من أهل السنة والجماعة خلقا كثيرا . »

قال الغرابى :

« ولقد رأيت جما غفيرا ممن أدرك هذه الوقعة فكانوا يقولون : ما سلم درويش محمد البلد طمعا فيها بل لما رأى من القحط والغلاء حيث أكلت الناس الكلاب . » اهـ (١)

وبعد ثلاثة أيام من فتح بغداد والاستيلاء عليها فرق بدفاتر (أسماء أهل السنة) و(أسماء الشيعة) ودونها وأودع من السنة من لا يحصون بيد الشيعة فعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا فيهم كثيرا ليضطروهم على بيان أموالهم وسائر ممتلكاتهم . وكان فى نية الشاه أن يقضى عليهم جميعا ولكن الكلدار للامام الحسين (رض) نقيب الاشراف فى بغداد (السيد دراج)(٢) من رؤساء الشيعة وله جاه عند الشاه استشفع بالكثيرين اذ انه أدخلهم فى دفتره وبين أنهم من محبى أهل العبا فتمكن من انقاذهم . وكان صاحب رحمة وشفقة . فقام بما قام به وأنقذ الكثيرين ...

ثم ان السنة المدونين فى دفتر الشاه قتلوا جميعا ومثلوا ببعض العلماء وأنالوهم أنواع العذاب والأذى وقضوا عليهم بصورة يقشعر منها بدن الانسانية ...

وممن قتل فى هذه الوقعة :

١ ــ قاضى بغداد نورى أفندى . كذا فى (خبر صحيح) وفى تاريخ

---

(١) تاريخ الغرابى ج٢ ص ١٠٠ .

(٢) والسيد دراج هذا هو من أجداد نقيب كربلاء السيد حسن وقد ذكره صاحب خلاصة الأثر فى المجلد الأول منه عند الكلام على حافظ أحمد باشا ...

ما كان ينالهم من ظلم كور حسين[١] باشا وحينئذ سير الشاه اليهم قاسم خان . أما والى كركوك وهو بستان باشا فانه حينما علم بالامر وتيقن ان لا قدرة له على المقاومة ترك البلدة وتوجه نحو ديار بكر ، رآها العجم خالية فاستولوا عليها وذهبوا توا الى الموصل وكان واليها آنئذ أحمد باشا أخا كور حسين باشا ولم تكن محكمة السور فتمكن قاسم خان من الاستيلاء عليها فى مدة قصيرة فأقام قاسم خان فيها وتولى ادارتها ، وسير كتبا الى أنحاء ديار بكر يدعوهم بها للطاعة[٢] ...

٢ - استعادة الموصل :

ان كوجك أحمد كان من أعيان السپاهية[٣] أخذ معه جماعة نحو الخمسمائة من السكبان الأرناوود فهاجم بهم الموصل . ولما قرب من المدينة ظن قاسم خان أن السردار قد وافى لمقابلته فهرب الى جهة بغداد وترك البلد بمن معه فعلم أحمد أغا بالأمر فاستلم المدينة بمساعدة الأهلين . وحينئذ جاء اليه أمير سنجار فألقى أحمد أغا القبض عليه وقتله قبل أن يصل اليه المدد . أما أحمد أغا فانه كتب الى الوزير السردار أحمد باشا بما جرى والتمس أن توجه ايالة الموصل الى ابن أخيه سليمان بك ففوضت اليه كما طلب ...

حوادث سنة ١٠٣٤ هـ — ١٦٢٤ م

آلتون كوبرى — كركوك

ان والى قرمان حسن باشا الجركسى كان قد شتى فى الجزيرة و(حصن كيفا) المسماة عند الترك (حسن كيف) ، فعلم ان قد تجمع الأعداء فى آلتون

---

(١) وهذا نال مناصب عديدة ومنح منصب الموصل . وفى واقعة بغداد أرسل مددا وجاء اليه (قره‌جغاى خان) فحاصره فى (قزل خان) خمسة وعشرين يوما فاستشهد مع سائر السكبانية المحصورين معه . كان ذلك فى هذه السنة وهو مشهور فى رمى السهام هو وأحمد باشا أخوه .

(٢) فذلكة كاتب جلبى ج ٢ ص ١ وجامع الدول ج٢ ص ١١٣٧ .

(٣) من صنف الخيالة . وهم أصحاب تيمار وزعامة . ويقومون فى أيام السلم بجمع الضرائب ، وبادارة الامن الداخلى . وفى زمن الحرب يتبعون ادارة الوالى التابعين له وأوامره . ولهم كسوة خاصة بهم فى كل ولاية . (تشكيلات وقيافت عسكريه ص ٦٢) .

وفى تاريخ الغرابى :

« ثم ان الشاه أخذ درويش محمد الى العجم ، وعين له مرسوما يعيش به ، فبقى هناك الى أن هلك . » اهـ[١] .

وكذلك هتكت حرمات وأستار وأرملت نساء وأوتمت أطفال وأتلفت ثروات والحاصل تدمرت البلدة وشوهد ما لم يشاهد واستغاث الناس وتطاول الاشرار حتى على البيوت فصارت بغداد دار المحنة لا مدينة السلام . ولا تسل عن الجوامع والمساجد والمدارس فانها دمرت وجعلت والارض البسيطة سواء حتى ان المراقد المباركة مثل مرقد الامام الأعظم والشيخ عبدالقادر وسائر الأئمة قد أهينت وهدمت وانتهبت منها المعمولات الفضية ...

ثم ان الشاه قام على العشائر ونكل بهم وأجرى أنواع المظالم ، وقد عدد فى خلاصة الأثر أمثال ذلك مما لا محل لايراده فقد مضى لها من الاعمال الشائنة وفيها من القسوة ما لا يقبلها دين ، أو ترضى بها طائفة .

واثر واقعة بغداد أخذ الشاه عبدالباقى المولوى خطاطا لجامع أصفهان وكان من أساتذة الخط ومشاهيره . ولا تزال ايران والمملكة التركية تنتفع من العراق، من أدبائه وعلمائه وخطاطيه كما وقع أيام عالى أفندى الدفترى وغيره بل ولا يزال الترك يتغذون بشعر فضولى ، وبشعر روحي وأضرابهما الى هذه الأيام . وان الايرانيين كانوا أقرب الى الاخذ وألصق بالعراق ، فكان أخذ هذا الخطاط من الوقائع المهمة ، ولعله آخر من أخذ من العراق . أوضحت عنه فى تاريخ الخط العربى فى العراق[٢] .

حوادث سنة ١٠٣٣ هـ — ١٦٢٣ م

الاستيلاء على البلاد الأخرى

١ - الموصل وكركوك :

ان الشاه بعد ان استولى على بغداد شكا أهل الموصل أمرهم له من جراء

---

(١) تاريخ الغرابى ج ٢ ص ١٠١ .
(٢) فذلكة جلبى ج ٢ ص ٦٥ وتواريخ عديدة .

حوادث سنة ١٠٣٥ هـ — ١٦٢٥ م

بقيــة وقائع العثمـانيين

جاء في تاريخ الغرابى : « ان الوزير حافظ أحمد باشا سار مع جيوش كثيرة الى بغداد ، فلما أتاها أخذ فى محاصرتها ، فجاء الشاه عباس ، ونزل على نهر ديالى تقوية لمن فى بغداد من العسكر فحاصر الحافظ بغداد تسعة أشهر ، فلم يحصل منها بطائل بل رجع خائبا ، وهلك أكثر من كان معه لاستيلاء القحط والمرض عليهم ، وألقى كل ما كان معه من الثقل والآلات . » اهـ (١) .

هذا . وفى التواريخ العثمانية جاء تفصيل أكثر . وذلك أن السردار حافظ أحمد باشا فى المحرم من هذه السنة نزل بجيوشه كركوك وحينئذ عقد مجلس شورى فاستطلع آراء الامراء وكبار الجيوش لتعيين الخطة الواجبة العمل وقال : ان مراد باشا ذهب الى بغداد ليمنع الواردين من دخول بغداد . ومع هذا قد دخل بغداد ثمانية آلاف ايرانى مع صاروخان ومير فتاح . واننا ليس لنا قدرة المحاصرة اذ لم تكن لنا مدافع ومن المحتمل أن يوافى الشاه لامداد المحصورين فهل الأصلح أن نمضى الى جهة أحمد خان ابن جلو خان (هلو خان) ونهاجمها فنصل الى درنة ودرتنك فنضبط مضايقهما ونمنع الصلة بين المحصورين وايران ثم نمضى الى بغداد ؟ فوافق جماعة على هذا الرأى وآخرون لم يوافقوا وظهر من كل رأس فكر فاضطربت الآراء ثم استقرت فى أن يذهبوا الى بغداد رأسا ويحاصروها نظرا لحلول موسم الخريف وذلك لان موسم بغداد الشتاء ولا يتيسر الحرب أيام الصيف من جراء شدة الحر . وقالوا اننا حاضرون أن نفدى بأرواحنا ورؤوسنا فقال لهم السردار مهما كان الامر فليكن ، قوموا بالواجب !

وفى اليوم التالى جاءهم ثلاثة أو أربعة من العجم يحملون كتابا من أحمد خان كتب فيه ان بغداد مملكتكم فقبل أن تذهبوا اليها وتخربوها ابعثوا برسول الى الشاه واطلبوها بصورة معقولة وان السفير الوارد هو پياله بك فسألوا منه

(١) تاريخ الغرابى ج٢ ص ١٠٣ .

كپري وكركوك وعلى هذا سارعليهم مع كوچك أحمد . كان هؤلاء في جانب من نهر آلتون كوپري وعدوهم في الجانب الآخر فتضاربوا على البعد الى المساء وظهرت علائم النصر للقزلباشية وحينئذ هاجمهم أحمد أغا بأتباعه فأعادهم الى الوراء فمزق شملهم في حين أنه كان معه نحو أربعة آلاف وكان القزلباشية اثنى عشر الفا . فر فريق منهم الى كركوك وهناك لم يستقر لهم قرار فخرجوا من المدينـة وانهزموا على وجههم فجـاء بوسـتان پاشـا فدخل كركوك . واستعادوها من أيدي العجم [١] ...

حكومة صفي قلي خان في بغـداد :

ان الشاه عباس قد أسكرته خمرة النصر في بغداد فعزم على تنفيذ آمال أكبر ، ورأى أن يمد يده على بلاد الگرج . فأودع حكومة بغداد الى (صفي قولي خان) وعاد هو الى ايران وهجم بقائده قارجغاى خان على الگرج وكان معه نحو ثلاثين ألفا فحدثت حرب بينه وبين أقدم حكام الگرج وهو (طهمورث) وكان هذا قد فاجأ العجم على حين غرة فقتل في هذه المعمعة قرجغاى خان وابنه ولم يبق من جنده سوى ثلاثة آلاف فروا بأرواحهم وأكثرهم جرحى وهلك البـاقون .

أما حكومة بغداد فقد كانت مهـددة بهجومـات الترك ولم يعرف عن داخليتها أكثر من التحدث بأمر الحرب .

مراد پاشـا يسير الى بغـداد :

ان مراد پاشا كان والي حلب فمنح منصب ديار بكر برتبة الوزارة . وفي هذه الاثناء جاءت الاخبار بأن العجم خرجوا من بغداد وذهب أكثرهم لزيارة الامام علي (رض) وعلى هذا سير قائدا على حملة تبلغ خمسة عشر ألفا لتكون كمقدمة للجيش الى الحلة والكاظمية ليحاصر بغداد وليمنع اتصال العجم بها ... وهكذا ذهبت العسـاكر بصورة متلاحقـة . وأرسـلت قوة أخرى مع أغـا الينگچرية .

وبهذا انتهت هذه السنة .

(١) فذلكة كاتب جلبي ج٢ ص ٦٧ .

أما الشاه فانه جاءه الخبر فنهض حتى وصل الى درتنك ومنها مضى الى شهربان وعلم الوزير الاعظم ان قد وافى زينل خان بجيوشه • مر بجسان فعبر ديالى •

ويلاحظ هنا ان قاسم خان أرسل كلب على خان بخمسمائة فارس وحملوا بارودا كل واحد حمل كيسا • فاخترقوا سحرا وعلى حين غرة صفوف العثمانيين واجتازوهم فوصلوا الى المحصورين فأمدوهم • وبهذا رفع قاسم خان عنه عار الهزيمة السابقة • ومن ثم عقد العثمانيون مجلس شورى من كبار رجالهم وقال لهم حافظ أحمد پاشا ان الشاه جاء لامداد القلعة ولم يبق من المهمات والبارود الا القليل • وكان من رأى مصطفى باشا أن ينهضوا ويقارعوا الشاه أو يعودوا لبلادهم والا فلا فائدة من الحصار فلم يوافق الينكچرية وأصروا على لزوم المحاصرة فحصل الاتفاق على الدوام فى الحصار وكتب الى استانبول لامدادهم بمدافع ومهمات وكذا كتبوا الى الاطراف والبصرة • وجاءهم الخبر من البصرة بأن ستأتيهم مدافع تطلق احجارا بوزن ٤٩ أوقية • وقد سبق لهم مثلها •••

عزل الدفترى عمر باشا :

فى هذه الأثناء وردت من ديار بكر معدات حربية اثنا عشر كيسا واربعة وعشرون كلكا ذخائر وكانت قد وردت بمحضر القاضى محمد أفندى الحافظ والدفترى عمر باشا وسائر الامراء وغيرهم فأمر ان يوزن البارود ويثبت فى دفتر ويوضع فى قلعة الامام الاعظم ••• وفى تلك الليلة ظهرت غائلة وولولة مؤداها ان عمر باشا تبين انه عدو لنا أعطى الاعداء البارود فانتهبوا خيمته والقوا القبض عليه وسلموه الى القاضى فأمر الوزير باجراء محاكمته أمام القاضى فتحقق ان لا أصل لما نسب وكان بعضهم فعل فعلته هذه وهو مجنون • وعلى هذا أمر بقتل ذلك المجنون وعزل عمر باشا ونصب مكانه عثمان أفندى الطوقاتلى دفتريا • وحدوث أمثال هذه الوقائع فى جيش مما يمنع أن يؤمل له نجاة وكانوا يتحرون الطريقة لايجاد الشغب •••

عن أحوال الشاه فقال انه بعد عشرين يوما سيلاقيكم • وفي ذلك المنزل سير سليمان پاشـا والى الموصل لارسال أرزاق وذخائر • وأعيد بستان پاشـا الى كركوك لمحافظتها • وفى اليوم التالى رحلوا وذلك فى ١٠ صفر فنزلوا قرب الامام الأعظم ••• وفى اليوم التالى ساروا الى الجهة الجنوبية من بغداد على الشط وحطوا أمام (الباب المظلم) (قره قپو) ولما مضوا بمجموعهم ضربوهم من القلعة بعدة طلقات من المدافع • أما أراذل الجيش فانهم صاحوا بالسردار لا نعدل الا أن نستولى على المفاتيح وحينئذ ترتبت الجيوش فى ١٢ صفر ودخلوا المتاريس واجتازوا برج العجم وذلك ان والى حلب مصطفى پاشا صار فى ساحل النهر ، وأغا الينگچرية والوزير القبطان تجاه برج العجم ، وفى الوسط أمير أمراء روم ايلى محمد پاشا الگرجى ووالى الأناضول الحاج الياس پاشا ووالى مرعش نوغاى پاشـا ، ووالى سيواس محمد پاشـا الطيار ووالى قرمان حسين پاشـا الچركسى كل من هؤلاء بسكبانيتهم دخلوا المتاريس • وأرسل الى ديار بكر ، والبصرة لاحضار مهمات ••• وان بغداد لم تكن مستحكمة لدرجة فائقة الا أن النخيل وما ماثل قد جعلتها محكمة فاتخذ الجيش تلولا (توابى) وصـاروا يشتغلون بالمتاريس وان حافظ أحمد پاشا كان يشجع القوم وينعم بانعـامات عديدة عليهم ويستميلهم بكل ما أوتى من قوة والجيش لم يقصر فى الخدمـة والعمل وكان اشتغالهم لمدة شهرين بسعى متواصل واتخذوا فى هذه المدة الغاما من اثنين وخمسين موقعا فعلم العدو بها وأجرى عليها الماء فبطل عملها وكان العمل متواصلا بشدة من الجانبين وقد قطعت آلاف من النخيل لرميها فى الخندق ودفنه بالتراب • ولاتمام المحاصرة قد جرت الاحاطة من كافة الجوانب ونصب جسر فعبروه الى الجانب الآخر من جهة (قلعة الطيور) (جانب الكرخ)•

وفى اليوم الثانى والسبعين من أيام المحاصرة ترتب الجيش سحرا وتأهب للهجوم وقد بقى من الالغام واحد فلما اشتعلت فتيلته أخذت جانبا من السور الا أن العجم كانوا قد اتخذوا خندقا وراءه وجعلوا بعده سياجا (حائطا قويا) • فلما اجتاز العسكر تولاه الايرانيون بالبنادق فاضطروا الى العودة وقد ذهبت منهم خسائر عظيمة •

ودخل المشاة خنادقهم، وأخبر حافظ أحمد باشا بذلك، فجاء أحد المشاة من العجم. وافى من جانب الشاه وأعطى الى الباشا كتابا كان معه ... وطلب الرسول جواب الكتاب فقال له الباشا سأرسل معك الجواب بعد الحرب فتأهب للنضال واصطفت الجيوش على الاصول المعهودة فجرى بينهم تعاطى بعض نيران المدافع والبنادق وانسحب القزلباشية فكانت الحرب بسيطة .

الغربان والمدافع

تاتى من البصرة

وبعد يوم ورد بكر أغا وعلى أغا البصريان مع بضع مئات وبعض النجارين فخلع عليهم وأسكنهم فى الأعظمية . جاؤا بثلاث قطع من الغربان (سفن حربية من نوع قدرغة) [1] ولم تكن لها قنوات فى مؤخرتها وأعلاها يرفع بألواح عالية، وفيها ثقوب (مزاغيل) لضرب الأعداء، وان مجاذيفها تسحب من ثقوب فيها وسواريها كالقدرغة . حملوها تمرا وافرا . وفى اليوم التالى وردت المدافع أيضا وعهد الى مراد باشا بأخذها . فذهب بها الى الجانب الآخر وأخذ معداتها[2] . وكذلك وردت المدافع من الحكومة العثمانية تسمى (بال يمز) فأعدت فى رأس الخنادق ووضعت فى المتاريس فلم يتمكنوا من استعمالها فأعيدت الى الفيلق .

والبصرة كانت آنئذ بيد على باشا ابن آفراسياب وهذا بقى محتفظا بالبصرة، أراد نصرة الدولة العثمانية ليبقى استقلاله مصونا فناصرها بما تمكن منه ...

ذهاب عمر باشا لمحافظة الشط :

ان شاه العجم وصل نهر ديالى وبث العساكر فى الأطراف وهؤلاء كان

---

(١) فى كتاب الطراز للخفاجي أن للمراكب أسماء منها الاسطول للمعد للقتال وغراب لكبارها . تسير بالمجاذيف كما قال ابن الساعاتى . وقد غلط فى ترجمته الى الرومية لأن اسمها عندهم (قادرغة) . أما (القايغ) فهو الزورق، ولم يكن محرفا، أو متصرفا به من قادرغة، فصار قارغة . أى غراب، ثم قايغ . نقلا من مجموعة خطية . ومر بنا أصل لفظها .

(٢) فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ٨٠ .

وعلى كل حال لم تكن القيادة مسيطرة على الجيش بل كان يسوده الاضطراب •

مجيء الشاه الى ديالى وذهاب مراد باشا اليه :

في غرة رجب وافى الشاه عباس الى نهر ديالى وفي الليلة التي حط رحاله هناك سمع المحصورون فأظهروا فرحا وسرورا وأبدوا مراسم الاحتفال وظهروا على السور ••• وبهذا عرف مقدار الموجود منهم وان التضييق لما كان قد جرى من جميع الاطراف فالجنود هناك في درجة كافية للحصار • فما كان يعده حافظ أحمد باشا سهلا قد تبين انه من أصعب المصاعب • ولا مجال من وقوع المقدر ولا مفر من الصبر •

أطلقوا على المحصورين نيران المدافع بطلقات عديدة وكانت هذه بمقام تسل وعادوا • وفي الأثناء عقد الوزير الاعظم مجلس شورى فقر الرأي على أن يذهب للحرب مراد باشا ووالي الأناضول الياس باشا وأعطى لهما سبعة مدافع •

وفي هذا الحين جاءهم (مدلج العربي) ببضعة آلاف فذهب مع اولئك فصار مجموعهم نحو العشرة آلاف وكان ذلك اليوم فيه ريح عاصف مملوء بالعج لحد أن الواحد لا يكاد يرى الآخر فتحارب مع العجم فغلب وعاد الى الفيلق مكسورا واكثر سكبانيته قد غلبوا وتشتتوا وتركوا المدافع •

وفي المساء هاجمهم القزلباشية فوصل حافظ أحمد باشا الى الخندق فانتظروا حتى الصباح وان الكتخدا للوزير الاعظم وهو حسين أغا قد أرسل ليأتي بالمدافع المتروكة فجاء بها واستشهد بعض الأمراء وحدثت ضايعات كثيرة•••

وفي تلك الليلة قرب الصباح أطلقت على بغداد عدة مدافع وحينئذ حاول بعض الاعجام الدخول الى المدينة فلم يتمكنوا فقتل بعضهم وأسر الآخرون وبين هؤلاء برخوردار بك كان عظيم الجثة وهو صاحب لغم ، ومدفعي فجاؤا بهم الى الوزير الأعظم فأمر بسجن المرقوم وقتل الباقين •••

وفي ٢ شعبان كان حافظ أحمد باشا في الامام الأعظم فرأى قيام عجاجة تبين منها كتائب القزلباشية فتأهب الجيش العثماني ، فركب الخيالة خيولهم ،

ثم أمد الشاه بالعتاد وغيرها . كما جاءت السفن حاملة ما يحتاج اليه الجيش العثمانى فاستولوا عليها حربا وبشق الأنفس . وقد فصل صاحب الفذلكة ذلك مما لا نرى ضرورة لذكره .

الحرب الثالثة :

وفى آخر شعبان شاع خبر دخول الشاه فى الحرب وفى ١٢ رمضان هاجم عسكر الشاه من ناحية الشرق ومن الغرب وبعض القزلباش تأهبوا للقراع وكانت جيوش العثمانيين كثيرة ، وان كاتب چلبى كان شهد هذه الواقعة . وقف عقب جيش السلحدار على تل عال فجرى الحرب وأطلقت المدافع من ناحية برج العجمى واشتد القتال الا أن الحرب سكنت قبيل الظهر . وفى هذا الحين تحفز الافراد للهجوم وطلبوا الاذن لهم فى الحرب فكان حافظ أحمد پاشا يمنعهم ويقول لهم أنتم لا تعرفون شيئا التزموا مكانكم ...

ثم تحاربوا من ثلاثة مواطن فكانت هذه الحرب مؤلمة جدا . وصف كاتب چلبى هولها وأوضح حالة الجيش العثمانى ومغلوبيته ، وان المشاة منهم صدوا الهاجمين وصاروا يذبحونهم فى الخنادق ... وأما الغبار فصار لا يستطيع معه الواحد أن يرى الآخر ، وان حافظ أحمد پاشا عاد لا يتمكن أن يرى جيشه كما وأنه قتل له أمراء كثيرون ودمر له جيش عظيم ...

ثم انجلى الغبار فكان الجيش التركى فى مكانه والعجم قد انسحبوا ... والجيش التركى ظهرت عليه علائم الهزيمة وصار لا يلوى الى جهة الا أن أعداءه لم يعلموا بالخبر لما ثار من الغبار والريح الزعزع ... ولو بقى الجيش على حالته لساء أمره ... حدثت تلفيات من الجانبين كثيرة لا تقدر ... فعاد الجيش الى خيامه ...

وفى ٢ شوال يوم السبت اجتاز العجم دجلة وجاءوا الى الجسر على حين غرة وهناك جرت معركة عظيمة ، وان يعقوب پاشا (كافر أوغلى) والى الموصل قد جرح عند قلعة الطيور فكانت الحرب مؤلمة بسبب الجهود المبذولة لايصال العتاد . ثم ورد رسول من الشاه يطلب ارسال رسول من جانب الوزير

غرضهم أن يقطعوا طريق النهر (دجلة) لئلا تصل الكلكات الى الجيش فتمدهم . وقع فعلا نهبهم بعض الكلكات ومن ثم أرسل الوزير الأعظم أحد أتباعه عمر باشا الأرناود لمحافظة تكريت . وهذا لقى الاعداء فحاربهم الا أنهم تغلبوا عليه واستولوا على ما معه ففر الى الموصل . فانتهبوا ما ترك . وكذا انتهبوا المؤونة فى الفلوجة فلما سمع حافظ أحمد باشا بما جرى أمر بمحافظة هذه المواقع وكتب الى يعقوب باشا وكان فى رأس الكوپرى . (١)

رســول الشاه وجواب السردار :

فى هذه الأثناء جاء رسول من الشاه يحمل كتابا يقول فيه اننى أخذت بغداد من يد جلالى (٢) وانى مرسل الى السلطان برسول وكتاب راجيا أن يترك بغداد لابنى واذا أبى فانى أسلمها لكم فلا تدخلوا معى الآن فى حرب .

اجابه حافظ أحمد باشا بقوله أنا وكيل السلطان المطلق وجوابه عندى فلا حاجة لكتابة كتاب اليه رأسا . نحن لا نترك بغداد بأمثال هذه الأقوال .

وفى هذا الحين هب الهواء العاصف وكسر الجسر واعتلى العج بحيث لا يتمكن الواحد من رؤية الآخر وهكذا استمر الريح العاصف فى اليوم التالى ولم يتمكنوا من نصب الجسر الا بكل صعوبة ... (٣)

الحرب الثانيــة :

وفى الحال علم أن القزلباشية جاؤوا الى قلعة الطيور (جانب الكرخ) وسيضعون التاد هناك فكان من رأى الوزير أن يتخذ ما يلزم . وأرسل بعض رجاله وبينا هم متأهبون اذ ظهرت جيوش العدو للعيان فى (جانب الرصافة) . جاؤوا من ثلاثة مواقع فتأهبوا للمقارعة وتركوا تلك الاجراآت . مضى الى جانب الكرخ حسن باشا وفى هذا الجانب جرت المضاربات بمدافع وبنادق ثم عاد الطرفان مساء الى مواطنهم ... وفى اليوم التالى قتل بعض الأمراء ودخل العدو متاريسهم واستشهد كثيرون ليلا .

---

(١) فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ٨١ .

(٢) يريد المتغلب لان الجلالية ثاروا على الحكومة العثمانية وصار يسمى كل ثائر عليهم جلاليا ...

(٣) فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ٨١ .

وأخذها معه الى أصفهان ••• أما توخته خان فقد أخذوه معهم حينما عزموا على الرحيل ••• وفى ثالث منزل سيروا توخته خان • أعادوه الى العجم ولكن الجيش الايرانى كان فى عقبهم • حارب عدة مرات •

ذكر كاتب چلبى ما أصاب الجيش العثمانى من الضرر وما كابد من تعب وألم وجوع لحد أنه لم يجر على جيش قبلهم ما جرى عليهم • مضوا بهذه الحالة والكثير منهم لم يستطع الدوام • وانما بقى فى محله لشدة ما ناله من الجوع فلما وصلوا الزاب أخذوا راحة ، وتيسر لهم أن يجدوا الطعام والأرزاق فمضوا من هناك الى الموصل وحينئذ أعطيت لهم مواجبهم بتمامها ••• كما منح الوزير ايالة الموصل الى بكر أغا الذى جاء من البصرة وعين حسن پاشا الچركسى لمحافظة الموصل ••• وكتب ما وقع الى الاستانة فجاءه الجواب أن يشتى هناك •••

قال كاتب چلبى هذا مجمل ما أمكن ايراده بوجه الاختصار ••• وأقول : ان هذا ملخص ما نقل عن كاتب چلبى والتفصيلات تخص الجيش العثمانى ووحداته وأسماء أمرائه مما لا يهم العراق كثيرا •••

خلاصة فى حصار بغداد :

ان الوزير الأعظم حافظ أحمد پاشا حاصر بغداد بالوجه المشروح • وكان مدبرا ، ومفكرا عميقا ••• ولم يكن هذا الحصار موافقا لرغبته كما قصه شاهد عيان (كاتب چلبى) وكان من رأيه التسلط على النقاط الحربية المهمة لقطع طريق امداد الشاه فلم يفلح فتابع رغبة الامراء الذين كانوا معه فابتدأ بمحاصرة بغداد ••• وفى خلال الحصار تم الاستيلاء على الحلة وكربلاء كما أدى الى حرب دامية قتل فيها الالوف من الطرفين الا أنه لم يتيسر الاستيلاء على المدينة وحين سمع الشاه وافى بنفسه وكان هذا ملحوظا • فأرسل فى مقدمته زينل خان بثمانين ألفا ولما وصلوا الى شهربان سير قاسم خان بوجه السرعة ابنه كلب على خان بخمسمائة من الخيالة وأرسل مع كل واحد كيسا من البارود لامداد المحصورين فاخترقوا الجبهة سحرا وعلى حين غرة فمضوا الى



١٢ ـ **قوات السلطان مراد في حصار بغداد** ـ كتاب قصة الامم



١٢ ـ **قوات السلطان مراد في حصار بغداد** ـ كتاب قصة الامم

المحصورين وأمدوهم ... وبهذا أنسى ما أصاب والده قاسما فى الموصل من كسرة وان حافظ احمد باشا صد جيش زينل خان الذى سار من شهربان الى قرية بهرز ليعبر ديالى ... ولكن سار الشاه بقوته لامداد جيوشه ...

كل هذا مما ضعضع قوة الجيش العثمانى ، وولد ضعفا أو فتورا فيهم ، وكذا قلت أرزاقهم ، وعزت المؤونة فاتفق أعداؤهم جميعا على مهاجمتهم ، والجيش العثمانى فى حالة دفاع فلم يتمكن العجم أن يخترقوه . الا أنهم تمكنوا من قطع طريق المواصلة للعثمانيين ...

والعثمانيون صابرون ، مثابرون على حرب عدوهم حتى أن الوزير فى ساعة الحرج كان طلب من الشاه المبارزة فأجابه أن البازى المفترس لا يصغى لصوت الزاغ ومن كان همه صيد الاسود لا يبالى ببنات آوى . قال صاحب گلشن خلفا (هذا ما نقلته عن الثقة) والظاهر انه نقل ذلك عن والده نظمى البغدادى فانه شهد الحادثة ، وكان فر أثناء سقوط بغداد وذهب مع أمه بصفة درويش الى كربلاء والحلة وبقى هناك الى أن اتصل بحافظ احمد باشا ومدحه بقصيدة مهمة ...(١)

هاجم العجم الترك عدة مهاجمات فلم يتمكنوا بل باؤوا بالفشل الا أن قطع مواصلة الجيش أثر كثيرا عليهم ... وكذلك قطع عنهم طريق الميرة فلم يستطيعوا أن يتصلوا بالخارج فصار المحاصرون محصورين فانعكست الآية ... فاستولى الجوع وكان البقاء فى محل واحد سبب أمراضا فى الجيش بسبب طول البقاء لمدة نحو تسعة اشهر .

دعا ذلك الى الضجر من الحالة واضطر الجيش الى الانسحاب . وفى هذا كله أبدى حافظ احمد باشا من المهارة الحربية ما أكد قدرته . احتاط وراعى كل تدبير ناجع لتحقيق غرضه فلم يفلح الامر الذى جعل أرباب الزيغ يتخذون ذلك وسيلة للطعن به واسقاط منزلته . والاستانة آنئذ فى هرج ومرج فلم ينل مددا كافيا مع العلم بأن الشاه وجه عليه جميع قوته . ورأت ايران

---

(١) أوضحنا ذلك فى لغة العرب .

ما رأت من عطب . وبالرغم من ذلك كاد يتم الصلح بينه وبين الشاه لولا أن الينكچرية لم يصبروا للنتائج فقاموا بعصيان اطلع عليه الشاه فى حينه فلم يتم . فكانت هذه الحروب دمار الدولتين .

وعلى كل لم ينجح فى مهمته فغضب عليه السلطان لما شوهوا به سمعته . نزع منه المنصب وجعل خسرو باشا وزيرا أعظم ... وهذا ايضا شغل فى قضايا أخرى كانت تهدد قلب السلطنة . فكانت الدولة فى اضطراب لا مزيد عليه ...

أما بغداد فان الجيش حينما انسحب منها ترك مرضى كثيرين فاقتسمهم اغنياؤها وطببوهم حتى شفوا وان الشاه عباس عاد الى ايران ظافرا بعد أن طال مقامه . ومن ثم لم يعرف عما جرى لقلة المدونات ، ولا يؤمل من حالة لا تزال حربية وفى حالة حصار ، مهددة فى كل آن بحروب جديدة . بقى فيها الجيش يتوقع ما سيجر اليه ذهاب الوزير الأعظم ، أو ما تقوم به السلطنة العثمانية ...

حوادث سنة ١٠٣٦ هـ — ١٦٢٦ م

حالة العراق

ان الحكومة العثمانية ـ كما قدمنا ـ شغلت بنفسها فى حوادثها الداخلية . والايرانيون لم تكن فيهم الهمة الأولى للتوغل فى الانحاء العراقية الاخرى فاكتفوا برفع الحصار عن بغداد وعادوا ... ومن ثم صح أن نقول ان هذا العام قد سكنت فيه حالة العراق نوعا ...

حصار البصرة :

كانت البصرة بيد على باشا آل أفراسياب . وحاول العجم الاستيلاء عليها فوجه الشاه اليها قائده (امام قولى خان) فحاصرها أشد الحصار ولكنها بذلت كافة جهودها للدفاع فعجز القوم من التمكن منها ورجع القائد خائبا ، وترك خيامه ومدافعه وأموالا عظيمة وراءه ...

والشيخ عبدعلى الحويزى مدح على پاشا بقصيدة ذكر فيها الوقعة وأرخها بنصف بيت وهو (على دمر الخان سنة ١٠٣٦ هـ) . والحصار طال الى سنة ١٠٣٨ هـ أى انه دام الى أن توفى الشاه عباس الكبير فلما ورد خبر وفاة الشاه عاد الى مملكته . هذا مع العلم بأن الحكومة العثمانية خذلت أمام الجيوش الايرانية مرارا مما جعلنا نقطع بأن دفاع البصرة كان دفاع مستميت احتفاظا بها وذبا عن حريمها بخلاف الترك العثمانيين فلم تهمهم بقدر أهليها . ونراهم يطرون (على پاشا أفراسياب) على دفاعه هذا[1] .

حوادث سنة ١٠٣٧ هـ — ١٦٢٧ م

وفاة السيد عمر البصرى

هو ابن عبدالرحيم البصرى الحسينى الشافعى نزيل مكة المشرفة ، الامام المحقق ، أستاذ الاستاذين ، كان فقيها عارفا مربيا ، كبير القدر ، عالى الصيت ، حسن السيرة ، كامل الوقار ... كذا فى الخلاصة نقلا عن الشبلى وأطال فى وصفه . أخذ عنه خلق كثير . وزاد أنه متمكن فى التصوف أيضا . توفى سنة ١٠٣٧ هـ[2] .

ولم نقف على رجال العراق فى هذا العصر . ألهت الحوادث بل الرزايا من تدوينها ولم تخل فى وقت من عالم أو أديب .

حوادث سنة ١٠٣٨ هـ — ١٦٢٨ م

حـالة العراق

لا يؤمل أن نرى صلاحا أو اصلاحا والحكومة الايرانية فى حرب ولم تنقطع يد العثمانيين عن مواصلة الزحف وكل ما فى الامر كانت التأهبات عظيمة من الجانبين والادارة عسكرية قاسية جدا ابتلى العراق بأطماع الفريقين الا أن موت الشاه فى جمادى الأولى من هذه السنة (١٠٣٨ هـ) وتبدل الحكم وهجومات الاتراك المتوالية بازعاج كل ذلك لم يحرك ساكنا فى الأهلين

(١) زاد المسافر ص ١٩ .
(٢) خلاصة الأثر ج٣ ص ٢١٢ .

للمطالبة باستقلال واتخاذ تدابير لدفع الحكومتين . وما قيام بكر صوباشي الا لهذا الأمل ، فخاب خيبة ذريعة . والعراق صار بين حكومتين اذا رأى ضعفا من واحدة ونزع الى الاستقلال وحاول التملص منها فاجأته الاخرى بجيوشها وهاجمته على غرة ولم يجد فرصة للنهوض ، ولا لتحقيق هذه الأمنية مع العلم بأن حروب الماضي لم تكن تشغل الا ناحية واحـــدة مقدرة بقوة الواحـــدة بالنظر للأخرى ...

لم نعلم عن حكومة ايران في العراق علما وافيا عن جميع أعمالها حتى هذا التاريخ رغم كثرة المراجع التركية . وهذا شأنهم في تواريخهم . توضح علاقاتهم مع غيرهم لا أكثر ... ومثلها تواريخ ايران لم توضـــح أكثر من العلاقات العامة ، ولم نجد أثرا يستحق التدوين .

حوادث سنة ١٠٣٩ هـ — ١٦٢٩ م

السردار خسرو باشـا وبغـــداد

في فترات غير مقطوعة نسمع بعودة الحروب ، والتأهب للقراع ، كل دولة تستعد لما يؤمن لها الانتصار . وهكذا كان الامر فعلا ، ففي ١٨ شوال من سنة ١٠٣٨ هـ نهض السردار من استانبول لاستخلاص بغداد وهو الصدر الأعظم خسرو پاشا وجعل مكانه قائممقاما رجب پاشا . فوصل قونية في المحرم من سنة ١٠٣٩ ومنها شتى في ديار بكر ثم توجه نحو الموصل فوصل اليها في غرة جمادى الأولى . ومن هناك سار في ١٣ جمادى الثانية . عبر الزاب في ٢٥ منه وفي طريقه ضرب العربان الذين كانوا نكلوا بالأهلين وكان أملهم أن يمضوا الى آلتون كوپري (القنطرة) فذهبوا الى شماملك ومنها جاؤوا الى قرية ميره بك من أمراء صوران ثم ساروا الى شهرزور في ٢٨ رجب فمروا بكثيرين من أمراء الكرد وكانوا أذعنوا بالطاعة . مروا من سرچنار حتى وصلوا الى نفس شهرزور فأقاموا فيها . ولما كانت شهرزور تخربت أيام الشاه عباس لم يبق لها أثر فهي صحراء واسعة بين جبال وآثار القلعة المعروفة بظالم قلعـة (زلم) موجودة . كان بناها السلطان سليمان . وحاكمهـا (الشيخ عبدالله)

ويسمى (شيخو) • أذعن بالطاعة وقدم ابنه رهنا • والتفصيل فى فذلكة كاتب چلبى[١] •

أعاد القائد تعمير قلعة گلعنبر[٢] وهى مركز قضاء وتسمى (حلبچة) • كان بناها السلطان سليمان خان • وينطق بها (ألبجه) •

كان تشتت أمراء الكرد وفروا من أيدى العجم • التجأوا الى الجبال الشاهقة والمواطن الصعبة المرور فاختفى كل من ظالم على ، ومأمون خان ، ومراد خان من أمراء أردلان • ولما رأوا الوزير الأعظم وافى اليهم أطاعوه •

أطاع السردار جماعة من أمراء الكرد وهم حكام هاوار ، وكسانه ، وشهربازار ، ودميرقپو ، وچناد ، وخوسير ، وهزار ميرد ، ودلحوران ، ومركاره ، وحرير دويز ، ونيل ، وطاوى ، وزنجير گرقپو ، ومنزل عجور ، وابروان ، وپلنكان ، وباسكى ، ودوان ، وقزلجة قلعه وپاوره برند ، وقلعه غازى ، ونعل لب باربل ، وچنار كدوكى ، ومهربان •••

قال فى الفذلكة ان الاكراد يتابعون القوة ، ولا يعتمد عليهم وتغلب عليهم المداراة[٣] • ومثل هذه القوى لا تصد •

ولما سمع الشاه بخبر قدوم الصدر الاعظم ورأى ان قد اضطربت أفكار الاهلين فى همذان جهز الجيش وجعل القائد عليه أمير الامراء زينل خان واحمد خان ابن هلو خان الأردلانى فمر من جهته ومعهم نحو الاربعين أو الخمسين ألفا من الجند فوصل الى قلعة مهربان (مريوان) وذلك فى رمضان هذه السنة فساق عليه الوزير جيشا لمقابلته تحت قيادة نوغاى پاشا أمير أمراء حلب فتقابل الجمعان قرب المدينة ورخصت فى هذه المعركة النفوس فلم يدع أحد من قوته شيئا وبذلت المجهودات ودامت المقارعة حتى العصر فوصل المدد للجيش العثمانى وقت الحاجة واشترك فى المعمعة فرجحت هذه الكفة على العجم ففر القليل منهم

---

(١) فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ١١٩ •
(٢) كلعنبر جاءت فى فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ١١٨ •
(٣) فذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ١١٩ •

وهلك كثيرون وتركوا جرحى حتى ان سردارهم زينل خان فر أيضا • وعند وصوله الى الشاه غضب عليه فأورده حتفه للحين •

وعلى هذا الخبر خلى الشاه همذان وانسحب الى عاصمته • أما الوزير فانه توجه نحو مهربان • ولمصلحة اقتضت بقى هناك مدة سبعة أيام أو ثمانية • ثم عزم لى همذان فكسر الجيش الايرانى فى طريقه • ومنهـــا استولى على درگزين [١] • وكان فى نيته أن يذهب الى عاصمة ايران وهى أصفهان ولكنه حين وصوله الى صحراء درگزين اضطر أن يطيع أمر السلطان الوارد اليـه القاضى بلزوم ذهابه الى بغداد • وفى هذه الاثناء أصلى نهاوند بنيران حامية •

وفى طريقه أمر السردار كلا من يوسف پاشـا أمـير أمراء روم ايلى وكوچك أحمد پاشا أن يدمروا مملكة (رستم خان) ففعلوا واجتمعت الجيوش فى باش دولاب لتتوجه الى بغداد وتلتحق بجيش السردار للذهاب الى هناك فخربوا كل ما مر فى طريقهم •

وفى ١٠ ذى القعدة توجهوا الى بغداد • اجتمعوا فى باش دولاب • ولكن المنقول عن بعض الثقات من أهالى بغداد ان (دجلة) كان فى حد النقصان ولذا انتظروا ورود المدافع والمعدات الحربية فمكثوا عدة أيام بلا حرب ولا جدال •

حوادث سنة ١٠٤٠ هـ — ١٦٣٠ م

بقية حوادث الصدر الأعظم بجانب بغداد

وفى أوائل المحرم من سنة ١٠٤٠ هـ مضى الى المدينة (بغداد) من طريق درگزين ، ودرتنك وقصر شـــيرين وحلوان • وهكذا حتى عبر نهر ديالى ، فوصل الى قنطرة (چبوق) ، واللقمانيـــة وفى ٢٨ المحرم وافى الشط قرب الاعظميـــة •

ومن الجهة الأخرى ان كنج عثمان جاء من طريق الفرات فورد الفلوجة ومنها مضى الى الحلة فهاجمها • وفى ٢٠ صفر سنة ١٠٤٠ هـ شرع السردار

(١) وصفها فى تاريخ نعيما ج٣ ص ٣٥ •

فى حصار بغداد ، وأحاطها من جميع جوانبها • وفى ٣ ربيع الأول سنة ١٠٤٠ هـ هاجمها هجوما شديدا • وذلك ان كل وال (أمير أمراء) هاجم بما لديه من الأغوات والعساكر فاجتازوا المتاريس ووصلوا الى قرب السور فكان دخولهم هذا المأزق مخطرا جدا • وهناك بذلت النفوس مجهودها ، وجالدت جلادا عنيفا • وكانت المدافع ترمى على الأعداء فرمت ما يقرب من ألف قنبلة ولكنها لم تتمكن من التأثير على السور الا من جانب ومع هذا دام الحرب لمدة أربعين يوما • فظهر العجز فى الجيش العثمانى وبدرت بوادر خفوق المسعى رغم الجهود والمعارك الخطيرة • وان الهجوم الاخير الذى جرى قد فل الجيش وبعثره • أتلف الكثير منه بحيث صار لا يدرى الواحد بالآخر • وفى كل هذه المدة لم يأت مدد • وأعوز البارود والمؤونة والعتاد أكثر من كل شيء ••• وما ورد اليهم لم يف بالمطلوب[1] •

وكان الأولى أن يركنوا الى الحصار ، وأن يمنعوا خروج الجيوش المحصورة ، ويقطعوا السابلة وأن لا يمدوا المحصورين استفادة من التجارب العديدة ، فلا يجازفوا بالهجوم ويخاطروا ••• وكأنهم فى غفلة عن المخذوليات السابقة •

لم تكن للعدو من القوة ما يكفى للحصار والمقاومة • وانما أحكم حصاره وأبطل الالغام التى عملها العثمانيون ••• وكان العجم قد عزموا على تسليم البلد ولم يجدوا وسيلة للتخلص بغير طلب الامان • ولكن العثمانيين عجلوا •

وحينئذ قرر الايرانيون الهجوم من جانب الثلمة التى أثرت فيها المدافع واستمروا فى الدفاع بعددهم ومدافعهم وأن يحاربوا حرب المستميت •••

ولهذا أول ما قارب العثمانيون المدينة أصلوهم بنيرانهم ومنعوا العساكر العثمانية ، فقتلوا من تقدم أولا وقطعوا طريق امدادهم •••

وعلى كل لم يتيسر الفتح • ويعزو أوليا چلبى[2] الخذلان فى هذه الحرب الى أن الجيش ربح غنائم كثيرة الى حد الاشباع ، والاسد لا يكون

---

(١) فذلكة كاتب چلبى ج٢ وتاريخ نعيما ج٣ ص ٥٤ •
(٢) رحلة أوليا چلبى ج٤ ص ٤٠٣ •

مفترسا الا اذا جاع ، فلم يهاجموا أثناء الحصار بشدة . ولكن الواقع يؤيد أن أسباب المحاصرة مكينة ، فلم يتمكنوا من اختراق الجبهة .

لم يقـدر السردار على المطاولة لا سـيما وقد كانت خسائره كبيرة وضائعاته عظيمة ... لم يصبر على الدوام فى الحرب كما فعل حافظ أحمد پاشا . ولذا قرر لزوم الرجوع باستشارة الامراء وذلك فى ٨ ربيع الاول من هذه السنة . وفى أوليا چلبى تركوا بغداد فى ٢٧ صفر سنة ١٠٤٠ هـ فعاد بما لديه من قوة وخيام وغيرها . وفى أثناء هذه الحرب استشهد أمير أمراء الاناضول داود پاشـا . الا أن السردار قرر أنه اذا بقيت الحلة فى يده أمكنه معاودة الحرب فى السنة المقبلة بأمل تسهيل أمر الفتح بناء على اقتراح بعضهم فوافق عليه ، وأرسل أمير آمد خليل پاشا مع نحو عشرين ألفا من عسكر ايالتـه وبينهم الينكچرية . وفى كتـاب (خبر صحيح) كان معـه اثنا عشر ألفا فارسـلوا على جناح السرعة الى الحلة . أحاطوا جوانبهـا بالخنادق لتكون لهم عدة أيام الخطر والمحاصرة .

وفى هذا الأوان هاجم قائد العجم توخته خان المسمى (خان خانان) فضبط (درنه ودرتنك) ففر المحافظون من الجنود هناك من أمامه ... ومن جهة أخرى ان رستم خان أيضا هاجم الحلة ووجه عزمه اليها فاستمد خليل پاشـا بالسردار فأرسـل اليه بضعة أمراء لكنهم لم يجـدوا طريقا للوصول اليه . فكان استعجالهم تسرعا مغلوطا [١]...

مهاجمـة شـــهرزور :

ثم ان العجم هاجموا شهرزور بنحو ثلاثين ألف جندى بقيادة توختهخان ومعه أحمد خان [٢] وظالم على فطردوا من فيها بالقوة وجعلوها قاعا صفصفا ولم يبقوا فيها بناءا ما . وفى المعركة قتل محمد پاشا ابن أرنود وانهزم عمر پاشا وابدال پاشا . وهؤلاء أيضا لم ينجوا من سيف السردار فأمر بقتلهم وان أمراء الكرد مالوا الى العجم وتابعوهم .

---

(١) فذلكة كاتب جلبى وتاريخ نعيما ج٣ ص ٥٦ .

(٢) هو الأمير أحمد بن هلوخان أمير أردلان .

٢٠٢

عودة السردار الى الموصل :

وفى هذه الايام وصل السردار الى الموصل بتاريخ ٧ جمادى الاولى وشرع فى احكام حصارها ومنها توجه الى ماردين .

وهذا الوزير كما نعته كاتب چلبى لم يكن له تدبير صائب . استبد برأيه ، ولم يحسن التصرف كحافظ أحمد باشا فأدى عمله الى القضاء على الجيش ومهماته وذهبت كل التدابير هباء ...

مهاجمة الحلة :

هاجم الشاه بنفسه الحلة بنحو أربعين ألف جندى بعد أن رآها استعصت على جيوشه فحاصرها لمدة ثلاثة أشهر وكان محافظها آنئذ خليل باشا فلم يصل اليه المدد وكان أصاب الدولة العثمانية قحط وبيل فلم تتمكن من معاونته بل كانت فى حالة اضطراب من جراء هذا الغلاء . فقطع أمله من المعاونة ولم يفكر الا فى طريقة الخلاص من هذه الغائلة المحدقة به . وكانت مدة الحصار بلغت الثلاثة أشهر أو الاربعة ففى بعض الايام هجم بما لديه من فوارس على جبهة من جبهات العدو فخرقها وتمكن من الخروج ولم يتمكن منهم العدو بشىء فوصل الى الموصل . كان لهذه الشجاعة التى أبداها فى شق الجبهة مما تذكر له وتزيد فى سمعته . وحينئذ أوقع العجم بأهل الحلة ما شاؤا من قتل ونهب .

وفى اليوم التالى نادى المنادى بالامان فانقطع النهب وكفوا عن الغارة والقتل . وان الجنود التى بقيت فى المؤخرة طلبت الامان .

ثم عاد الشاه ومن معه من الجنود العثمانيين الذين طلبوا الامان الى بغداد وسير الروم وهم الجنود الى الموصل ومنها توجه الى ايران . ولم ينج منهم الا القليل . سير الجنود الرومية الى أوطانهم ولطفهم وأذن لهم بالذهاب . ثم أمر أن يعمر مرقد الامام على (رض) فبوشر بالعمل فى الحال . وأما الحلة فانه ضيق عليها وأذل أهليها وأمر أن تبنى قلعة محكمة هناك ويتخذ

خندق فشرع فى العمل فدمرت دور وبساتين وحدائق للاهلين فتضرروا كثيرا[١] .

حوادث سنة ١٠٤١هـ — ١٦٣١م

حكومة بكتاش خان

بغـــداد فى هذه الأيام :

فى هذه الاضطرابات والحالات الحربية كان الحاكم فى بغـداد (صفى قولى خان) ، ولكنه عاجلته المنية ولم يمهله الأجل . وكان متعصبا فى مذهبه كما انه كان متصلبا فى الادارة . وبلغت مدة حكومته ثمانى سنوات تقريبـا .

ولما وصل خبر وفاته الى شـاه العجم أظهر حزنا كبيرا وأصابه ألم عظيم . واتباعا للتقاليد المرعية دعى المنجمون واستطلع رأيهم فى معرفة طالع أمرائهم الموجودين فكان طالع (بكتاش خان) غالبا على الكل ...

وعلى هذا نصب (بكتاش خان) حاكما على بغداد . ولكن الطالع ظهرت حقيقته مؤخرا بدخول السلطان مراد خان بغداد واستيلائه عليها وهى فى يده وتحت حكمه . فكانت أيام بغداد فى سـوء وحروب ومعامع بل قلاقل عظيمة فلم تهدأ الحالة .

وان من آثار الوالى السـابق بناء السراى (دار الحكومة) المعروف (أيام صاحب گلشن خلفا) بالدفترخانة .

بكتاش خـان :

فى هـذه السنة ولى بكتاش خان على بغـداد . قال صاحب گلشـن خلفا انه كان مشغولا بالشرب وتعاطى المعاصى وأخذ الهدايا وعـدم المبالاة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمال الناس فى أيامه الى الاهواء النفسية وانهمكوا فى المعاصى وصاروا لا يبالون بانتهاك الحرمات .. والحالة حربية ، فلا يعول على مثل هذه الاشاعات .

---

(١) تاريخ نعيما ج٣ ص ٦٥ .

حـــالة الترك :

ان السردار كان قد صرف همه الى تعمير القلعة فى الموصل وتحكيمها . وفى هذه السنة كان يتجول بين ديار بكر والموصل . ولكنه لم يتمكن من اجراء عمل ما . وان موسم الشتاء قد حل فوصل الى مشتاه وانتظر فيه . وفى ٢٨ ربيع الاول انتزع منه السلطان الخاتم فصار حافظ أحمد پاشـــا وزيرا للمرة الثانية فأمر بارجاع الجنود الى استانبول .

واثر ذلك حصل قيام عليه من الينگچرية ورؤســاء الموظفين فقتل فى سنته وكان من أعاظم رجال الدولة . عين مكانه رجب پاشا فصار صدرا أعظم . وهذا أيضا قتل من جانب السلطان نظرا لاشتراكه مع الثائرين الذين أصروا على قتل حافظ أحمد پاشا فخلفه محمد پاشا وهذا دمر المتغلبين والثائرين ممن كانوا يضطرون السلطان الى قتل وزرائه وتبديلهم وبهــــذه الوسيلة أمنت الحكومة من شرورهم .

ولما أمن السلطان مراد المركز شرع فى تسكين الاناضول والتنكيل بالثائرين فتمكن من ذلك أيضا .

حوادث سنة ١٠٤٢ هـ — ١٦٣٢ م

وفى سنة ١٠٤٢ هـ هاجم شاه العجم كرجستان . وكان حاكمهـــا آنئذ (طهمورث) فلم يستطيع مقاومة الاعجام فانسحب وضبطوا كرجستان ومنها توجهوا نحو (وان) فوصل خبر ذلك الى استانبول فأصدرت الاوامر الى رؤساء الثغور للاهتمام بالامر والتأهب للطوارىء .

حوادث سنة ١٠٤٣ هـ — ١٦٣٣ م

غرق بغـــــداد

فى هذه السنة طغى ماء دجلة فغرقت من بغداد محلة باب الازج وغيرها . والسبب أن اسماعيل بن نجم كانت بستانه محاذية لبدن القلعة فبثق من البدن بثقا ليسقى بستانه ، فاتسع وهدم جانبا من البدن ، فتركه وانهزم ، فأخبر والى بغداد بكتاش خان ، فقام مهرولا حتى وقف عليه ، فشاور بعض المهندسين

فى هذا الامر ، فطلبوا ثلاث طيارات ، ملأوها ترابا وحجرا وخسفت فى الهدم وترك خلفها الخشب والحطب والتراب حتى انقطع سيل الماء ، واطمأن الناس بعد ما ذاقوا مشقة عظيمة (١) .

حوادث حربية :

وفى ربيع الاول سنة **١٠٤٣** هـ سار توخته خان أمير أمراء العجم بعساكره الى وان وكانت عدتهم نحو الثلاثين ألفا فهاجمها وضبطها ، ولكن أمير أمراء ديار بكر مرتضى پاشا وأمير أمراء أرضروم خليل پاشا وافوا اليها . وفى **١٠** ربيع الآخر أنقذوا وان من يد أعدائهم ورجعوا . فلما سمع الوزير الأعظم وكان قد تحرك أيضا لامداد الجيش لاستخلاص وان فى **١١** ربيع الآخر فرح كثيرا وسر الفيلق وقد وصل الصدر الاعظم الى حلب فى **١٥** جمادى الثانية .

وفى أوائل رجب بناء على الفرمان الصادر قتل والى حلب توغاى پاشا ووجهت الولاية الى والى ديار بكر محمد پاشا الطيار ، وان مرتضى پاشا عاد الى استانبول .

وفى هذه الاثناء حصلت بعض الاضطرابات فى الفيلق أحدثها رؤساء الينگچرية . وفر رئيسهم الى استانبول فقتل بأمر من السلطان هو ومن معه . والحاصل ان الاحوال الادارية والاختلالات الداخلية منعت من استعادة بغداد ودعت الى بقائها فى أيدى الايرانيين مدة ...

والملحوظ أن النزاع على بغداد وتهالك الترك فى سبيلها واهتمام صدورهم فى حروبها . والعجم ومجازفتهم فى الاحتفاظ بها كل هذه من الامور الداعية لانتباه الاهلين ولكن أين الانتباه والقوى متكافئة بل راجحة للعجم فى الحرص على العراق ودفاعهم عنها دفاع المستميت فى كل مرة ... والترك ومخاطرتهم فى الهجوم عليها ولزوم استعادتها ...

مال الاهلون كل منهم لناحية فصاروا طعمة نيران هذه الحرب الملتهبة بلا أمل ولا مواعيد شافية ، ولا التمكين من أى حق بل نراهم يطلبون من

---

(١) تاريخ الغرابى ج٢ ص ١٠٩ .

الاهلين المقاتلة معهم • وتسهيل النجاح والغالبية ليكونوا شـــهداء لتمكين سلطانهم ، او واسطة لتأمين استعبادهم وقهرهم •••

وهكذا نرى عدم المبالاة بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر • فلا يكاد يظهر لهما أثر فى هذا العهـــد فمال الناس الى الأهواء النفسية وانهمكوا بالمعاصى • ولذا نرى الصلحاء فى خوف وارتباك من الأمر • كثرت فى أراذل الناس الفواحش فصارت هذه بمثابة الحالة الاعتيادية المألوفة •••

حوادث سنة ١٠٤٥ هـ — ١٦٣٥ م

الطاعون فى بغداد

توالت الارزاء ، واختلت الحيــاة بسبب تكاثر الجيوش ، وصارت المعيشة فى اضطراب ، فكان من لوازم ذلك أن حدث فى سنة **١٠٤٥ هـ** فى اليوم الثالث من شعبان المعظم الطاعون • هاجمت جيوشه الاهلين واستـولت على اقليم العراق واستمر ضرره ودام خطره الى أول يوم من عيد الفطر •

كانت الضائعات عظيمة جدا فكم دمر من أسرات وقرض من أهلين•••! حتى انه لم يبق من يدفن الاموات او يحمل الموتى ، فكان لمصابه خطر عظيم وكثرت الاراجيف ونال الاهلين رعب كبير ومن ثم تراهم تركوا المعـاصى فصاروا يميلون الى الصـلاح والى تأديب النفوس والركون الى الاستغفار والتمسك بالعبادة فلم يبق ملجأ الا الله تعالى •••

ورد فى تاريخ الغرابى :

« وقع فى بغداد طـاعون وكثر حتى جروا بعض الموتى من أرجلهم ورموا بهم فى دجلة • وبيعت قربة الماء بخمسة عباسيات » اهـ (١)

ثم خفت وطأته • واستمر الى يوم عرفة فانقطع وزال خطره وشـفى المصابون به فكثرت الموروثات ونال الفقراء الثراء • وبعد أمد يسير أبطر الناس

(١) العباسية نقد ايرانى من فضة وتساوى ثلاثة أرباع المثقال الصيرفى • أوضحت عنها فى (كتاب النقود العراقية لما بعد العهد العباسى) • لم يطبع بعد •

الناس الغنى ووسوس لهم الشيطان سوء الاعمال فمالوا الى المنكرات وعادوا الكرة الى عمل الموبقات ... كذا قال صاحب گلشن خلفا .

حـــالة العراق :

من هذه الاحوال يظهر ان هذا القطر لم ينل راحة . فهو بين حرب وظلم وغرق وطاعون ... فلا أمل أن نرى عمارة ، أو عدلا ، أو أمنا ، أو نموا فى الحضارة ولا تمكنا من العلوم والآداب . والحالة لا تزال حربية والاهتمام بالجيش هو المطلوب . والاخبار المتضمنة هجوم السلطان مراد على العراق بقصد استعادته من مؤيدات ذلك . تأهب بنفســـه وقام على العجم لصد غائلتهم فلم يتمكنوا من القضاء عليها من مدة بحيث شوشت عليهم داخليتهم وخارجيتهم . فهى بالنظر اليهم أم المسائل او صارت (قضية الحياة والممات). دامت هذه الاحوال من الاضطراب الى أن استولى السلطان على بغداد .

فيـل الشـــاه صفى :

فى هذه السنة بلغ الخبر كوچك أحمد پاشا وكان مقيما فى الموصل ان أمير آخور الشاه زينل خان أتى الى بلدة شهرزور ومعه فيل أهداه سـلطان الهند الى الشاه صفى ، فذهب اليها وانتزعه منه وأرسله الى السلطان مراد ، فبلغ هذا الخبر الشاه فأرسل نحو خمسين ألف فارس ، فالتقوا بأحمد پاشا عند قلعة مهربان ، فاقتتلوا ولم يتزلزل أحمد پاشا من مكانه حتى استشهد ، ولقبه العجم (بدمير قازوق) لثباته[1] .

حوادث سنة ١٠٤٦ هـ — ١٦٣٦ م

الحالة العامة

من حين تركت الدولة العثمانية حصار بغداد اشتغلت فى تنظيم داخليتها فلم تتمكن . عاث العجم فيها وصاروا فى تأهب حربى بل فى مقارعات فعلية فلم تدع فرصة للالتفات ... الا أن الحروب كانت فى انحاء (وان) فصارت تتداولها الايدى . واشترك السلطان مراد فى حربها ... وعلى كل نرى

(١) تاريخ الغرابى ج٢ ص ١١٣ .

الحكومتين تتقارعان الطالع ، وتجازف كل واحدة بقدرتها وما لديها من قوة ولم تكن هناك الحرب الحاسمة لتعادل القوى ، ولم يكن الترجيح فائقا من جهة ، وانما يعوز حسن التدبير للتفوق والرجحان ويغلب على العثمانيين الاضطراب فى الادارة مما منع أن تكون كفتهم راجحة بكثرة القوة وكمال العدة • انهكت الحروب الدولتين ولم تفكر واحدة منهما فى الامر وما يؤول اليه • وانما تأمل الواحدة أن تقضى على الاخرى • ولم ينقطع هذا الامل •

الحرب سجال • والعراق لم يصف له الجو ، وحالته ما وصفنا من حروب الى طواعين الى قسوة وتعديات وهكذا •••

حوادث سنة ١٠٤٧ هـ — ١٦٣٧ م

لم نجد ما يصلح للتدوين عن هذه السنة الا حادث اهتمام العثمانيين فى العودة الى بغداد ومحاولة استردادها وسفر السلطان اليها بنفسه وتجييشه الجيوش العظيمة وقيامه بالمهمات الكبرى فلا حديث غير هذا يهم العراق • وحكومة العجم أيضا متأهبة لقمع نفوذ العثمانيين والقضاء عليهم •

السلطان مراد يتأهب لاستخلاص بغداد :

كانت بغداد فى أيدى العثمانيين من سنة ٩٤١ هـ أيام السلطان سليمان ودامت فى أيديهم الى واقعة بكر صوباشي فبقيت نحو المائة سنة تحت حكمهم فحاولت الاستقلال ثم صارت فى حكم العجم وقام العثمانيون بهجومات عديدة وعظيمة لاستعادتها فأخفقوا فى مساعيهم كلها واستصعب الفتح ، وكون هذا الخذلان خطرا عظيما • كانوا قد بذلوا النفس والنفيس فى سبيله فظهر عجزهم وبان ضعفهم ••• وهذا الخذلان كان أكبر محرض ، فالسلطان مراد وجد أن الخطر حل واكتسبت المصيبة شكلا عاما ، فعزم بنفسه للقضاء على هذه الغائلة وهو من أعاظم رجال العثمانيين لم يأت مثله من أيام السلطان سليمان فسار للمقارعة بعد أن قضى على اضطرابات داخلية وفتن خارجية مهمة وأمن الحالة مع المجاورين الآخرين ••• وحينئذ تمكن من خضد



١٣ ـ السلطان مراد الرابع ببزته الحربية ـ أحمد راسم

شوكة العجم وفل غارب نفوذهم فى العراق وافتتح مدينة (بغداد) • استخلصها للعثمانيين فبقيت فى حوزتهم الى الحرب العظمى وحينئذ خرجت من ايديهم فى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م •

السلطان مراد فى طريقه الى بغداد :

ان السلطان أصدر فرمانا فى التأهب لسفر بغداد فى أوائل رجب سنة ١٠٤٧ هـ وأوعز فى اتخاذ ما يلزم للحرب ، وفى ٨ شوال هذه السنة أخرج الطوغ الهمايونى[١] وركز أمام الحربية فاستعد الوزراء والامراء ممن تقرر اشتراكهم فى الحرب ونشروا الاعلام الاخرى للاطلاع ، وفى ١٥ شوال نقل الاوطاغ الهمايونى (خيمة الملك) الى اسكدار ، وفى ١٦ ذى القعدة تحرك الفيلق أيضا الى اسكدار وفى ٢٣ منه يوم الخميس برز السلطان بموكب زاهر واحتفال عظيم وذهب الى اسكدار ممتطيا جواده وعلى رأسه مغفر عليه عمامة حمراء من شال ، وعلى كتفه طيلسان فكان فى زى عربى يحكى طراز الصحابة الكرام (رض) فى أوضاعهم حينما يتأهبون للغزو والجهاد ومعه الجيوش فى أبهة[٢] • وحيثما مر من صوب أو التفت الى الى جهة أو ناحية من النواحى سمع نداء الاهلين قائلين له (عليك عون الله) فكان لوضعه هذا تأثير كبير فى النفوس •

وفى ٢٣ ذى‌الحجة يوم السبت رحل السلطان من اسكدار وتوجه نحو بغداد وقطع فى سفره هذا (١١٥) مرحلة • وفى المرحلة الخامسة من هذه المراحل عاد المشيعون الى استانبول وهم الموالى والمعزولون والمدرسون •

---

(١) الطوغ • علم للعثمانيين ، ولسائر الاتراك ويتكون أعلاه من شعر الخيل ويلون بألوان وله أهمية • وتتعين رتبة الأمير بالنظر لما منح من طوغات • والتفصيل فى كتاب (تشكيلات وقيافت عسكرية) ص ٣٧ •

(٢) رأيت فى استانبول فى متحف طوبقبو قسم الخزانة لباسه حين افتتح بغداد • وبين هذه مغفر ، ودرع ، وكنانة سهام وسيف ، حتى ركاب فرسه وعدته ••• وقد حفظ فى خزانة خاصة كتب عليها ذلك • أما السلطان سليمان فقد حفظوا لباسه بوجه عام •

٢١٠
حوادث سنة ١٠٤٨ هـ — ١٦٣٨ م

السلطان فى طريقه أيضا

وصل السلطان الى حلب الشهباء بتاريخ ١١ ربيع الاول من سنة ١٠٤٨هـ وهنا انضم اليه الجيش المصرى بأميرهم رضوان بك • وفى ٢٦ ربيع الاول منه رحل عنها وقطع مراحل حتى وصل پيره جك وهناك أعد قبل هـذا عثمان پاشا أربعين سـفينة ونصب منها جسرا للعبور فعبر عليها الجيش أما السلطان فانه ركب فى زورق وعبر • استصحب المفتى معه اكراما له • وقد صب خمسة مدافع عظيمة اثنان منها كل واحد حشوه عشرون أوقية من البارود وثلاثة منها حشو كل منها ١٨ أوقية • وصنع فى الفلوجة ٨٠٠ سفينة لنقل الذخائر والاطعمة • وهنا التحق بالفيلق أمير أمراء سيواس كور خزينة دار وأمير بوزاوق شمسى بك زاده فانضموا اليه فى پيره جك •

ولما وصل منزل جلاب توفى الوزير الاعظم بيرام پاشا فى ٦ ربيع الآخر فتأثر عليه السلطان كثيرا • وعهد بالوزارة العظمى الى محمد پاشا الطيار • وبعد منزلين ورد أمير أمراء الشام (درويش محمد پاشا) •

وفى ٢٣ ربيع الآخر ورد السلطان ديار بكر فأقام بها للاستراحـة عشرة أيام • وبعد يومين من وصوله جاء الوزير الاعظم فأجرى له احتفال عظيم وأنعم عليه السلطان بخيمة وخرگاه وأوطاغ وبارگاه • وفى ذلك اليوم عهد الى درويش محمد پاشا بايالة ديار بكر والحق به كثير من أمراء الالوية• وكذا التحق بدرويش محمد پاشا أمير الصحراء (سلطان البر) ابن أبى ريشة مع پاشـوات طرابلس وحلب وعدة أمراء ألوية وعين مقدمة الجيش وأرسل فى الامام •

وفى ٤ جمادى الاولى رحل السلطان عن ديار بكر وكان ذلك فى ٣ أيلول • وبدل السلطان قيافته فدخل ماردين للتفرج •••

وفى أثناء مروره بحلب وديار بكر تقـدم الشعراء لمدحه والدعاء له بالسفر الميمون وكان مدحه الشاعر نظمى أفندى البغدادى حين ورد الرها

بقصيدة تركية طويلة جعل كل شطر من أبياتها تاريخا لقدومه ودعا له بالسفر المبارك • ومدح بقصائد ومقاطيع تركية كثيرة ذكر فى (تذكرة رضا) جملة صالحة منها لا نرى فائدة فى ايرادها لعدم معرفة الكثيرين اللغة التركية •••

وفى سلخ جمادى الاولى وصل الى مدينة الموصل •

ولا يهمنا ان نذكر المنازل قبل أن يصل الى الموصل وانما نكتفى بما ذكر • وفى كتاب (روضة الابرار فى فتح بغــداد من قبل السلطان مراد) تأليف قرهچلبى زاده عبدالعزيز أفندى تفصيل ، وهو تاريخ مختصر مخطوط، ومنه نسخة برقم ٢٠٨٩ فى خزانة أسعد أفندى فى السليمانية باستانبول • كتبه أيام وزارة مصطفى پاشا وبين تاريخ حركة السلطان فى منازل عددهـا ونقلنا منه من حين ورود السلطان الموصل • وهذا المؤلف كتب ما هو أشبه بما كتبه مطراقى أيام السلطان سليمان القانونى الا أنه لم يكن معاصرا ولا كان كتابه مصورا •••

وبعد أنأتم ذكر أسفار السلطان قد بين الحوادث التى وقعت فى استانبول بغياب السلطان وكان قد جعل السلطان مكانه موسى پاشا محافظا وختم المقال بأوصاف الوزير وجميل مناقبه ••• عولنا على كثير من نصوصه فى حكاية الفتح وما يتعلق بها ولم نترك الكتب الاخرى المعاصرة أو القريبة منها مثـل فذلكة كاتب چلبى و گلشن خلفا وغيرهما •••

ورود سفير من الهند :

كان أرسل ملك الهند خرم شاه (١) كتابا الى السلطان مع هدية بيد السفير (مير طريف) • فورد هذا ميناء جدة فأخبر السلطان بذلك كما ان على پاشا

(١) ان سليم شاه (جهانكير شاه) ابن أكبر شاه كان قد ولى سنة ١٠١٤ هـ ـ ١٦٠٥ م وتوفى سنة ١٠٣٦ هـ ، فخلفه ابنه (شهريار) طالت مدته بضعة أشهر فقتل وهذا قد خلفه بايسنقر بن دانيال بن أكبر شـاه • وهذا تغلب عليه خرم شاه (آصف خان) ، فالتجأ بايسنقر الى العثمانيين، فلم ينل مطلوبا ، وعاد الى الهند فهلك • وخرم شاه المذكور ابن سليم شاه • وهو الذى أرسل رسولا الى السلطان مراد الرابع بالوجه المذكور• (فذلكة ج٢ ص ٩٨ ودول اسلامية ص ٥٠٢ وتاريخ نعيما ج٣ ص٣٥٧) •

ابن أفراسياب عرض قضية مجيئه الى السلطان بكتاب . ولما وصل السلطان الموصل وافى السفير وقدم الكتاب والهدايا وبين هذه التحف كمر (هميان) مجوهر تقدر قيمته بمائة وخمسين ألف قرش . وترس مصنوع من اذن الفيل ومغطى بجلد الكركدن . ويعتقدون أن هذا لا يؤثر فيه السيف ولا البنادق وأكثر من القول فيه . أما السلطان فانه أراد أن يجرب قوة سهمه فضربه ضربة كانت قد خرقته . وبهذا كذب دعوى الهنود واعتقادهم فى هذا النوع من الترس فابتهج بعمله هذا مما أزال الاعتقاد . وحينئذ وضع داخل الترس خمسمائة فلوری[١] وأعاده الى السفير .

كان جاء هذا السفير بأموال وافرة للتصدق بها على فقراء الحرمين الشريفين . وان ملك الهند أيضا كان أشار الى ذلك بكتابه المرسل كما انه كان قد سمع بتوجه السلطان الى بغداد . ولذا قال ونحن أيضا جهزنا جيوشنا على قندهار واستعادتها من أيدى العجم . وآمل أن يسهل البارى علينا تسخير المملكتين .

وفى هذا الامل ما يدعو الى انجاز المهمة التى جاء من أجلها السلطان ، فكان عمل الهند مما يشوش الوضع على ايران من مجاوريها . ويسهل فتح بغداد . وهكذا فعل الشاه عباس الكبير باتفاقه مع الدول الأوربية المجاورة للعثمانيين ، فلم يظهر لها أثر من جراء أن السلطان عقد الصلح مع بعض المجاورين وأكد وضعه .

وفى الحقيقة تم الفتح . وكان أمر السلطان ببقاء السفير واقامته فى الموصل الى أن يقضى على هذه الغائلة وعين له كافة لوازمه[٢] .

نقل المدافع ـ انعامات :

ان السلطان أنعم على جميع الجيش . ثم اجتمع الأعيان والأركان

---

(١) الفلورى . نقد ذهبى . ذكره بنيامين فى رحلته ص ٨٠ وورد فى صبح الأعشى . وشاع فى المملكة العثمانية وتغلبت تسميته على الدنانير العثمانية . ويسمى فلورين أيضا . وأصله من فلورنسة . والتفصيل فى كتاب النقود العراقية .

(٢) كاتب جلبى ج٢ ص ١٩٨ وتاريخ نعيما ج٣ ص ٣٥٧ .

للمشاورة فى بعض الأمور المهمة بمحضر من السلطان . تداولوا فى كل أمر . ولما انجر الكلام الى المدافع المعروفة بـ (باليمز) وطريقة نقلها كان رأى الأكثر من أركان الدولة ان الجاموس الذى كان يسحبها قد هلك غالبه والباقى لا يزال منهوك القوى . وأبدوا صعوبة فى النقل من طريق البر . وان الأولى أن يكون من طريق النهر . وارتأى آخرون انه ليس من الجائز تسييرها من طريق النهر بحيث ينتظر الكل ورودها ...

أما السلطان وشيخ الاسلام فانهما قبلا هذا الرأى ووافقا على أن يسير عشرون مدفعا من طريق البر والباقى من طريق النهر فتقرر ذلك وتوزع الزعماء أرباب التيمار القنابل فيما بينهم لتكون معدات المدافع مهيأة .

ظهر حسن هذا التدبير بعد وصول الجيش الى بغداد . ولم ترد المدافع نهرا الا بعد عشرين يوما من وصول الجيش ...

وحينئذ وجه منصب مرعش الى محمد على پاشا الگرجى المعزول من أرضروم فعين فى المؤخرة أو الساقة . وجعل والى ديار بكر فى طليعة العسكر (مقدمته) . وعين للميسرة عساكر الشام وسيواس . وعين للمدفعية نوغاى پاشا زاده .

السير من الموصل :

سار السلطان من الموصل متوجها نحو بغداد فوصل الى منزل (يارمجه) ومنه الى (خضرالياس) ومنه وصلوا الى الزاب الاعلى . وهناك نصبوا الخيام ثم ان الجيش عبر الزاب من (المعبر) فوصل الى (شمامك) ومنه الى بيدرار . ومنه الى اينجه‌صو ثم الى آلتون كپرى فى الثانى من شهر رجب ثم وردوا (كوك ديه) .

وقبل المضى الى المنازل الاخرى نذكر الرواية القائلة ان السلطان حينما أراد أن يعبر آلتون كپرى (قنطرة الذهب) قال :

كيچمه نامرد كوپريسندن قوى آپارسين صوسنى
ياتمه تلكى كولگه سنده قوى يه‌سين أصلان سنى

ومعناه : دع النهر يجرفك ماؤه ولا تمر من قنطرة الجبان واترك الأسد يختطفك ولا تركن الى ظل أبى الحصين (الثعلب) .

غالب أهل القنطرة يحفظ هذا البيت . ولعله مقول على لسانه .

ثم تحركوا من هناك فنزلوا قرب كركوك ثم مضوا فى طريقهم حتى حطوا رحالهم فى قنطرة چبوق . استراحوا فيها يوما واحد .

كانت ثلة من العجم تقيم هناك فأخلوا القلعة وفروا ...

وفى جنوبى كركوك تردد أمراء الجيش فى أن يقدم الطوغ (العلم التركى) وهل فى تقدمه محذور لان جيش العدو قريب منهم . أوشكوا أن يصلوا اليه . ولكن لم يكن تقدم الطوغ من القوانين القديمة أو الاعتيادات المرعية ، لذا تركوا الأمر لاختيار السلطان فجاء مصطفى پاشا القبودان (القبطان أو الأميرال) الى حضور السلطان وكان السردار آنئذ خسرو پاشا فلم يأذن بتأخر الطوغ حتى يقابل الأعداء . وقال : ينبغى أن لا يخطر على بالنا الخوف أو الحذر مع وجود السلطان معنا . فأمر أن يتقدم الى الأمام ...

بشائر الانتصار

ان والى أرضروم الوزير كنعان پاشا وحاكم اخسخه سفر پاشا كانا قد أغارا على روان وكان حاكمها كلب على خان فقابلهما بجيش عظيم . فجرت محاربة قوية تشتت فيها شمل العجم ! ورجع كلب على مجروحا الى جانب القلعة فارا فتعقب الجيش أثره فقتلوا قسما من عسكره وأسروا آخرين . جاءت بشائر ذلك الى السلطان مع رؤوس بعض القتلى .

وأيضا كانت قد أرسلت ثلة من العسكر الى شهرزور فوردت البشائر بانتصارها فى عين اليوم الذى وردت فيه تلك البشارة .

ثم سار الجيش الى ما يقابل بعقوبا وفى ٧ رجب نزل الفيلق (باش دولاب) أى أول الكرود . وفى اليوم التالى أى ٨ رجب الموافق ٥ تشرين الثانى نزل بجوار الامام الاعظم قرب بغداد . قطع السلطان فى مراحله من أسكدار الى

تاريخ وصوله ١٩٧ يوما • وكان من هذه الايام ٧٦ يوما قضاها فى الراحة من عناء السفر •

محاصرة بغـــداد :

قيل المحصور مغلوب • لم يقدر الجيش الايرانى على الحرب فى ميدان المعارك ، فتوسل بالحصار وكانت له المهارة فى الدفاع بهذه الطريقة • ولكن القوة الغالبة لا تصد • فكان الجيش التركى مزودا بكل الوسائل والمهمات • ومن جهة أخرى ان موت الشاه عباس الكبير ، وظهور السلطان مراد الرابع مما أثر على الوضع ، فشعر الايرانيون بالضعف •

كان السلطان حين وصوله الى بغداد رتب الأمور ووزع الوظـائف خشية اجراء حركة خروج من الجيش المحصور ••• جعل الوزير الأعظم محمد پاشا فى الباب الأبيض (آقپو) وكذا أغا الينگچرية حسن أغا وأمير أمراء روم‌ايلى على پاشا ابن أرسلان پاشـا وفوق هؤلاء قپودان باشـا ووالى سيواس الخزينه‌دار ابراهيم پاشا وأمراء كستنديل واولونية ومعهم أربعون چوربچيا ورئيس الصامسونجية حسين أغا ورئيس الزغرجية حيدر أغا زاده محمد أغا فدخلوا المتاريس وجعل محمد پاشـا وأرسلان پاشـا ابن نوغاى پاشا فى جانب الباب الشرقى (الباب المظلم) ويقال له (قراكوقپو) أو (قراكلقپو) باللفظ التركى • وذلك لصد غائلة الهجوم المفاجىء •

وكانت بغداد قد حوصرت قبل هذا من جانب حافظ أحمد پاشا من الباب الشرقى وان خسرو پاشا كان قد حاصرها أيضا من ناحية باب‌الامام الأعظم • فأحكم الاعجام هذه المواطن وقووها كثيرا ••• وأما الباب الوسطانى فانه بعيد عن النهر فلا يصلح لاتخاذ متاريس • فأغفله العجم ولم يكونوا يعتقدون أن تتخذ متاريس فيه •

علمت قوة العثمانيين بذلك حينما كانت فى الموصل • وذلك أن السلطان لما كان فى الموصل خرج (مير محمد) مع اثنين من اخوته فجاء الى تكريت لجمع أموال الشاه فنزل عند شيخ العربان هناك فألقى القبض عليه وجيء به

الى السلطان • فقتل اخوته واتباعه فى الحال • ولكن مير محمد كان امرءا عاقلا عارفا وله صناعة كاملة فى الشعر والاغانى فرجاه سلحدار باشا فعفا عنه ، ورافقه الى بغداد مكبلا فأبان عن أكثر أحوال بغداد وعن الباب الوسطانى وأوضح أن هذا الباب خال من التدابير الحربية •••

عرض الوزير الأعظم ذلك كله الى السلطان فصدر الفرمان بلزوم محاصرة الباب الوسطانى وتوجيه القوة نحوه • قال نعيما : ان أوطاغ السلطان (خيمته) نصب أمام مزار الامام الأعظم وان دجلة تجرى من جانب اليمين • ووضعوا (مقصورة) على تل عال مشرف على الاوضاع الحربية وهناك ذبحوا ٤٠ رأسا من الغنم فداء له وتصدقوا بها على الفقراء ••

وان السلطان قال : انى استحيى أن أزور الامام الاعظم بلا فتح ولا ظفر • ولذا لم يدخل مرقده للزيارة حتى أنه لم ينزل فى الاوطاغ الهمايونى • وانما نزل فى المقصورة • وهناك كان يوزع الذخائر الحربية والقازمات والكوركات[١] والبارود والفتيل وسائر لوازم الحرب • وبعد ثلثى الليل باشروا الدخول فى المتاريس فى أطراف البلد فدخلها من ناحية الباب الوسطانى كل من الوزير الاعظم واغا الينكچرية حسن اغا وأمير أمراء روم ايلى ارسلان باشا زاده على باشا • ومن جنوبيهم نحو الباب الشرقى مصطفى باشا وأمير أمراء سيواس كورخزينه‌دار واربعون چورباچيا مع رئيس صامسونجية وأمراء كوستنديل واولونيه وفى أسفل هؤلاء أيضا الى جهة الجنوب كل من أمير أمراء الاناضول حسين باشا وعسكر مصر واربعون چورباچيا ورئيس الزغرجية[٢] حيدر اغا زاده • دخل هؤلاء جميعهم المتاريس • وعين أيضا حرس (قراولة) كل من كورچى باشى ونوغاى باشا زاده من جانب الباب الشرقى لدفع ما يحتمل وقوعه من هجوم ليلى •

---

(١) القزمات والكوركات معروفة فى اللغة العامية عندنا • وهى ألفاظ تركية • وآلاتها تستعمل الى هذه الأيام •

(٢) الزغرجية دون كتخدا الينكجرية فى الرتبة كما فى (تشكيلات وقيافت عسكرية) ص ٣ •

كانت السماء مقمرة فصفت المشاعل أيضا فى السور ولم يصبح الصباح الا والعمل قد تم وأعدت كافة المتاريس وأحاط الجيش بالمدينة من ناحية الشط الغربية الى الاخرى الجنوبية على شكل قوس .

وفى تلك الليلة والليلة التالية لها جرت محاربات فجرح اوردار على باشا وقانلى محمد باشا .

أحوال العجم فى بغداد :

ان الشاه لم يشأ أن يخاطر فى معركة كبرى مع السلطان خشية المجازفة واحتمال الخذلان مثل ما وقع مع الشاه اسماعيل فاكتفى أن يضع ببغداد قوة كافية للدفاع والحصار بغرض أن يشغلهم ويطاول فى الامر لعل هذا تكون عاقبته كأمثاله . فاختار من جيشه نخبتهم وجعل القيادة لاكابر أمرائه ، وكان من رؤسائهم (خلف خان) رئيس الرماة المشاة وكان حارب السلطان فى أنحاء روان فجعل فى أنحاء بغداد . وكذا كان أغا صادق ابن مير فتاح فى حرب روان . فعفا عنه السلطان فأطلقه وأعوانه ولكنه دام فى تعنده ولم يخش الوقيعة مرة أخرى فجاء باثنى عشر ألفا من الرماة بالبنادق فوافى هو وأمراء آخرون للحاق ببكتاش خان (والى بغداد) ونبه الشاه الى لزوم المحافظة على بغداد وأكد وجوب صيانتها وانسحب وجماعة من العجم بقصد الامداد والاعانة ليكون قوة لهؤلاء فأقام فى محل يبعد نحو ست ساعات .

ان المحصورين فى المدينة لم يكونوا يعلمون عن حصار بغداد من (الباب الوسطانى) فكانوا فى أمان منه ... ولم يعلموا بما اتخذ من متاريس فرأوا أن قد هوجموا من محل لم يعهد القوم المهاجمة من ناحيته مما دعا أن يذهلوا فلم يقدروا على الدفاع اذ لم يكن أتاهم عدوهم من هذه الجهة فصاروا يرمون بالقنابل والبنادق من جانب القلعة وبادروا للدفاع عن حوزتهم من تلك الناحية أيضا .

فى هذا الحين وردت للعثمانيين المدافع من طريق البر وذلك ثانى يوم الحصار مساء فوزعت عشرة منها للوزير الاعظم وستة الى قبودان باشا

وأربعة الى حسين باشا • وفى تلك الليلة أقروها فى مواضعها • وصوبت وقت السحر على المدينة من ثلاث جهاتها •

قال المحبى :

« أمر السلطان بحفر لغم عظيم وضع فيه البارود وأطلقت فيه النار فهدم جانبا عظيما من جدار السور بحيث قيل انه لم يكن لغم مثله فى محاصرة قلعة من القلاع فصار يرى من هدم اللغم ما فى مدينة بغداد من البيوت لانه صار فى ذلك الجانب جدار السور سهلا مستويا مع سطح الارض ، فلما رأى جيش بغداد ما دهمهم مما لم يعرفوه قط تلاشوا وبعثوا الى الشاه يريدون التسليم وكان عسكر السلطان قد توانوا فى الهجوم وتثبطت همة العجم • وفى أثناء ذلك أرسل الشاه رسولا يطلب الصلح وكان الرسول من أعيان عسكر الشاه يسمى جانبك سلطان • وفى يوم الجمعة ١٣ رجب بكرة النهار اجتمع بالوزير الاعظم فى ديوان عظيم ودفع اليه كتاب الشاه بالصلح فقرىء بمسمع من الناس وفهم الكل منه ما قصد الشاه من الحيلة فأبى السلطان وجميع الوزراء والاركان الصلح •••

(قال المحبى) : وقد رأيت الواقعة بخط الاديب رامى الدمشقى • ثم أطلق السلطان الامر بالمحاصرة الشديدة وشدد فى ذلك » اه[١] •

وكانت فى ١٢ رجب قد أفرزت ثلة من الجيش بحرسها وعدتها الكاملة ذهبت الى جهة شهربان (المقدادية) مع الوزير سلحدار باشا والتحقت بوالى طرابلس شاهين باشا فبلغ المجموع اثنى عشر ألفا • وحينئذ وصلوا اليها وهذه من مضافات بغداد ومشهورة بالنعمة والبركة • ومملوءة بالاطعمة والفواكه • لا سيما رمانها • فالعساكر أغاروا على شهربان ونواحيها فغنموا غنائم وافرة وعادوا الى الفيلق •

وقدموا للسلطان نوعا نفيسا من الرمان فوزنت واحدة منه فبلغت أربعمائة درهم • والترك يسمون الرمان (نارا) ويحكى أنه لما سمع أحدهم

---

(١) خلاصة الأثر ص ٣٣٨ •

المثل (النار فاكهة الشتاء) قال : (خصوصا شـــهربان ناري) اي لا سيما نار شهربان • فظن أن هذه النار يقصد بها (نار) المراد في لغته ، فصارت تتكرر هذه كملحة •

ثم ان السلطان أمر أن يعبر سلحدار پاشا مع ثلاثة عشر مدفعا بمن معه من العساكر ففعل وحاذى باب الشط من الجانب الغربي وصار يرمي داخل بغداد من جهة (قلعة الطيور) فخرب ابنية المدينة وأقام القيامة على رؤوس العجم • وان سلحدار پاشـا نصب كتخـــداه عثمان اغا (باشبوغا[١]) على العســاكر واللوندات[٢] جميعهم ممن في (قلعة الطيور[٣]) وأراد هو أن لا ينفك من نظر السلطان فكان يعبر لمرتين يوميا الى قلعـــة الطيور ويلاحظ أحوال العساكر ويفتش أمورهم •

وفي اليوم الثامن لايام المحاصرة شاهد كل من الوزير الاعظم وقبودان پاشا (أميرال البحرية) وحسين پاشــا أن قد تخرب أكثر التلول فملأوهـــا بتراب كانوا ينقلونه بالزبابيل (الزنابيل) وسدوا المطلوب منهم •

وتســهيلا للغرض قطع الجيش نحو ألف نخلة فصنع منهـــا توابي (طوابي) ، وضعت عليها المدافع وصنعوا تلولا تكاد تضارع الجبال في علوها • واشترك في هذا جميع العساكر وملئت الخنادق فتقدموا الى السور •

---

(١) يراد به قائد العساكر غير المنظمة • وهنا يقصد به القائد الوقتي •

(٢) اللوند • كسوتهم خاصة • ويعدون من أفراد الجيش البحري في أصل تشكيلاتهم ، وفي خدمة الساحل البحري • ثم صاروا يستخدمون في خيالة الجيش في الولايات الأخرى • وألغي هذا النوع من الجند سـنة ١١٨٦ هـ الا انهم بقوا في بغداد وفي الولايات النائية • وفي بغداد محلة خان اللاوند من بقايا تسمياتهم • واللفظة ايطالية أصلها (Levant) فاستعملت عندنا لوند ، ولاوند • (تشكيلات وقيافت عسكرية ص ٩١) •

(٣) قلعة الطيور تقع بالقرب من تكية خضرالياس للبكتاشية • وكانت في رأس الجسر • وموقعه هناك • وان الجسر الموجود اتخذ له الطريق من المدرسة المستنصرية فهو حادث •

وفى اليوم ١٣ القى القبض على (على الهمذانى) من العجم فاعترف انه جاسوس • وفى حضرة السلطان قال : جئت من رستم خان الى بغداد وأبرز كتابا • ان شئتم أن تقتلوا أو تمنوا • وسآخذ جواب هذا الكتاب وآتيكم به• فأنقذ نفسه بمثل هذه الحيلة ونجا فدخل المدينة •

السلطان كل يوم يمر بأهل المتاريس من وزراء وأمراء وضباط ويقول ابذلوا جهودكم فى سبيل الدين والغيرة الاسلامية ولا تقصروا • هذا يوم السعى وبذل ما فى الوسع ••• وبأمثال هذه كان يرغبهم وينفث فيهم روح النشاط والهمة •

ثم نصب الخيام لجراحين كثيرين للاهتمام بقضية الجرحى والمحاربين ، وكان ينعم على كل من يجرح فى الحرب ويحسن اليـــه • يطيب القلوب بأنواع الانعامات ويعنى بشؤن الجميع •

وفى هذه الايام تيسر للوزير الاعظم أن يجعل تابية الباب الوسطانى قاعا صفصفا وأغا الينگچرية چغال زاده جعل تابية الزاوية (كوشـه قله‌سى) كذلك وكل من حسين پاشا والقپودان تمكن أن يهـدم تابيتين • فالجميع قدروا على هدم أرض تقدر بثمانمائة ذراع سووها بالارض •

وفى يوم ١٤ منه قرر السير الى الامام والهجوم على العدو الا أنه شاع أن هناك خنادق ومتاريس عظيمة لا يمكن اجتيازها فرأوا أن الاولى الدخول فى المتاريس فانضموا اليها وتأخر الهجوم •

وفى يوم ١٨ منه خرجت ثلة من العجم من ناحية حسين پاشا فهاجموا على حين غرة الا أن العسكر كان متأهبا مستعدا فعاد الاعجام بخيبة ولم ينالوا مأربا ثم خرج من ناحية القپودان ثلة أيضا فلم تفلح •

وفى ١٩ منه جاءت ثلاثة مدافع من طريق دجلة فوضعت فى جهـــة قلعة الطيور ووجهت على المتاريس •

وفى يوم ٢٠ منه وردت ســتة مدافع أيضا فأعطيت ثلاثة منها الى درويش

محمد پاشا والى ديار بكر • وحينئذ تقرب من (برج العجمى[١]) ومن متاريس الاعداء فتضاربوا بالقنابل مدة فتقدم الپاشا مع سبعة من الچورباچية[٢] الى متاريس أخرى فأبطلوا مدافع خصومهم •

وفى ليلة ٢٣ منه خرج الاعجام بحذافيرهم • ضربوا قنابل وبنادق وعملوا مهرجانا • وسبب ذلك أنه وردت اليهم من جانب ديالى قوة تقدر باثنى عشر الفا •

وفى هذه الايام هبت رياح عظيمة دامت أربعة أيام واربع ليال فلم تكد ترى بغداد ولا الصحراء من كثرة الغبار فلم يفارق الجيش مقابلة العدو واستمروا فى الدفاع وأبدوا اقداما يذكر •••

وفى يوم ٢ شعبان القى أمير العرب ابن أبى ريشة القبض على (على خان) من أمراء حسين خان اللر[٣] فجيء به فاعتذر بأنه كان جاء الى العثمانيين فلم تسمع معذرته فقتل •

وفى ٣ و٤ و٥ من شعبان أبدى الجيش بسالة واقداما تاما فجرت معركة طاحنة جدا تبادل الطرفان فيها المدافع والبنادق • وفى هذه الحرب جرح كورخزينه‌دار وسقط كتخدا الينگچرية شهيدا وجرح كل من أمير أمراء طربزون وأمراء بوزاوق وچورم •

وفى ٦ منه وزعت أيضا الى العساكر نحو (٢٦٠) هزة (كيسا) لحمل التراب •

وفى ٧ و٨ منه جمعوا ترابا أمام الخندق كالجبل • ومن هؤلاء الغزاة ممن

---

(١) يسمى مقام الشيخ • وهو معروف • اندثر فى هذه الأيام • وجاء ذكره مفصلا فى تاريخ جهانكشاى جوينى •

(٢) الجورباجية لهم كسوة خاصة • وهم كالبلوكباشية ودرجتهم يوزباشى أى رئيس فى مصطلحنا • والتفصيل فى كتاب (تشكيلات وقيافت عسكرية) ص ٥٤ وعندنا آل الجوربه‌جى الأسرة المعروفة ببغداد من بقاياهم •

(٣) أمير اللر الفيلية •

كان مع قپودان پاشا استولوا على الخندق فدخلوه . وان رئيس الدلية(١) للپاشا المذكور جرح وهو راكب فرسه .

وفى ١٠ منه خرجت ثلة دمرت ضعفها من الاعجام .

وفى ١٤ منه كان جاء الى ساحل ديالى أعجام ، فاقتضى ارجاعهم فأرسل محمد پاشا والى حلب وشاهين پاشا والى طرابلس وأمير الصحراء ابن أبى ريشة مع خيالة العربان فذهب هؤلاء لصد اولئك . وبوصولهم انسحب الاعجام وقفلوا راجعين .

وفى ليلة ١٥ منه وقع خسوف كلى قرب الصباح . والى ١٦ منه اشتد القتال ودام الحرب فاكتسحت من العدو أماكن كثيرة واستشهد اغا الينكچرية والسردنكچدية وأمير آلاى چرمن . وملئت الخنادق بالاتربة من كل صوب فمضى الجيش سائرا الى الامام .

وفى يوم ١٧ منه وقت الظهر صار يحرض السردنكچدية الواحد الآخر وهاجموا العدو فتقدموا الى الامام وهاجموا التوابى المخربة وهناك اشتبكوا بالعجم واشتعلت نار الحرب .

قال المؤرخ نعيما : ولما سوى الخندق بالارض فى ١٦ شعبان . خاطب السلطان الوزير بأن الجيش وطن نفسه على الهجوم فلماذا لم تهاجم ؟ فأجاب الوزير الاعظم : أيها السلطان لنصبر قليلا . فالفتح قريب . والهجوم العام له وقت مرهون ! فلا نعجل بمحو الجيش .

ثم ان السلطان عاتبه للمرة الثانية قائلا له : أهذه شجاعتك واقدامك . ما هذا الانتظار وما معنى هذا التأخير ؟ !

وبخه بهذه الكلمات فأجابه :

ـ أنا حاضر لفداء روحى لسلطانى . فلو مات عبدك الطيار فلا قيمة له . أسأل الله أن يسهل الفتح . قال ذلك وقرر التقدم فى الغد .

---

(١) رئيس الدلية ، ويقال له دلى باشى . يراد به الدليل . وكانوا يحمون الثغور من صنف الخيالة ويتولى رياستهم دلى باشى وعندنا ناحية دلى عباس (ناحية المنصورية) سميت باسم أحدهم وجامع دلى فتحى باسم أحدهم .

وفى ١٨ منه قام الغزاة بوداع الواحد الآخر وأعدوا اسلحتهم وآلات حربهـــم وبذلوا ما يستطيعون من قوة وأحضروا ما تمكنوا عليه وصرفوا مجهوداتهم جميعها . وفى تلك الليلة لم يقدر أن ينام أحـــد . فبلغ التكبير والتهليل عنان السماء .

أما العجم فانهم أيضا كانوا تأهبوا للهجوم واستعدوا للحرب فهاجموا ليلا واستخدموا كل ما استطاعوا من قوة من المدفعية والبنادق وسائر الآلات النارية فدافعوا دفاع مستميت وحاربوا حربا عظيمة . فتقدم الترك على لسان واحد قائلين : (الله الله) واشتبكوا بحرب أنست كل الحروب التى سبقتها .

وحينئذ سار الوزير بعســاكره وأغا الينگچرية بمن معه فخرجوا من متاريسهم وتقدموا نحو التوابى من كل صوب ، تقدم قسم وركز العلم فى التابية التى أمامه . فقارعهم الاعجام . اشتبكوا بقتال عنيف ، وحرب طاحنة. دام القتال حتى دارت الدائرة على العجم وولوا الادبار ...

وفى هذا اليوم استشهد كثيرون لكن الغلبة كانت نصيب الترك أحرزوها وضبطوا التوابى ..

شهادة الطيار محمد باشا وفتح بغداد :

ان عساكر الترك تمكنوا من الاستيلاء على التوابى فاستقروا فيهـا . ولكن العجم احتفظوا ببعض المواقع . صاروا يبدلون حراســـها فى الليلة ثلاث مرات أو أربعا . أما الوزير الاعظم محمد پاشا فانه كان ســـل سيفه يوم الخميس ١٧ شعبان فمشى على التوابى التى أمامه بما عنده من عساكر فى جهته وأعمل فى عدوه السيف وأبدى بسالة لا مثيل لها ، ولكنه جاءته رصاصة من العدو أردته قتيلا . فنقلوه الى خيمة . توفى ولم يتيسر له أن يشـاهد الفتح .

ومحمد پاشا الطيار هو ابن مصطفى پاشا المعروف بصارقچي والى بغداد الاسبق . كان توفى والده ودفن فى مقبرة الامام الاعظم . ولذا دفن محمد پاشا أيضا عند قدم والده ، وكان محمد پاشا قبل أن ينـال الوزارة واليا على الموصل ...

ولما اطلع السلطان على هذا الحادث قال : آه طيار ! أنت لا تقدر بمائة مدينة مثل بغداد • عفا الله عنك وأغدق عليك الرحمة والرضوان !

الدوام فى أمر الفتح ـ وكالة الصدارة العظمى :

وحينئذ أنعم بختم الوكالة العظمى على مصطفى پاشا القپودان وقال له :

ـ أراك أراك ! سيتم الفتح بعونه تعالى على يدك • أطلب منك الخدمة والمفاداة ليكن الله تعالى فى عونك !

قال له ذلك ودعا له بالخير • وحينئذ قبل أقدام السلطان وقال أتمنى أن يتوجه قلب السلطان نحوى وأرجو منه الادعية الخيرية • قال ذلك وبكى فخرج من الاوطاغ الهمايونى وذهب توا الى متاريس الوزير • وهذا ولد روحا جديدا ونشاطا فى الجيش • وبادروا كالاول فى القتال • سارعوا فى الحرب •

ان الصدر الاعظم الجديد تقدم بمن معه من جميع الاغوات واللوند والحرس الملكى ومشوا على عدوهم بعساكر فهاجموا بهجوم عام فبذلوا نفوسهم قائلين ان الموت انما يكون فى مثل هذا اليوم • وان كتخدا الوزير رضوان اغا مع جماعة من أغوات البلاط وغيرهم سقطوا • وأما العجم فقد هلك منهم خلق لايحصى فاكتسحت التوابى القريبة من السور بتمامها وامتلأت بالعسكر • فلم يستطع الايرانيون الاحتفاظ بها •

وفى اليوم التالى سحرا سل العثمانيون سيوفهم وتقدموا نحو العجم • وهناك قطع العجم آمالهم من النجاة • حاربوا حرب المستميت •

وفى اليوم الاربعين من أيام المحاصرة فى ١٨ شعبان (١) يوم الجمعة صاح العجم الأمان الامان وعلقوا آمالهم بعفو السلطان •

بكتاش خان والى بغـــداد
فى حضرة السلطان

وفى هذه الاثناء ظهر اليهم أحد الاعجام قال : الخان يرغب ان يسلم البلد

(١) فى نعيما ان الفتح كان يوم ثامن شعبان وهذا غير صحيح والصواب ما ذكره صاحب كلشن خلفا من أنه كان يوم ١٨ منه لأن السلطان ورد بغداد يوم ٨ رجب وطالت المحاصرة أربعين يوما فبلغت ما ذكره صاحب كلشن ...

أرسلوا واحدا منكم . فأرسل اليهم (چاووش باشى)[١] طوراق أغا ومتصرف ينكده حسن باشا . فوصلا الى بكتاش خان (حاكم بغداد) فأعلماه بأن من طلب الامان من السلطان أعطاه كما هو دأب العثمانيين ومن رسمهم المعتاد القديم . وطمأنوا الحاكم وجاؤوا به الى الوزير الاعظم . وبعد الملاقاة معه احضر الى السلطان فنبه بلزوم اجتماع العسكر وترتيب الديوان . وان الوزير الاعظم بقى ثابت القدم فى مقامه وان الجيوش بين خيمة الوزير وأوطاغ السلطان صفت فى الجانبين مثنى مثنى سواء السپاه أو السلحدارية .[٢] وكانت العساكر مصطفة فى الجانبين . لا يحصى عددها ...

وكان السلطان جالسا على تخت ذهبى وبلباس أحمر بأبهة لا مثيل لها مزين مكانه بالجواهر ، ومرصع بالنفائس والتحف ، وعلى ركبته سيف مرصع . وعن يمينه ويساره الغلمان المدرعون بالدروع المرصعة والهميانات الذهبية . وهم من خيرة الشجعان تراهم مكتوفى الايدى واقفين امام السلطان باحترام .

وكذا شيخ الاسلام والوزراء العظام وسائر أركان الديوان كانوا بوقار وأدب لا مزيد عليه . وكل فى موقعه . فترتب الديوان حسب المراسيم المعتادة ...

وحينئذ جاء الصدر الاعظم (ببكتاش خان) الى حضور السلطان ولما رأى الوضع والابهة التى عليها السلطان أخذته الرهبة فلم يسعه الا أن قبل الارض . ولم يستطع أن يتحرك الى الامام وأبدى خضوعا وتذللا .

أما السلطان فانه أعطاه الامان قائلا له أمنتكم على أن تخلوا المدينة فى هذا اليوم . انك لو جئتنا أولا لما رأيت هذا العناء . لكنك قمت بواجب الخدمة لمتبوعك جهد طاقتك فأنت معذور . وأعطاه تاجا (سرتوغا) مرصعا وخلعة سمور وخنجرا مجوهرا وقال له : اذهب الى المدينة . وليخرج كل من فيها

---

(١) جاووش باشى . من ضباط الينكجرية . وله لباس خاص . (تشكيلات وقيافت عسكريه) ص ٥٢ .

(٢) السلحدارية جند الحرس الملكى الخيالة .

من الخانات والعساكر على وجه العجلة • ومن شاء أن يذهب الى الشاه فليذهب ومن شاء أن يكون تابعا لنا فليبق • لا يجبر أحد فهم على اختيارهم •

وعلى هـذا أعيد بكتاش خـان الى خيمة الوزير الاعظم فكتب كتابا الى الخانات الذين هم داخل المدينة والى سائر العساكر بأن السلطان أنعم بالامان ، وان مير فتاح ويار على وخلف خان ونقد على خان وسائر البيكباشية (المقدمين) واليوزباشية (الرؤساء) يجب ان يخرجوا فى هذا اليوم الى وقت العصـر الى الى الخارج ، وان العسكر ايضـا سحرا يخرجون من (الباب الشرقى) وهو الطريق الذى يذهب الى الشـاه • ومن بقى فليخرج من باب الامام الاعظم كتب الكتاب وأرسله الى العجم فى المدينة وصار ينتظر خروجهم •

ثم ان بكتاش خـان أخبر الوزير الاعظم بان الجيش الذى هو داخل البلدة على أغلب احتمال قد اتخذ الغاما تحت التوابى التى استولى عليها الجيش العثمانى وملأوها بارودا واتخذوا بذلك حيلة • أما الوزير الاعظم فانه أخبر جيشـه بذلك ونبههم على حيلة هؤلاء ومـا يحاولون ايقاعه • وعجل بلزوم ابطال ما مكروا به •

أوضـــاع الجيشـين

ان الجيش العثمانى كان يلتمس وسيلة ما للوقيعة بالعسـكر الايرانى • قاموا باجمعهم وهاجموهم وأعملوا فيهم السيف • ولما وصل كتاب بكتاش خان وأعلم بالامان بكتابه المرسـل اليهم • خـافوا وابوا ان يخرجوا وتعللوا بعلل وبقوا تلك الليلة • ولما رأوا هجوم الجيش تحصنوا فى تابية نارين • وحينئذ وقعت مصـادمة عنيفة بين الفريقين فلم يروا طريقـا للخلاص • فركنوا الى الفرار •

وفى تلك الليلة قتلوا كل من وجدوه من العجم وانتهبوا أموالهم • وان بقاياهم اجتمعت فى (الباب الشرقى) • وقفت هنـاك • وان العسكر فى تلك

الحالة نهب من نهب ولم يمكن المنع من الغارة فعين الجبه جية (١) لحراسة سراى بكتاش خان ودور سائر الخانات والبزازين حفظا لها من النهب •

القتل العام فى العجم

ثم ان الوزير الاعظم مع امرائه ورؤسائه ركبوا وقت السحر فدخلوا بغداد لتسلمها فوجدوها مملوءة باجساد الاعداء • وملطخة بدمائهم • ونحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من العجم حذروا على ارواحهم فلجأوا الى (الباب الشرقى) فتحصنوا ببعض التوابى والاماكن • فلما وصل الوزير الاعظم الى هناك شاهد بعض عساكر العجم فتعرض بهم • وهؤلاء خافوا ، ومن حيرتهم دافعوا عن أنفسهم الا أن عسكر الوزير سار اليهم فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين • وحينئذ وبعد مغلوبية الايرانين قام الملتجئون الى التوابى وغيرها فصاروا يضاربون جيش الوزير بالاحجار والسهام والبنادق فاستشهد من جيش الوزير جماعة حتى أن رئيس الكتاب (اسماعيل افندى) كان فى ركاب الوزير الاعظم فاصابته رمية حجر وأعقبتها رمية سهم فسقط شهيدا •

وان الموما اليه من أهل طرابزون • كان ذا علم ومعرفة وطبع لطيف وصناعة انشاء فاق بها أقرانه •

وفى ذلك الحين سل أحد الاعجام سيفه وحمل على سلحدار پاشا لكن أحد الغلمان الشجعان وكان شابا أمرد اسمه خليل سل سيفه وهاجم ذلك الرجل فقطع (ذراعه) فانسحب الايرانيون وتجمعوا فى محل وشرعوا فى الحرب ايضا •

أما الوزير فانه حينما رأى ذلك بادر لمحاربة الايرانيين ومن ثم كسروا • وان راوى هذه القصة ابراهيم أغا كان آنئذ من مقربى الحرم الخاص قال : بعد الفتح أمر السلطان فصاحوا بالامان ونادوا به وفى هذه الاثناء جاء أحد عساكر روم ايلى الى حضور السلطان فقال : أنت بذلت الامان ولكن نحن لا نوافق على ذلك • وحينئذ استغرب السلطان من جرأته هذه فقال ما هذا الكلام الغريب فأجابه بجرأة ايضا : أيها الملك نحن من سنين نقوم بالأسفار على بغداد ولم

---

(١) الجبهجية • يوزعون الاسلحة والمهمات الحربية للجيش ، ويقومون بحراستها أيضا • وآل الجبهجى عندنا معروفون • وهم من بقايا اولئك •

تكتف بصرف المبالغ الطائلة بل بذلنا النفوس الكثيرة حتى أنه لم يبق لى أب ولا عم ولا أخوة فالكل هلكوا فى هذه السبيل • فالآن سنحت الفرصة فلماذا لم نأخذ انتقامنا منهم • فكيف نبذل لهؤلاء (الامان) ، الحق لا تفعل ذلك •

أما السلطان فانه عجب من قوله هذا وضحك بقهقهة •

وبينا هو فى هذه الحالة اذ دخل الباشوات عليه وأبدوا أن العجم شرعوا فى القتال فقتلوا الرئيس وكثيرا من الرجال فاضطر الأمراء على الحرب •

وفى ذلك الحين جاء رجل من علماء بغداد بزى شيخ لابسا طيلسانا وأتى باثنين من العجم مصفدين • فغضب السلطان وقال : أنا أعطيت الامان لماذا تفعل هذا ؟ فعاتبه • فقال أيها الملك ان هؤلاء عادوا للحرب الكرة الثانية ولم يصغوا للامان •

وعلى هذا بعث السلطان غلاما تتارا ليأتيه بالخبر • وهذا التتار وصل الى الباب الشرقى فرأى أن الحرب مشتعلة فأخبر السلطان بذلك فأرسل السلطان أمير أمراء روم ايلى حسين باشا وقال لـه : اذهب الى هؤلاء الاشرار وادفع فسادهم فاذا تعندوا فاقتلوهم قتلا عاما •••

أما حسين باشا فانه ذهب الى محل الواقعة وأخذ معه سلحدار باشا (١) فأتيا الى التابيتين اللتين كان قد تحصن بهما العجم وأفهموهم بأن السلطان بذل الأمان فلا تخافوا • تعالوا من الخارج • وبذلك استمالوهم فمن هؤلاء مير فتاح وعلى يار وخلف خان ذهبوا الى الخارج فجاؤا الى السلطان فسلموا الى حبس سلحدار باشا ولكن كان لمير فتاح ولدان كبيران لم يخرجا من التابية ولا يزالان متمنعين بهـا مع جماعة من العجم فأظهروا العصيان للمرة الاخرى • وحينئذ وجهوا عليهم مدافع ضخمة وشرعوا فى قتلهم لعدم قبولهم الامان • وفى بضع ساعات قتل منهم عدة آلاف وأسر منهم ثلة أحياء فجاؤا بهم الى السلطان ، وأمام خيمة السـلطان (أوطاغه) ضربت أعناقهم وفى تابية نارين جماعة من العجم

(١) أكبر آمر من خيالة الحرس الملكى يقال له (سلحدار باشـا) • قاله فى (تشكيلات وقيافت عسكريه) ص ٦ •

طلبوا الامان فاخبروا بان يخرجوا أولاد مير فتاح فخرجوا • أما الباقون فانهم طلبوا الامان وحينئذ صدر الفرمان بأن لا يأتوا بالأحياء ولا بالرؤوس •

وفي ذلك المحل كان أمير أمراء الأناضول حسين باشا حضر بنفسه مع ثلة من أتباعه الى السور فقال لجيشه آتوني بمن بقي من هؤلاء فنزل عليهم الجيش • وكانوا قد تألموا من العجم وامتلأت قلوبهم عليهم فلم يصغوا الى طلبهم الامان فأخرجوهم من متاريسهم وقتلوا اكثرهم • وأما الذين نجوا من القتل فقد بذلوا لهم الامان • وان أبناء مير فتاح جاؤا الى الفيلق وأما العجم وعدتهم بضع مائة فانهم خرجوا من الباب الشرقي وتوجهوا نحو جهة ديالى • وهؤلاء حينما خرجوا عقب أثرهم عسكر مصر فقتلوا بضع مئات منهم • ولم يسلم منهم الا القليل فرموا بارواحهم الى شهربان وهؤلاء في يوم ماطر دخلوا تحت قبة كبيرة • وهذه القبة قد سقطت عليهم فاهلكت أكثرهم •

والحاصل لم ينج من مجموع الجيش الايراني البالغ ثلاثين الفا الا نحو ثلثمائة تمكنوا من الوصول الى فيلق الشاه ومن جيش العجم نحو عشرة آلاف هلكوا بنيران المدافع والبنادق وأما الذين نقضوا الامان وقدرهم عشرون الفا فانهم قتلوا في خلال الثلاثة أيام وكانوا تحاربوا بعد الامان •

وقال أوليا جلبي ان العجم رفعوا الاعلام البيض وطلبوا الامان • فقبل امانهم على ان يخرجوا في يومهم ويتركوا اسلحتهم • الا ان قسما منهم لجأ الى القلعة الداخلية ، وان قسما آخر مالوا الى الباب المظلم فحاصروا فيه وشرعوا في القتال ••• فكانت النتيجة أن قتل في هذه الحرب من العجم (٨٧) الفا •

وذكر اوليا جلبي أن الله عزيز ذو انتقام كان مرتضى باشا السردار قد توفي في حرب روان فطلب الجيش الامان من الشاه الا أنه لم يف بعهده فقتل (١٢) الفا من الجند فكان الانتقام منه بعد ثلاث سنوات • (١)

وبعد هذه الوقائع ملئت بغداد من القتلى • وكذا الخارج • وكان هذا القتل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب الايرانية •

وبذلك انتقم الترك من الشاه ونال جزاءه وحصل الجيش التركي على

(١) أوليا جلبي (بتلخيص) ج٤ ص ٤٠٧ •

غنائم وافرة جدا . وأما نفس رعايا بغداد فانهم تقدموا صفوفا بأطفالهم ونسائهم لطلب الامان وصاحوا (الداد ، امان) .[١] فأصدر السلطان أمانه لهم وان لا تنهب بغداد وان كل من عثر على مال فله أخذه .

وأعلن السلطان الامان أيضا ومنع منعا باتا أن يتعرض أفراد الجيش بأموال الاهلين أو أولادهم . وكل من وجدت فى خيمته أموال لأحد فعقابه الاعدام . ولو لم يأمر بهذا لعادت بغداد يبابا ، أو اثرا بعد عين .

والخلاصة أن بغداد أنقذت من أعداء الترك وخلصت للعثمانيين .

وبهذا تم (الفتح) .[٢]

وجاء خبر ذلك مجملا فى تاريخ الغرابى . قال :

« سار السلطان ... لاستخلاص بغداد دار السلام (مدينة السلام)... فنزل عليها وحاصرها أربعين يوما . فلما رأى حاكمها بكتاش خان وسائر الخانات ان لا طاقة لهم بمقاومة الهزبر طلبوا الامان فأعطاهم السلطان ما طلبوا ، وخرج بكتاش خان الى حضرة السلطان بالامان ، ثم ان السلطان أمر ان كل من كان من عسكر القزلباش فليلق السلاح ويخرج وعليه الامان ، فما رضوا بذلك فاجتمعوا كلهم عند الباب الشرقى المعروفة بـ (قره‌قاپى) فعين السلطان من أبادهم ، فما خرج منهم سوى خمسة وعشرين شخصا توجهوا الى ممالك العجم ، فحين فارقوا بغداد أمطرت السماء ، واشتد المطر ، فآووا الى قبة فى الطريق ، فخرج أحدهم فى الليل لاراقة الماء ، فوقعت القبة على رفقائه فقتلتهم ، وذهب ذلك الرجل الى العجم فأخبرهم[٣] . » اهـ

فكان بحثه مختصرا بل مقتضبا ، وقد مر بنا التفصيل من كتب تاريخية عديدة .

---

(١) معروف عند البغداديين تعبير (الداد أمان) الى الآن ومعناه التسليم وطلب الأمان .

(٢) نعيما ج٢ ص ٣٧٧ . وفذلكة كاتب جلبى ج٢ ص ٢٠٥ و(تشكيلات وقيافت عسكريه) .

(٣) تاريخ الغرابى ج٢ ص ١١٤ .

زيارة الامـــام الأعظم :

وفى اليوم التالى ذهب السلطان لزيارة الامام الاعظم وقال : الآن حقت الزيارة • وكان قال اننى أخجل من زيارته قبل أن تفتح بغداد • فقرىء عماك الختم الشريف وتليت الأدعية وذبحت القرابين وبذلت الصدقات •

التبريكات بالفتــح :

وفى هذا اليوم رتب الديوان العالى فهنأ السلطان بهذا الفتح الجليل كل من الوزير الاعظم وشيخ الاسلام وسائر الوزراء والصدور وأركان الدولة والولاة وأغا الينكچرية والامراء وضباط الجيش • فألبس الخلع الفاخرة كلا من هؤلاء ودعا لهم بالخير •

أرخ هذا الفتح جماعة منهم شيخ الاسلام وغيره كثيرون[١] •

ولما كانت هذه التواريخ تركية لم نر فائدة فى نقلها وذكرها • والتواريخ العربية كان أكثر الناس من نظمها • قال المحبى وقفت بمكة المشرفة على تاريخ للقاضى تاج الدين المالكى وهو هذا :

خليفــة الله مراد غزا قلعة بغداد فأرداهـــا
وعندما حاصرها جيشه اندك للأسفل أعلاها
وأصبح الشاه ذبيحا لما أخبر من كثرة قتلاها
هذا اختصار القول فيها فان قيل لقد أجملت ذكراها
فلنشرحن فعل مراد بها
مؤرخا قد ذبح الشـــاها

انتهـــى[٢] •

---

(١) تاريخ نعيما وتذكرة رضا وكلشن خلفا ص ٧٩ ـ ١ •
(٢) خلاصة الأثر ج٤ ص ٣٣٩ •

منح رتب وكتب أخبار الفتح :

وفي هذا اليوم حرر (كتاب الفتح) وأرسلت كتب أخرى ومنح الميراخور الكبير خليل أغا رتبة الوزارة وأرسل بشرى الفتح الى الاستانة . وأمر بنقل (أوطاغ السلطان) الى باب الامام الاعظم فأبدل مكانه . وفي اليوم نفسه ابتدىء بعمارة القلعة وأعلن بواسطة المنادين أن لا يبقى أحد مختفيا وليظهر كل بلا خوف ولا حذر وأن لا يتعرض أحد بالمختفين . ومنح سلحدار پاشا منصب القبودانية (القبطانية) وجرت توجيهات أخرى لا نرى فائدة فى ذكرها مما لا يخص أحوال بغداد . وفى هذه الترفيعات نوع منحات ...

ومن التوجيهات التى أجريت أن والى قسطمونى السابق محمد پاشا منح منصب ايالة شهرزور .

وفاة بكتاش خان والى بغداد السابق :

وفى تلك الليلة توفى بكتاش خان فى سرايه بعد العشاء فجأة كذا فى نعيما . وفى گلشن خلفا انه انتحر ، وترك زوجته بنت (حسين خان اللر) . فأرسلت بجميع أموالها وأتباعها الى أبيها ولم يتعرض الى شىء من أموالها . وهذا الوالى حكم بغداد مدة سبع سنوات قال صاحب گلشن خلفا ولا يزال سراى الحكومة قائما . فهو من آثاره وله منظر جميل وحديقة غناء ... وكذا الحمام من بنائه .(١)

ولاية بغــداد :

وفىاليوم التالى منحت (ايالةبغداد) الى كوچك حسن أغا(٢) أغا الينگچرية وعهد بأغوية الينگچرية الى مصطفى أغا الركابدار . ومن المدرسين مصطفى(٣) أفندى التذكرچى عين قاضيا لبغداد . وان كتخدا الينگچرية (بكتاش أغا) عين لمحافظة بغداد وحراستها وجعل معه ثمانية آلاف نفر من الينگچرية .

---

(١) گلشن خلفا ص ٧٩ ـ ١ .

(٢) لم يكن حسين أغا وانما هو حسن أغا كما فى گلشن وسجل عثمانى بخلاف ما ورد فى تاريخ نعيما .

(٣) جاء فى نعيما أنه مصطفى أفندى التذكرهجى وما جاء فى فذلكة كاتب جلبى من أنه موسى أفندى التذكرهجى . فليس بصواب .

سرقة حمائل السيف :

ومما يحكى أن شخصا من أكراد العجم يدعى قارچغاى كان يتكلم بلهجة لطيفه • لذا عفا السلطان عن قتله حتى أنه نال شرف مصاحبة السلطان (مرافق الملك) فتطاول ولم يتأدب بحضوره • وفى يوم الفتح قدم (بكتاش خان) للسلطان سيفا مرصعا ولما علم قارچغاى المزبور وكان فى المجلس قال أنا أذهب به فأقدمه للسلطان فأخذ السيف وله حمائل مذهبة ومجوهرة • ولكنه لخساسة طبعه بدل الحمائل وأوصل السيف الى السلطان فقبله السلطان منه وقال لسلحدار پاشا انى أعجب أن تكون حمائل هذا السيف اللطيف غير متناسبة معه•

أخبر بكتاش بأنه اذا كانت لهذا السيف حمائل مناسبة له فليرسلها • فأجاب ان حمائل هذا السيف ذهبية ومجوهرة فهى متناسبة معه • ولعلها بدلت• وبالتهديد والتحقيق ظهرت • واعترف قارچغاى بها وحينئذ غضب السلطان عليه وعده كافر النعمة • ولم يلتفت لكل هذا اللطف حتى طمع وخار فلا يستحق هذه العناية والرعاية فأمر بقتله فقتل •

خرافة مولوية :

حكى نعيما أنه قبل فتح المدينة ببضعة أيام جاء أحد دراويش المولوية تجاه أوطاغ السلطان وقال له : أيها الملك اسعوا واجهدوا أن تفتحوا المدينة قبل يوم الاثنين والا لو تأخر غرقنا بالسيول فلا يتيسر الفتح • وفى ذلك اليوم أمر السلطان طيار پاشا بالهجوم وأقنعه بل هدده فى لزوم الهجوم فاهتموا له وأقدموا عليه • وفى الحقيقة تيسر الفتح يوم الجمعة • أغاروا على البلدة يوم السبت وفى اليوم التالى الأحد بذل الامان • وفى يوم الاثنين جادت السماء بمطر عضيم امتلأت منه المتاريس وغرقت الخيام فبقيت فى الأطيان •

وبهذا ظهرت كرامة ذلك الدرويش المولوى الكامل • ولو كانت أمطرت هذا المطر قبل الفتح لما أمكن الفتح بل لم يقدروا أن يخرجوا من متاريسهم • فكان هذا التدبير موفقا ••• فحصل المأمول فى أحسن وجه • ثم انه بعد الفتح توالت الأمطار فأوقفت الحركة خارج الخيام •

والظاهر ان هـذه الحكاية رتبت اثر وقوع الأمطـار فأراد هؤلاء أن يستفيدوا منها ولو بعد حين وقد بينا عن هؤلاء وأوضحنا بعض الايضاح عن طريقهم ، وغاية ما يقال ان هذه وأمثالها سبب نكبة المسلمين واماتة أرواحهم ونفوسهم الجريئة الحية ... ولم يذكر هذه الواقعة صاحب الفذلكة .

تعمير مرقدى الامام الأعظم والشيخ عبدالقادر الكيلانى :

ثم ان السلطان أمر بتعمير مرقدى الامام الأعظم والشيخ عبدالقـادر الكيلانى بنظارة شيخ الاسلام يحى أفندى . وهذا شرع فى العمل . فعمر الأبنية التى فى ساحة القبة العليا وزينها بقناديل ذهب وفضة . وكذا عمر صندوقا وقام باللوازم الاخرى . واتخذ ستارا من صوف أخضر وعمامة .

وقـــائع أخرى :

ثم انه كان عين من العجم قاض فى بغداد . تمكنوا من القبض عليـه فقتل . وكذا قتل دفترى الموصل (عباس البغدادى) لتحقق تهاونه فى ارسال المهمات وللاطلاع على بعض أحوال منه غير مرضية . وان محمد پاشا المعزول من قسطمونى وجهت اليه (ايالة شهرزور) .

قتـــل القزلباشـيـة :

ان الدولة أرادت أن تقطع دابر القزلباشية اذ علمت أن قد جاء أكثر من ثلثمائة منهم من النجف الى الكاظمية فأمر بقتلهم وذلك قبل الفتح واعطاء الأمان وكذا قتل نحو ألف ، ثم قتل نحو أربعمائة .

قتل الواردون من القزلباشية من النجف أيضا لما علم من جاسوس منهم القى القبض عليه جاء وكان حاملا كتابا ، فيه انه اذا استولى العثمانيون على بغداد فأخبرونا لنترك أوطاننا ونذهب الى ديار العجم .

وبهذه التهمة قتلوا[١] .

وعلى كل حال ان العثمانيين أبدوا قسوة فى القتل لما رأوا من حنق من الايرانيين فقابلوهم بأشد منه مما لا ترضاه الشريعة فالضرر ممنوع ابتداء ،

(١) تاريخ نعيما ج٣ ص ٣٨٣ .

وكذا المقابلة به . فأضاعوا قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) . وربما كان الخنق من الجيش فلم يستطيعوا صده ...

عودة السلطان الى استانبول :

وبعد ذلك تقرر عودة الركاب الهمايونى الى الاستانة فعاد فى ١٢ من شهر رمضان وأرسل ابن مير فتاح وسائر خانات العجم المحبوسين الى ديار بكر .

وكان السلطان حينما أراد العودة تقدم لزيارة الامام الأعظم . ثم انه عبر مع الصولاقية والمتفرقة العلوفية والچاوش وبلوك اليمين الى جانب الكرخ فمضوا الى مرقد الامام موسى الكاظم . وأمر أن تنظم أحوال بغداد وأن يبقى الوزير الأعظم مع عموم العساكر مدة ببغداد للقيام على العجم والقضاء على غائلتهم وتأسيس الادارة المنتظمة ...

وبهذا انقطعت حوادث السلطان من بغداد بعد أن أودع الشؤون الى أهلها . بقى الوزير الاعظم ووالى بغداد .

السلطان فى طريقه الى عاصمته :

١ ــ أن سفير الهند المذكور سابقا جاء الى الركاب الهمايونى فى تكريت وهناه بالفتح . أذن له بالعودة وأمر باتخاذ ما يلزم لذلك فذهب الى الوزير الأعظم ...

٢ ــ ان سفير ايران المرسل من الشاه كان جاء الى ماردين ، ومنها ابقى فى الموصل فلما عاد السلطان الى الموصل فى ٢٢ رمضان كتب معة كتابا الى الشاه صفى . وفيه أن السفير خليفه مقصود أعيد . فعليك أن تبعث بالهدايا والتقدمات . والا دمرت مملكتك بجيوشى العظيمة . ولو كنت شجاعا لما تخلفت عن الظهور ... وكتب فى رمضان سنة ١٠٤٨ هـ . وينطوى على التهديد والتهكم .

٣ ــ خرج السلطان من حدود العراق فلا تهمنا حوادث حله وترحاله وسائر وقائعه . وصل الى ديار بكر فى غرة شوال . وفى ١٠ صفر سنة ١٠٤٩ هـ وصل العاصمة باحتفال مهيب .

٢٣٦

حوادث الصــــدر الأعظم

(فى العراق)

الصدر الاعظم قرا مصطفى پاشا بقى فى بغداد ٦٠ يوما بعد رجوع السلطان، وفى ١٦ منه صلى أول جمعة فى (جامع الگيلانى) • وكان تموين الجيش صعبا جدا • وفى خلال المدة توالى ورود المؤونة • وفى غرة شوال جاءتهم المؤونة من البصرة فى عشر قطع من الأغربة • وجاء سفير العجم ، فأعيد الى الشاه مع حمزه پاشا • ثم أرسل مع (سفير الهند) أرسلان أغا المتفرقة • وفى ١٤ شوال تم تعمير القلعة • وفى ١٠ ذى القعدة رحل الصدر الاعظم فنزل (باش دولاب)• بقى هناك بضعة أيام • ثم قصد ديار العجم فتوجه نحو لقمان الحكيم • وفى يوم حركته أبقى فى بغداد (١٢٠٠٠) من الجيش البغدادى و(٨٠٠٠) ينگچرى من صنف الحراس (نوبتجى) ، و(١٠٠٠) سپاهى •••

وفى ٢٧ منــه حلوا بالقرب من (قنطرة چبوق) من الخالص وهنـــاك اتخذوا مرعى (چايرا) ، فبقوا نحو ٢٠ يوما • ولما كان نهر ديالى قد فاض ، فقد اتخذوا جسرا من سفن وفى ٩ ذى الحجة عبر بعض الجند فى الكلك من قرية ينگيجه فارين فعلم ذلك ومن ثم اتخذت التدابير من أمير أمراء قرمان حسن پاشا فمنع وقوع أمثالها ، وفى اليوم التالى نصب الجسر فعبروا عليـــه فمضوا نحو شهربان •••

وفى ١٩ منه ورد السفراء من رستم خان • وبعد أربعة أيام فى منزل (زاوية) ورد ميراخور الشاه (محمد قولى) سفيرا ، فاستقبل من چاووش ، وفى اليوم التالى ورد السفير الى مجلس الوزير فى قزلرباط (السعدية) ، فتكلم فى الصلح ، فسأله الوزير هل جئت بمفاتيح (درتنك) لتطلب الصلح ؟ وأبدى انه لا يتم الصلح ما دام رستم خان فى درتنك • وأظهر غضبا على السفير • وكتب بهذا أيضا الى الشاه كما كتب الى رستم خان أن يرحل عن درتنك • أمهلهم أن يأتوا بالجواب خلال ستة أيام والا شرع فى الحرب •

أما السفير الايرانى فانه أرسل فى الحال رسولا الى الشاه ، وقصد السردار التوجه نحو الهدف المقصود ، فجاءه السفير قائلا :

سيدى الصدر !

كان ذهب سفيرنا اليكم ، فاتخذتموه دليلا ، فأخذتم بغـداد . والآن اجعلوا داعيكم دليلا أيضا لعلكم ترغبون فى فتح أصفهان !!

أبدى ذلك للصدر بمقام اللطيفة ، ورجا أن لا يعجل بالسفر الى أن ينتهى الوعد المضروب فيصل جواب الكتاب المرسل . ومن ثم يكون لكم الأمر . تضرع للوزير أن يؤخر حركته . وفى غرة المحرم سنة ١٠٤٩ هـ رحل رستم خان عن درتنك . رجع القهقرى فجاء الخبر بذلك .

وفى اليوم التـالى ٢ المحرم وصـل الى خانقاه الصغير ، وفوضت ايالة بغداد الى (درويش محمد باشا) . وفى ذلك المنزل ورد الخبر أن صارو خان السفير الكبير من جانب الشاه سيصل قرب قصر شيرين الى صحراء (زهاو)[١] . وهناك كان الشاه أثناء حصار بغداد يترقب الحالة . وجاء من رستم خان كتاب يشعر بأنه غادر درتنك امتثالا للامر ، وبين فيه أن صارو خان وكيل الشاه سيوافى قريبا .

السفير الايرانى ـ المعاهدة :

فى ١١ المحرم ورد صارو خان ، جاء الى الفيلق الثانى ، فأرسل لاستقباله من قام بالمهمة ، وأعدت له خيمة خاصة ، وبعد العصر واجه الصدر الاعظم . وجرت بينهما محادثات . وبعد ذلك تكون الديوان العالى ، فألبس ومن معه الخلع . وفى ١٤ منه تم الصلح بعد مفاوضات اجتمع فى خلالها رجال الجيش والامراء فى خيمة الوزير الاعظم ، وحضر صارو خان وكيل الشاه ، والسفير الاول محمد قولى فتفاوضوا فى الامر ، وأوضحوا ان الصلح سيد الاحكام وباعث رفاه الانام .

وكان ما تم عليه الاتفاق بعد أخـذ ورد ومفاوضات كثيرة : أن تكون

---

(١) وردت (رحارا) ، وأحيانا (زحا) . وصوابها (زهاب) أو زهاو .

جسان وبدرة ومندلجين (بندنيج) ودرنه ودرتنك الى سرمل من ايالة بغداد وما بينها من صحار فى حوزة بغداد وكذا ضياءالدينى وهارونى من قبائل الجاف ، وأن تكون القرى التى فى غربى قلعة زنجير للعراق ، وهكذا يعتبر من شهرزور ما كان فى غربى (قلعة ظالم على) وما فوقها من جبال وما كان ناظرا الى هذه القلعة من الاطراف الى الكدوك المار الى شهرزور وكذا قلعة قزلجة وتوابعها، فكل هذه تضبط من جانب الدولة العثمانية. وعدا ذلك فان أخسخة و وان وشهرزور وبغداد والبصرة وما يدخل فيها من بقاع وقلاع ونواح وأراض وجبال وتلال فلا يتعرض بها من جانب الشاه قطعا ، ولا يتدخل بها وهكذا القلاع بين مندلجين الى درتنك ، وبيره ، وزردوى المسماة زمردماوا أيضا وما كان فى شرقى قلعة زنجير من قرى وقلاع ، واورمان وتوابعها ، ومهريان وتوابعها فكل هذه تكون فى تصرف الشاه وضبطه . ومثلها حدودها وتوابعها وما يدخل فيها ولا يتدخل فيها من جانب السلطنة العثمانية ، وزنجير قلعة تقع فى قمة جبل سيكة وما كان فى حدود وان وهى قرتور ، وماكور . وكذا ما كان فى جانب قارص وهو مغازبرد فانها تهدم من الطرفين . والسلام .

هذه المعاهدة صارت أصلا لحل الاختلاف فى الحدود . وكانت الدولتان لم تتقيدا بعهد لكل واحدة منهما آمال . فجاءت هذه المعاهدة حاسمة للنزاع وقطعت آمال كل دولة . فوقفت عند نصوصها . وكل تجاوز وقع بعد هذا كان يحل بالاستناد اليها ، وبمراجعة نصوصها كما أن حدود الدولة أيام السلطان سليمان صارت أصلا فى تكوين هذه المعاهدة .

أرسلت هذه المعاهدة الى الشاه فأمضاها فى ١٩ المحرم وأعطيت نسختها الى محمد قولى بك ليذهب بها الى استانبول لامضائها أيضا . وعلى هذا أجريت ضيافة للسفير الكبير والسفراء الآخرين وفى اليوم التالى أجرى السفير الكبير ضيافة للامراء . ومن ثم ذهب صارو خان الى الشاه ، وبقى فى الفيلق محمد قولى بك ليأخذ المعاهدة الى استانبول للامضاء . وفى اليوم التالى ذهب من صحراء (حورين)[1] .

---

(١) (حورين) كذا ورد . والصواب (هورين) . ولا تزال معروفة بهذا الاسم .

والي بغداد درويش محمد باشا :

عهد الصدر الاعظم اليه بولاية بغداد فى ٢ المحرم سنة ١٠٤٩ هـ مكان كوچك حسن پاشا وعين هذا لمنصب وان الا أنه نقل الى طرابلس ... ونال درويش محمد پاشا الوزارة أيضا فى ١٥ المحرم . وفى ٢١ منه ودع الصدر الاعظم ، وعاد الى بغداد من المعبر المسمى (على كچيدى) من نهر ديالى . ولما وصل الصدر الى ديار بكر جاءته فى ٢٤ صفر برات الوالى . وهذا من حين ذهب الى بغداد ضبط أمورها وجلس على سرير الحكم فى السراى الذى كان بناه بكتاش خان .

عودة الصدر الأعظم :

وفى ٢٥ المحرم عبر الصدر نهر ديالى ، وتوجه نحو كركوك ، وبعث رجب اغا بخبر الصلح . وأنعم على جعفر پاشا (أخى محمد پاشا) بايالة شهرزور وكان والى كركوك آش محمد پاشا قد حصلت شكاوى منه ، فحبس فى القلعة فى ٢ صفر وأذن لجيش مصر بالعودة . وفى ١٠ منه عبر الزاب على جسر من سفن ، ومنحت مملكة سيد خان أمير العمادية الى أحد اولاده . وفى ٢٧ صفر رحل الصدر عن الموصل . وفى اسكى موصل ورد (رجب اغا) وجاء بالخط الهمايونى الشريف مشعرا برضا السلطان بالصلح .

جامع القلعة

يراد بالقلعة (القلعة الداخلية) . ولا تزال معروفة بهذا الاسم . وهذا الجامع داخلها . وكان شاهد هذه القلعة أوليا چلبى فقال :

« فى داخل هذه القلعة بيوت من طين ، وجامع السلطان مراد الا ان بانيه الاول السلطان سليمان » . اهـ (١)

ولا شك أن اوليا چلبى كتب عن أصل هذا الجامع ما سمعه ، ولم يكن صوابا ، فان هذا الجامع بنى أيام دخول السلطان مراد بغداد ، فظن انه من بنائه ، وانه كان من تعمير السلطان سليمان . وجاء التصريح فى الوقفية

---

(١) رحلة أوليا جلبى ج٤ ص ٤١٩ .

المؤرخة ١١ رمضان سنة ١٠٤٨ هـ أن هذا الجامع أنشأه جلال الدين ابن المرحوم بهاءالدين فى محلة السكه‌خانه (دار الضرب) الواقعة فى محلة القلعة. وذكر من حدود الجامع (تكية الملا سعد الدين ابن السيد عبدالجليل الدورى) . وهذه التكية لا تزال ولكنها بحالة دمار .

وبقرب جامع القلعة مرقد عليه قبة يقال له (السيد محمد الزمچى) . وليس لدينا ما يوضح عنه . والوقفية تنطق بالموقوفات منها ما هو داخل القلعة، ومنها ما هو خارج القلعة . وكان القاضى الذى حكم بصحة الوقف (مذكره‌چى زاده مصطفى) . وهو أول قاض بعد فتح السلطان مراد .

ولا تزال تولية الوقف بيد ذرية الواقف ، والمتولى الآن السيد طه ابن السيد شاكر ابن السيد محمود القلعه‌لى ابن رحمة بنت محمد ضياءالدين ابن على بن عبدالرزاق بن عبدالقادر بن بهاءالدين ابن الواقف . والسيد محمود هذا يعرف بالسيد محمود الثانى . خطاط معروف . غير (محمود الثانى) المشهور فى عهد المماليك . أوضحت ذلك بتفصيل فى كتاب (المعاهد الخيرية) ، وفى (تاريخ الخط العربى فى العراق) .

وهذا الجامع انشىء بتاريخ الوقفية ، ولم يكن جامعا آخر كما توهم بعضهم ، أو كما ذكره أوليا چلبى نقلا عمن ليس لهم علم . والملحوظ أن من شهود الوقفية مدرس المستنصرية ابراهيم ، ومدرس مدرسة مرجان أحمد ابن عمر ، ومدرس مدرسة أبى النجيب محمد بن حسين وآخرون .

حوادث سنة ١٠٤٩ هـ — ١٦٣٩ م

نقيب السادات وسادن مشهد الامام الحسين

نقيب سادات بغداد (السيد دراج) كان سادن حضرة الامام الحسين (رض) وكان من الاعيان المشهورين ، وهو صاحب قوة ومكنة ، فلما استولى شاه العجم (الشاه عباس) على بغداد احسن الظن به واعتقد فيه الاعتقاد الجميل ، فرعاه وأكرمه . فكان فى مقام الخدمة . يفكر فى العواقب ، فلم يغفل أمر

العثمانيين . وكان فى ذلك الحين أراد الشاه أن يقتل أهل السنة قتلا عاما ، فتوسط (السيد دراج) فقال له سأختار محبى آل على ، وما عداهم فاقتلهم . وبهذه الوسيلة أنقذ خلقا كثيرا من القتل .

وهذا العمل المشكور كله لم يمنع الوالى من الوقيعة به بعلة انه كان شيعيا معروفا بتشيعه ، فلم يتحمل شهرته ومكانته فاتخذ ذلك وسيلة للقضاء عليه (قتله) ، واستولى على أمواله الوافرة فى حين يدعى أنه (درويش) ، فلم تردعه هذه الخدمة النبيلة ، ولا المكانة المقبولة . أراد هذا الوالى أن يستقل بنفوذ العراق وحده ، وأن تكون بغداد والانحاء العراقية خالصة للدولة العثمانية . وقد جاء ذكر ذلك فى تاريخ نعيما ، وفى فذلكة كاتب چلبى ، وفى خبر صحيح[١] . والآن من بقايا السيد دراج (أسرة نقيب كربلاء) . ومنهم النقيب الحالى صديقنا السيد الفاضل (حسن النقيب) . وهو من الاخيار . وللتفصيل محل آخر .

وفاة السلطان مراد الرابع :

وفى ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هـ توفى السلطان مراد . وكان بعد عودته الى استانبول قد بنى قصرا نفيسا سماه (بغداد كوشكى) أى (قصر بغداد) . بذل فى عمارته وتزييناته الاموال الكثيرة واستخدم أرباب الفن والصنعة . كتب فيه الكتابات الخطية النفيسة من آيات محلولة بالذهب بخط الخطاط الشهير (محمود چلبى الطوبخانه‌لى) . وشغل به كثيرون من أهل المعرفة لتظهر فيه الصنعة والفن من نقش وتذهيب وتزويق ... كتب فيه بالخط الجلى « واذا يرفع ابراهيم القواعد » وغيرها .[٢]

وهذا القصر عاد متفرجا للمتفرجين . ينظرون الى ما فيه من صنعة وريازة . رأيته فى سراى طوپقپو باستانبول معروضا لزوار المتاحف . وهناك (خزانة بغداد كوشكى) . رأيت بعض كتبها النفيسة البالغة النهاية من الصنعة ...

وبهذا تمت حوادث هذا العهد . وغالب ما عولنا عليه من المراجع (تاريخ

(١) خبر صحيح . من كتب التاريخ المهمة المعتبرة يأتى فى حينه .
(٢) تاريخ نعيما ج٣ ص ٤٤٨ .

تعيما) ، و(فذلكة كاتب چلبى) و(گلشن خلفا) و(خلاصة الاثر) وباقى ما أشير اليه أثناء ذكر المصادر فى حينها ...

العشائر

فى هذا العصر لا نرى للعشائر الا ذكرا قليلا لان المقارعات كانت دولية ، والقوى عظيمة بين الحكومتين واستعانتها فى الدرجة الاولى بقوتها ، وفى المملكة لم يتأسس نظام تام لنرى به العلاقة مكينة بين العشائر والحكومة بل ان الحكومة لم تتمكن سلطتها لا على العشائر ولا على غيرها ، وقد مر بنا فى المجلدات السابقة ذكر قبائل عديدة الا أن القبائل التى سمع لها صوت فى هذا العهد أشهرها :

١ - قبيلة طيء :

ان أمراءها (آل أبى ريشة) من فخذ آل مرا .

١) ظاهر : هو أبو مدلج [1] المترجم فى الكواكب السائرة ابن عساف ابن عجل بن نظير بن قدموس كان أمير عرب الشام وهو من فخذ أبى ريشة ، وله قوة خارقة بحيث يمسك الدرهم من الفضة باصبعيه . يفركه فيذهب نقشه ويفتت الحنطة بين اصبعيه . اشتهر بالبطش والقسوة .

ومن عجيب أمره أنه دخل عليه ولده قرموش وهو مريض ليقتله فضربه بسيف فقتله ، وشرب شخص لبنا (حليبا) كان لامرأة فشكته اليه ولما سئل أنكر ذلك وحلف بحياته أنه لم يشرب فطعنه برمح كان بيده فاذا اللبن خارج من جوفه فأمر المرأة بأخذ بعير من ابله بدل ما غصب من لبنها .

مات على فراشه سنة ٩٤٥ هـ . انتهى [2] .

٢) أحمد أمير العرب من آل حيار . وهم ـ كما فى خلاصة الأثر ـ

---

(١) ظاهر هو أبو مدلج ابن عساف أى ان المترجم هو ظاهر بن عساف والا فلا تستقيم العبارة الواردة فى الخلاصة كتب ظاهر بن مدلج والصحيح أبو مدلج . هذا الغلط غير المعنى .

(٢) خلاصة الأثر ج٢ ص ٢٢٢ .

حكام العرب أبا عن جد ...[١] . ومقام هؤلاء فى بلاد سلمية وعانة ، والحديثة . ومن عادتهم ان من استولى منهم على خيمة المال والسلاح يكون حاكما على العرب جميعهم . وذلك أن لهم خيمة من الشعر كبيرة جدا ولها حرس يتناوبون فى اليوم والليلة وكلها صناديق مقفلة بالاقفال الحديدية المحكمة والصناديق مملوءة من الذهب والفضة والجوهر والسلاح وغير ذلك من نفائس الاشياء وكان أحمد استولى عليها . وجاء أنه قتل ظاهرا .

٣) شديد بن أحمد . هذا ولى بعد أبيه . وكان ظالما عنيدا متكبرا ، خسيسا ... ولم يزل حاكما الى أن مات سنة ١٠١٨ هـ . واتفق انه كان فى خيمة فى بعض صحارى حلب ، وكان ابن عمه مدلج بن ظاهر معه فى الخيمة وكان شديد يلعب الشطرنج مع بعض أقاربه ولم يكن عنده من اخوته أحد فاختلس مدلج الفرصة فى خلو الامير فناداه وهو يلعب يا شديد يا شديد فقال نعم فما أتم قوله (نعم) الا ومدلج ضربه بخنجر فى بطنه ، خرج من ظهره فمات .

٤) مدلج . هذا هو قاتل شديد انتقاما لأبيه ظاهر الذى قتله أحمد والد شديد فولد المقتول قتل ولد القاتل . وهذا انتزع الامارة من الامير حسين ابن فياض الحيارى فانعقدت له الامارة . قدم بجماعة من الأمراء فأزاحوا حسينا عن الامارة وعن خزائن والده وحاولوا قتله فهرب ... وانما انعقدت له الامارة لكونه أكبر منه وأقرب الى سلسلة الامارة ولكونه كان شريك والده فى قتل الامير شديد ابن عمهما[٢] . وفى تاريخ نعيما انه كان أمير العربان من مدة مديدة ، وان العشائر البدوية بين بغداد والموصل تحت سلطته وادارته، وكان أيام حافظ أحمد پاشا قد مال الى جانب العجم ، ولما ورد خسرو پاشا لاستخلاص بغداد عزم على الوقيعة به واستئصاله من البين فنكل به وبعشائره وأثناء ذلك سقط من على فرسه فهلك وطلبت قبائله الأمان فأذعنت بالطاعة . سنة ١٠٤٠ هـ .

---

(١) فى تاريخ العراق أن هؤلاء من طىء لا من البرامكة كما فى خلاصة الأثر .
(٢) خلاصة الأثر ج٢ ص ٢٢٢ .

وتصب الوزير أميرا على العربان سعيد بن فياض وكان له شأن في أيامه ...(١)

٥) الأمير حسين بن فياض الحيارى أمير العرب • وهذا كان من أمره أنه لما مات والده ظن أنه ولى عهده فى الامارة فوضع يده على خزائن والده واحتفت به العرب • واذا بابن عمه مدلج قد نازعه فأزاحه عن الامارة •

ثم ان الأمير حسين نزل على بعض الكبراء واستظل بظله حتى أصلح بينه وبين مدلج وجعل له جانبا من الولاية قليلا • ثم وقع فى بغداد ثلج عظيم لم يعهد مثله قبل ذلك ببغداد وحسين هناك ومدلج بعيد عنه فأمن مدلج بسبب ذلك فركب حسين فى الثلج وذهب بعد أيام الى منازل مدلج ونزل خفية حتى يدرك الليل ويدخل الى نسائه • وكانت زوجة مدلج بنت شديد (مر ذكره) تساهر النساء وكان مدلج يدخل ثملا من الخمر فلبس حسين لباس النساء ودخل بينهن وأطال الجلوس مترقبا الفرصة فى قتل ابن عمه وكانت بنت شديد زوجة لوالد حسين فبالفراسة عرفته وتحيرت بين أن تسكت فيقتل زوجها وبين أن تتكلم فيقتل ابن زوجها وان قالت له اهرب تخاف أن يسمع زوجها فقالت فى مؤخر كلامها بمناسبة لا ينبغى المخاطرة فى الامور وينبغى الاحتفاظ على النفس من القتل • فلما علم حسين أنها اطلعت عليه خرج من بين النساء هاربا • ثم وقع فى خاطرها انه ربما يقتل زوجها خارج دارها فصبرت ساعة ثم بعثت لزوجها اننى رأيت بين النساء من يشبه حسين • وما تحققت هذا الأمر فاحتفظ على نفسك فعند ذلك بعث مدلج جماعته فوجدوا حسينا ركب فرسه وانهزم فأتبعه بالعساكر فلم يدركوه •

ثم بعد ذلك كثر أتباع حسين من العرب ووعدته طائفة ممن كانوا عند مدلج أن يتابعوه ويشايعوه فأشار اليه قوم بأن يأخذ من مراد پاشا حاكم حلب عرضا فى الامارة ليتقوى من جانب السلطنة بعد ما قال له بعض العرب (ان الأروام لا وفاء لهم بالعهود) فلم يسمع وجاء الى حلب وقدم الهدايا الى

(١) تاريخ نعيما ج٣ ص ٦٥ •

الباشا ووعده وكتب الوزير الى مدلج يطلب منه خمسة وعشرين الفا ليقتل له حسينا فوعده فغدر مراد باشا بحسين ووضعه فى سجن القلعة حتى جاءه المال فخنقه ثم بعث عسكره لنهب أمواله وجماعته فقاتلوهم فانهزم أتباع مراد باشا وأخذ عرب حسين جميع ما كان بيد جماعة مراد باشا حتى نزعوا ثيابهم وأدخلوهم الى بلاد أريحا حفاة ثم ان الله سلط الوزير الحافظ حتى قتل مراد باشا[(١)] .

٦) خالد العجاج من آل أبى ريشة . كان فى محاربات بغداد بعد أن استولى عليها بكر صوباشى .

وكان غالب سكناه فى انحاء هيت وعانة وما جاور تلك الاطراف . وقد أسس له ارتباطا مع والى بغداد بكتاش خان الحاكم من جانب ايران فنال احتراما لدى العجم ، وله فرس أعطاه للحاكم المشار اليه يسمى عند العرب (كحيلان). ولا يزال هذا الامير حيا الى ما بعد الفتح وقتل سنة ١٠٥٤ هـ ...[(٢)]

وكلمتنا الاخيرة فى هذا الموضوع ان العشائر لم يكن لهم الصوت فيما بين سورية والعراق الا قبيلة طىء فانها حافظت على مكانتها . وظهر فيها أمراء آخرون ولم تنقطع الامارة منهم من أيام الحكومات السالفة ... ولهم فروع متفرقة فى أنحاء عديدة . فصلنا القول فيها فى كتاب (عشائر العراق) .

٢ ـ القشعم :

مر بنا أن هناك قبائل أخرى مثل (غزية) وآل قشعم، وزبيد ولكنها لم تشترك فى الحروب ولم تنتصر لناحية ، ولا تزال العشائر محافظة على أوضاعها السابقة . تخشى الحكومات وتود الابتعاد عنها ...

(والقشعم) من هذه القبائل اكثر ذكرا بين قبائل العراق بعد قبائل طىء . ينطق بها (الجشعم) وهى معروفة .

---

(١) خلاصة الأثر ج٢ ص ١٠٢ .
(٢) نعيما ج٤ ص ٩١ .

٣ ـ الجـاف :

من القبائل الكردية • جـاء ذكرها فى المعاهدة المعقودة أيام السـلطان مراد • اوضحت عنها فى (كتاب عشائر العراق الكردية) •

٤ ـ باجـلان :

وباجوان منهم وذكرتهم فى عشـائر العراق الكردية • وفى كتاب (الكاكائية فى التاريخ) ، وفى رحلة المنشىء البغدادى • أعانوا الدولة العثمانية فى حروب الايرانيين •

وهناك عشائر أخرى عربية وكردية لا محل لذكرها •

امارات عراقية

١ ـ اليـزيدية

ظهروا فى هذا العهد أكثر وبدت أعمالهم ، أو أن المدونات عرفت عنهم أوضح • ويهمنا بيان ما يتعلق بهم فى هـذا العهد • وجل ما نعلمه عن هؤلاء وقائع الصورانيين واستمرارهم فى حروبهم وهذه لم نجد التفصيل الوافى عنها الا انا ذكرنا نتائجها فى أنحاء اربل ، وأنها كانت قاسية جدا • ولعلها السبب فى القضاء عليهم فى تلك الجهات • والباعث المهم فى هذا مناصرة الدولة لهم ، ودخولهم فى السياسة والحروب •

ومن ظواهر هذه المناصرة بل من نتائجها أن عدلت الدولة عنهم ، ومالت الى من هو أقوى منهم أعنى (أمير العمادية) • ومن ثم نجد الصـدود عنهم قد ظهر فى (فتوى شيخ الاسلام أبى السعود) • وهـذه الفتوى جـاء نصـه فى مؤلفات عديدة ، ذكرناها فى (تاريخ اليزيدية) ، وتعد أقدم فتوى للعثمانيين • أصلها كتب باللغة التركية ، وذكرت فى الرسالة الذهبية للخيـاط • نقلها الى اللغة العربية • ولم يعين تاريخها • مع العلم بأن شيخ الاسلام أبا السعود العمادى قد ولى المشيخة سنة ٩٥٢ هـ وان العلاقة بالعراق كانت سـنة ٩٤١ هـ ، بل قبل ذلك كان الاتصال بشمال العراق ، وكان هناك يزيدية ابضـا • ولا شك أنها كتبت بعد ان ولى المشيخة ، ووفاة ابى السعود كانت فى سنة ٩٨٢ هـ •

ولكن المؤرخين لم يذكروا حادثا أدى الى اصدار هـذه الفتوى الا ما وقع بين الصورانيين وبين الداسنية • وكانت هذه من أهم الوقائع قسـا بها كل فريق بالآخر ولعل صدور الفتوى مقرونا بقبيلة الامير الداسنى • ويفهم من فحوى السـئوال أنهم تعرضوا بجيش العثمانيين هاجوا لمـا وقع عليهم وعلى أميرهم فحصلت الدولة هذه الفتوى للوقيعة بهم • وهذا أقوى احتمال فى اصدار هذه الفتوى •

ولما كانت تحوى مطالب ، وعندى نصها التركى فى مخطوطة قديمة ثم نقلت الى اللغة العربية • والتشكيك بها غير صحيح • رجحت أخـذ ترجمتها منقولة الى العربية من (الرسالة الذهبية) للخياط الموصلى •[1] قال :

« ما قول أئمتنا الحنفية ، والشافعية ، والمالكية ، والحنابلة ، وما جوابهم عن عسكر المسلمين ، اذا غزوا هذه الطائفة الطاغية وقتلوها • أو قتل أحد من المسلمين بأيديهم ، هل يكون قاتلهم غازيا ومقتولهم شهيدا • افتونا مأجورين ، مثابين ؟

الجواب : والله أعلم بالصواب ، انهم يكون قاتلهم غازيا ومقتولهم شهيدا• لان قتالهم جهاد أكبر ، وشهادة عظيمة ، وفى هذه الحالة سبب حل قتلهم ، وسبب حل سبى نسـائهم وذراريهم • هـل السبب الموجب لذلك بغيهم ، وخروجهم على سلطان المسلمين واشهارهم السيوف على قتل عساكر المؤمنين ، أو السبب بغضهم لحضرة الامامين الكاملين الهمامين التقيين النقيين الشهيدين النسيبين ، الامام أبى محمد الحسن السـبط والامام أبى عبدالله الحسـين ، سيدى شباب أهل الجنة ، وعداوتهم المقتضية لاستحلال قتلهم وقتل أولادهم من أهل بيت النبوة ، اغاضة لجدهم الرسول عليه الصلوة والسلام ، أو السبب

---

(١) الرسالة الذهبيـة فى الرد على اليزيدية وتسـمى الفريدة السنية فى الكشف عن عقائد اليزيدية تأليف محمد ذخرى بن أحمد الخياط من علماء الموصل كتبت أيام ولاية محمد رؤوف باشا والى بغداد عندما أرسل الى اليزيدية السيد محمد طاهر بك رئيس أركان الجيش ببغـداد سـنة ١٢٨٩ هـ ــ ١٨٧٣ م • وصفناها فى كتاب (تاريخ اليزيدية وأصـل معتقدهم) • فى النسخة المعدة للطبعة الثانية •

فى ذلك بغضهم لحضرة قدوة الأولياء ، مدينة العلم ، الخليفـة الرابع على المرتضى ، ابن عم المصطفى (ص) المقتضى بغضه بغض الله ورسوله ، وتحقير علمه وقرابته من الرسول (ص) ، أو السبب استحلالهم قتل العلماء الفاضلين، أو استحلال قتل المشايخ الكاملين ، وقتل رؤساء الدين المبين ، والاستهتار بكلام الله المجيد ، وبالكتب الشرعية والتفاسير والأحاديث وانكار يوم القيامة والحشر والنشر ، وانكار أركان الدين الخمسة ، أو السبب الموجب لقتلهم اعتقادهم فى عدى بن مسافر الأموى أنه الشريك الأغلب لحضرة رب العزة جل شأنه سبحانه • تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، أو السبب محبتهم التـامة مع الشيطان اللعين ، واعتقادهم فيـه انه طاووس الملائكة مشـاقة لأخبار الله عز وجل ، أو السبب فى وجوب قتلهم قطعهم طريق عبادالله ، واخافة ابناء السبيل بسفك الدماء ، ونهب الأموال على الدوام بلا انقطاع ، أخـذا من قوله عز وجل : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف • الآية ، أو السبب هو اباؤهم عن عقود أنكحتهم من أنفسهم ، وانمـا يفوضون عقودهم الى رأى رئيسهم الفاجر ، أو السبب فى ذلك غير هـذه الوجوه المذكورة ؟ أفتونا الجواب الصحيح تكونوا مأجورين !

الجواب : نعم أسباب حل قتالهم هى جميع الوجوه المذكورة ، وغيرها ، وهم أشد كفرا من الكفار الأصليين ، وقتلهم حلال فى المذاهب الأربعـة وجهادهم أصوب ، وأثوب من العبادات الدينية وتشتيت شـملهم ، وتفريق جموعهم ، والمباشرة فى قتالهم وقتل رؤسائهم من الواجبات الدينية ، وحكام الوقت والولاة الذين يرخصون فى قتلهم ويحرضون على قتالهم ، ويرغبون فى سبيهم • شكر الله سعيهم وأعانهم وساعدهم على مقاصدهم وأيدهم عليهم بنصره العزيز • فلهـم أن يقتلوا رجالهـم ويستأسروا ذريتهم ونساءهم ويبيعوهم فى أسواق المسلمين كأسارى سائر الكفار ، ويحل لهم أيضا التصرف فى أبكارهم وزوجاتهم بعد الاستيلاء بملك اليمين على ما عليـه الفتوى من القول الأقوى ، فتحقق حينئذ كفرهم وجواز لعنهـم ، فأما امتنـاع الامام

الشافعى (رض) عن لعن يزيد لعنه الله فليس بثابت كرواية عنه ولئن سلم بثبوتها عنه ، فامتناعه انما كان لأجل عدم كون ذلك اللعين من عبدة الاوثان ، لا لأجل كونه عنده مؤمنا ، لأن بعض الاولياء المقربين أخذوا عنه الخبر بحسب المعنى من روحه الشريفة ومن مرقده العالى ، وقد أخذوا عنه أيضا فى عالم الرؤيا أخبارا صحيحة فى تجويز اللعن على يزيد • وقد قال الامام النعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفى عليه رحمة الوفى ، فى يزيد : ملعون ! ووقع هذا اللعن منه فى جواب الامام أبى يوسف عليه الرحمة وهذه الطائفة الطاغية ليست من الاثنتين والسبعين فرقة من الفرق الاسلامية بل هم مرتدون عن الاسلام ، خارجون عن الملل كلها ، لأنهم مرتكبون على الدوام الفسوق والفجور ، مبيحون الاعمال القبيحة والخمور ، معتادون قطع السبيل على عباد الله وسفك دمائهم ، وغصب أموالهم ، ومجموعهم من قبيل أولاد الزناء ، وأيضا أجمع علماء الامصار كلهم كعلماء اليمن ، وقره باغ ، وعلماء التاتار فأفتوا بحل قتلهم واسترقاقهم وسبى نسائهم وذريتهم بالتأكيد البليغ ، وبينوا أن قاتلهم ينال ثواب الدارين وداخلا جنة النعيم دخولا أوليا ، صرحوا بذلك حتى مولانا الامام فخرالدين الرازى فى أماكن متعددة من تفسيره الكبير أثبت جواز اللعن على يزيد مستدلا على الجواز بدلائل نقلية وعقلية ، وأثبت حل قتلهم ، وحصول أجر الغزاة لقاتلهم ، وثواب الشهداء لمقتولهم بهذا النظر ، وأثبت حل التصرف بملك اليمين فى أبكارهم وزوجاتهم واباحة أسر نسائهم وذراريهم وجواز بيعهم شرعا • قال ذلك فى تفسير بعض السور القرآنية ، وكذلك الامام أحمد والامام أبو الليث السمرقندى ومولانا عبدالرحمن الجامى أفتوا كلهم بجواز التصرف بهم ، حتى أن مولانا المذكور كتب فى الاباحة المذكورة رسالة فتوى وانى رأيتها عيانا بخطه • ولا سيما مولانا سعدالدين التفتازانى فى شرح عقائده صرح بجواز اللعن على يزيد ، وعلى أنصاره ، وأعوانه ، وكذلك السيد الشريف الجرجانى وأكثر العلماء صرحوا بجواز اللعن على يزيد ، وبالتعجيل على قتالهم من غير امهال ، وعدوا اهمال قتالهم مذموما ، ولا سيما حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلى قدس الله

سره العزيز قد قال فى وعظه الشريف فى بغداد اسـمعوا يا معاشر العلماء والصوفيين ، ان يزيد بن معـاوية ملعون وعمله باطـل ، وأعوانه ضالون ، وأنصاره باغون يدخلون النار معه بأشـياعهم • قال ذلك على منبره خطيبا مصرحا بتحقيق موته على الكفر ، وقال ألا ان أوليـاء الله وأحباءه وصلحى خلقه أعداء هذا اللعين وباغضوه • نقل ذلك القول عنه محققو أصحابه فى كتابه المسمى بالوعظى حتى قال ان قتال هذه الطائفـة الضالة أهم من قتال الكفار الأصليين لسراية أضرارهم للناس حتى يروى عن على كرم الله وجهه انه لما رجع من قتال الخوارج منصورا ، قال أيها الناس ان كل من عادى أولادى وأهل بيتى الطاهرين ، وأهانهم ، فكأنه بغض رسـول الله وأهان الخلفاء الكرام ، وهو عندالله فاجر ملعون ، ومن بعـد فكل من كان مؤمنا موحدا لا ينبغى له أن يتردد فى اهانتهم وقتالهم واستحلال أطفالهم وأموالهم والاهانة لهؤلاء الخذلة اكراما للانبياء والاولياء والخلفاء وتفريج يلحق روحى بعدى ، اذ قلع فسادات هذه الطائفة الضارة عن وجه الارض من الواجبات الشرعية فلأجل ذلك الدافع حررت هـذه الفتوى ، وأثبتها نقلا وشرعا واجتهادا ، وسلمت هذه الفتوى بأيدى أهل الجهاد والتقوى حتى تصل اليهم الغيرة على كتاب الله المبين وتحصل لهـم النخوة على الدين المبين ، ولا أعـلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » اهـ[١] •

تمت فتواه رحمه الله وأرضاه •

هذا والبزيدية فى أيام السلطان سليمان نالوا مكانة كبيرة • تولوا اربل فى أيام أميرهم حسين الداسنى ، وانتزعت الامارة من الصهرانيين بقتل أميرهم عزالدين شير • ومنحت لامير اليزيدية • والصهرانيون لم يهـدأ لهم بال وأصابتهم غوائل حربيـة ووقائع لم تثن عزيمتهم ، فاستمروا فى قتالهـم ، فكانت النتيجة أن تغلبوا على الداسنية (اليزيدية) ، فأمر السلطان بقتل أميرهم (حسين بك الداسنى) •

---

(١) الرسالة الذهبية ص ٦٢ : ٦٨ •

لا يهمنا التعرض لأكثر من هـــذا • وقد بسطنا القول فى (تاريخ اليزيدية) المعد للطبعة الثانية ، وذكرنا وقائعهم عند الكلام على الصهرانيين •

٢ - امـارة أردلان

هذه الامارة تكلمنا عليها فى حوادث شهرزور[١] • وكنا وقفنا بهـا عند ذكر (هلو خان) • وفى وقائع سنة ١٠٢٢ هـ فى الصلح المعقود مع ايران اشترط على الدولة الايرانية أن لا تساعد أمير أردلان فى شهرزور • وفى حوادث سنة ١٠٣٢ هـ جاء أن أمير أردلان (أحمد خان) • وكان فى جهـة ايران فى المخاصمات مع العثمانيين • مال اليهم • وهـذا هو ابن هلو خان أمير شـهرزور •

وعلى كل حال لم تذعن هذه الامارة للعثمانيين بسهولة • وانما ناضلت عن نفسـها ما اسـتطاعت • وفى أثناء المباحث ورد ذكر أمراء آخرين من الاردلانيين الا ان الرياسة كانت بيـد من ذكروا • وورد تصريح أيضا فى معاهدة السلطان مراد فيما يتعلق بحدود العراق وبذكر هذه الامارة • وتتف حوادث العراق عند هذا لما يخص هذا العهد[٢] •

٣ - امـارة الصورانيين

وهذه الامارة وقفنا بها عند قتلة عزالدين شير أميرهم • والآن نتناول ما جرى على هذه الامارة بعد ذلك فأقول :

تقلص ظل هذه الامارة ، ففرت من وجـــه السلطان سليمان ، واختير لامارة اربل حسين بك الداسنى • وهذا جرت فى أيامـــه وقائع أدت الى تدمير طائفته اليزيدية وتقلص ظلهم بما توالى من معارك دامية •

وذلك أن قتلة عزالدين شير أدت الى اقصائهم الى الجبـال • وبعـد حروب قاسية مع اليزيدية تمكنوا من الاستيلاء على اربل • ثم طوى ذكرهم

---

(١) ذكرت فى ص ٦٠ من هذا الكتاب •
(٢) جاء فى عالم آراى عباسى تفصيل لما يتعلق بالاردلانيين •

بعد قتلة الامير سيف‌الدين من السلطان سليمان • ومن ثم عاد ذكرهم وتجدد بصورة عامة ، ولم يعين اسما •

وجل ما يعول عليه فى هذه الحالة الشرفنامه فانها توسعت فى ذكرهم الى أيامها • وتفصيل الخبر أن عزالدين شير كان قتله السلطان سليمان سنة ٩٤١ هـ • وهذا انقطعت به الامارة عن اربل ، ولكن بقيت هذه الامارة عشائرية، وخلف عزالدين شير من خلف ممن سبق ذكرهم فى حوادث السلطان سليمان القانونى(١) •

ثم ان الحكومة أودعت ادارة اربل الى حسين بك الداسنى أمير اليزيدية ، فانتزع السلطة من الصورانيين • وكانوا لم يهدأوا على ما جرى ، ووقعت بينهم حوادث دامية بالوجه المذكور حتى دمروا اليزيدية أيام الامير سيف‌الدين بك • وهذا استولى على اربل(٢) •

وبعد ذلك أودع السلطان امارة اربل الى أمير العمادية حسين بك • وان الامير قلى بك ابن سليمان بك ابن مير سيدى مال مؤخرا الى الدولة العثمانية ، وطلب أن تودع اليه مملكة آبائه الموروثة له ، فلم تأمن الدولة منه ، ومنحته لواء السماوة من أعمال البصرة • وبعد أن صار على اربل أمير العمادية حسين بك تمكن من اعادة الامير قلى بك فجعله أميرا على انحاء حرير من مملكة الصورانيين •

وبهذا أرادت تقريب هؤلاء ، ولم تشأ أن تنفرهم • ووقائع ايران مترقبة فى كل حين • وبوفاته ترك من الاولاد بوداق بك ، وسليمان بك ، فخلفه الاول منهما • وهذا حكم (شقلاوة) وسماها فى الشرفنامه (شقا آباد) • وفى هذه الاثناء حدث ما يكدر الصفو بين الاخوين ، فلم يستطع الامير بوداق مقاومة أخيه ، فاستنصر أمير العمادية • وكان يأمل المساعدة ، فتوفى فى العقر من أعمال العمادية •

---

(١) ذكرت فى ص ٥٧ من هذا الكتاب •
(٢) ذكرت فى ص ٤١ من هذا الكتاب •

ولى الامير سليمان بك مستقلا . وفى أيامه حارب قبيلة زرزا فتغلب عليها كما انتصر على أحد ابناء عمه (قباد بك) سنة ٩٩٨ هـ ، كما كان أظهر بعض الانتصارات على الايرانيين وقدم الغنائم الى السلطان مراد فرضى عنه ، فكان حاكم صوران . وبوفاته خلفه ابنه (على بك) ، وأيدت الدولة امارته بفرمان سلطانى . وبقى حاكم صوران الى ما بعد سنة ١٠٠٥ هـ .[١] ومن آخرهم فى هذا العهد (ميره بك) . كانت حوادثه فى سنة ١٠٣٩ هـ .

دامت هذه الامارة بحالة عشائرية حتى انتهى هذا العهد .

٤ ـ امارة بابان

وهذه الامارة كانت فى نطاق ضيق لم يظهر لها ما يدعو للتدوين من وقائع العراق الا ما كان ذا علاقة بالامارات الاخرى لا بالدولة . وجاء فى الوقائع الاخيرة من هذا العهد ذكر امارات عديدة بأسماء مواطنها ، فلم تكن هذه من بينها ، أو انها أشير اليها باسم مواطن حكمها .

وهذه الامارة كان من آخر أمرائها پير بوداق الببى (البابانى) . وكانت امارة معروفة المكانة بين امارات الكرد ، لكن هذه الامارة انتهت وقضى عليها بانتهاء حكم پير بوداق .

ثم خلفها أعوان الامراء من غير (بيت الامارة) من تلك الانحاء[٢] . وجاءت حوادثها ضئيلة الاثر فى وقائع العراق ولم تقو الا بعد انحسار الاردلانيين . وحينئذ اتصلت بوقائع العراق المتوالية مما يتعلق بالعهود الأخرى .

٥ ـ امارة العمادية

أطاع أمراء الاكراد السلطان سليما ، وان العمادية من جملة الامارات ، وجعل عليها الامير ادريس البدليسى (البتليسى) . وسيطرته عامة . وأن يحصل على عائدات لا أن يتدخل فى الحكم المباشر . وقد تكلمت فى (تاريخ العمادية) على تفصيل الحالة باطراد .

(١) الشرفنامه ص ٣٦٢ .

(٢) كذا ص ٣٦٢ .

ولى الامارة ادريس البدليسى فى أيام (السلطان حسن) • وهذا كان يتولى السلطة الفعلية وترك من الاولاد :

١ ـ السلطان حسين •

٢ ـ سيدى قاسم •

٣ ـ مراد خان •

٤ ـ سليمان •

٥ ـ پير بوداق •

٦ ـ ميرزا محمد •

٧ ـ خان أحمد •

وفى أيام السلطان سليمان القانونى خلفه ابنه السلطان حسين وهذا قام بخدمات عظيمة للدولة ، فزادت فى سلطته ووسعت نطاق حكمه ، فبلغت أيام امارته نحو ثلاثين سنة • حكم اربل بعد القضاء على الداسنية • وفى أيامه عادت حرير للصورانيين •

وتوفى عن أولاده :

١ ـ قباد بك •

٢ ـ بيرام بك •

٣ ـ رستم بك •

٤ ـ خان اسماعيل •

٥ ـ السلطان أبو سعيد •

ولى قباد بك بعد والده أيام السلطان سليم الثانى • وبعد مدة مال اتباعه الى أخيه بيرام بك فخلع من الامارة • ثم عاد ، وبعدها قتل ، فولى الامارة بيرام بك للمرة الثانية الا أن سيدى خان والسلطان أبا سعيد ابنا قباد بك ذهبا الى استانبول يشكون قتل والدهما للسلطان مراد الثالث •

نال بيرام بك الامارة فجاءه المنشور بالامارة من الصدر الاعظم عثمان باشا ولكن سيدى بك ابن قباد بك قدم شكواه للسلطان ثم فوضت اليه الامارة فدخل

العمادية فى أواسط ذى الحجة سنة ٩٩٣ هـ ، وأودع أمر تحقيق الشكوى الى فرهاد باشا ، فألقى القبض على بيرام بك وثبتت ادانته شرعا من جراء قتل قباد بك فحكم عليه بالقصاص سنة ٩٩٤ هـ . ودام سيدى بك فى الامارة مدة طويلة . واشترك فى حوادث بغداد لسنة ١٠٣٩ هـ .

ولما جاء السلطان مراد الرابع الى بغداد كان أمير العمادية (يوسف خان) ابن سيدى خان وهذا لم يشترك فى حرب بغـداد ، ولم يكن من بين المهنئين بالفتح . ومثله (عبدال خان) أمير بتليس (بدليس)، فصدر الامر السلطانى الى ملك أحمد باشا ، للقضاء عليهما ، فتمكن من القبض على أمير العمادية وحبسه فى ديار بكر ، ففرح السلطان بذلك . جاءه الخبر حين النزع ، فدعا للوزير ملك أحمد باشا بالتوفيق . ثم قدم يوسف خان ألف كيس للدولة ، فعفت عنه وأعادته الى امارة العمادية ...

وأما عبدال خان فقد قضى على امارته ، واستولى الترك على خزائنه ونفائسه ذكر ذلك أوليا جلبى (١) .

٦ ـ امارة ابن عليـــان

مر بنا الكلام على حوادثها . فلا مجال للبسط والتفصيل . فان المعلومات عنها قليلة جدا .

٧ ـ امارة آل أفراسياب

هذه الامارة سبق الكلام عليها (٢) . ولم ينقطع خبرها . ولا تزال مستمرة الى ما بعد هذا العهد . فلا نعجل بذكرها .

والحاصل أن الامارات فى العراق عديدة ، وشأنها متفاوت ، وقوتها ومنعتها غير مستقرة ومن أهمها ما كان فى الحدود . وكانت امارة البصرة بيد (راشد ابن مغامس) فقضت عليها الدولة العثمانية . ومثلها امارات عشائرية كثيرة فدامت أمدا أطول مثل العمادية ، واليزيدية . ومنها انقرضت امارتها ... ومنها ما

---

(١) أوليا جلبى ج٤ ص ٤١٣ و١٩٠ .
(٢) راجع ص ١٣٨ من هذا الكتاب .

لا يزال فى بدء التكوين ، أو كانت المعرفة بتسلسل أمرائها ناقصة ... فلا مجال للتفصيل .

الدولة العثمانيـــة
(فى هذا العهد)

استقلت الدولة العثمانية سنة ٦٩٩ هـ وكانت قبيلة ساعدتها الاوضاع لتظهر بمظهر دولة . وكانت تسمى (قبيلة قايى خان) ، وأول سلطان عرف لها فى اعلان دولته السلطان عثمان . وتوالوا حتى أيام السـلطان محمـد (فاتح استانبول) سنة ٨٥٧ هـ – ١٤٥٣ م ، وعلا شأن هذه الدولة أكثر بمن تلا من سلاطين منهم السلطان سليم الياوز . وهذا الاخير عرف باتصاله بايران وبالشام ومصر ، فدمر جيش الصفوية وعلى رأسهم الشاه اسماعيل سنة ٩٢٠ هـ ويقال ان الشاه بقى متألما لهذا الحادث حتى توفى سنة ٩٣٠ هـ[1] . وكان فقد مكانة عظيمة ، واعتراه اليأس ، فلم يستعد قدرته كما ذل أتباعه القزلباش فى الاناضول والبلاد الأخرى[2] .

واكتسح السلطان الشام ومصر وقضى على دولة المماليك سـنة ٩٢٣ هـ ورسخت قدمه فى هذه الاقطار . وفى أيام ابنه السلطان سليمان كانت الصولة على ايران قوية شديدة ففر الشاه طهماسب منه ، وصار يتهرب من مكان الى مكان ، فمضى السلطان الى بغداد فافتتحها سنة ٩٤١ هـ – ١٥٣٤ م ، ودامت فى حكم العثمانيين الى سنة ١٠٣٢ هـ ، فاستولى عليها الشاه عباس الكبير ، فانتزعها منه السلطان مراد الرابع فانقضى هذا العهد باستعادة بغداد من الشاه صفى . وكانت هذه الحرب وسابقاتها دمرت الدولتين ، فطمع الاجانب بهما ، وزادت آمالهم فى اكتساح الشرق ...

قائمـــة السلاطين العثمانيين
(١) قبل الفتح

١ – السلطان عثمان . جلس فى ٤ جمادى الأولى سنة ٦٩٩ هـ – ١٣٠٠ م .

---

(١) مختصر تاريخ ايران : باول هورن ص ٨٦ .
(٢) تكلمنا عن القزالباش أو القزلباشية فى كتاب الكاكائية فى التاريخ .

وتوفى ٢١ شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٦ م ٠

٢ - أورخان ٠ جلس فى يوم وفاة والده ، وتوفى فى رجب سنة ٧٦١ هـ - ١٣٦٠ م ٠

٣ - السلطان مراد خداوند كار ٠ جلس يوم وفاة والده ٠ وتوفى فى ١٥ شعبان أو أوائل رمضان سنة ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م ٠

٤ - السلطان يلدرم بايزيد ٠ جلس يوم وفاة والده ٠ وتوفى فى ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣ م ٠

(فاصلة السلطنة)[١] ٠

٥ - السلطان محمد الچلبى ٠ جلس فى المحرم سنة ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م وتوفى فى ربيع الأول سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م ٠

٦ - السلطان مراد الثانى ٠ جلس يوم وفاة والده وتوفى فى ٥ المحرم سنة ٨٥٥ هـ - ١٤٥١ م[٢] ٠

٧ - السلطان محمد الثانى الفاتح ٠ جلس فى ١٦ المحرم منه وتوفى ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٦ هـ - ١٤٨١ م ٠

٨ - السلطان بايزيد الثانى ٠ جلس يوم ١٠ منه ٠ وتوفى فى ١٠ ربيع الأول أو الآخر سنة ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م ٠

١٠ - السلطان سليم الياوز ٠ جلس يوم وفاة والده وتوفى فى ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م ٠

قائمـــة السـلاطين

(من فتح بغداد)

١ - السلطان سليمان القانونى ٠ جلس يوم وفاة والده ٠ وتوفى ٢٢ صفر سنة ٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م ٠

---

(١) فترة جرت فيها منازعات على السلطنة بين الاخوة الأمير سليمان ومحمد جلبى ، وموسى جلبى ومصطفى جلبى فاستقرت للسلطان محمد جلبى ٠

(٢) فى المحرم سنة ٨٤٧ هـ ترك السلطان مراد أمر الملك لولده ومال الى العبادة الا أن الأعداء اتخذوا ذلك فرصة فأشعلوا نيران الحرب فاضطر للعودة سنة ٨٤٨ هـ ودخل الحروب فانتصر ودام فى السلطنة الى أن توفى ٠

٢ ـ السلطان سليم الثانى • جلس يوم وفاة والده • وتوفى ٢٧ شعبان سنة ٩٨٣ هـ ـ ١٥٧٥ م •

٣ ـ السلطان مراد الثالث • جلس يوم وفاة والده • وتوفى ٨ جمادى الأولى سنة ١٠٠٣ هـ ـ ١٥٩٥ م •

٤ ـ السلطان محمد الثالث فاتح اكرى • جلس يوم وفاة والده • وتوفى ١٢ رجب سنة ١٠١٢ هـ ـ ١٦٠٣ م •

٥ ـ السلطان أحمد الاول • جلس يوم وفاة والده • وتوفى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٠٢٦ هـ ـ ١٦١٧ م •

٦ ـ السلطان مصطفى الأول • جلس يوم وفاة أخيه ، وخلع فى غرة ربيع الأول سنة ١٠٢٨ هـ ـ ١٦١٩ م •

٧ ـ السلطان عثمان الثانى ابن السلطان أحمد • جلس يوم خلع عمه وفى ٨ رجب سنة ١٠٣١ هـ ـ ١٦٢٢ م خلع • وفى ٩ منه توفى •

٨ ـ السلطان مصطفى الأول ثانية • جلس يوم وفاة ابن أخيه وخلع فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٠٣٢ هـ ـ ١٦٢٣ م • وتوفى فى سنة ١٠٤٨ هـ ـ ١٦٣٨ م •

٩ ـ السلطان مراد الرابع فاتح بغداد ابن السلطان أحمد • جلس يوم خلع سابقه • وتوفى ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هـ ـ ١٦٤٠ م •

هؤلاء سلاطين العثمانيين من فتح بغداد الى آخر أيام السلطان مراد الرابع •

التشكيلات الادارية

سارت الادارة من حين دخول العثمانيين بغداد سيرة مطردة الا بعض ما دعا الى تعديل ، أو ما حدث من ثورة أو استقلال •

وهذه الاداة مصغرة من ادارة أصل الدولة ، وكل تبدل فى الأصل يؤدى الى تحول فى الولاية • وأما التقسيمات الادارية فانها تابعة للحالة التى كانت عليها ، وما طرأ من أمور دعت الى تغير فى التقسيمات •••

وتتكون هذه الادارة من أركان عديدة أهمها :

١ ـ الولايــة

يقوم (پاشا) بادارتها . ويغلب عليه لقب (وزير) . ولكل وال (كتخدا) أو (كهية) وهو بمنزلة (معاون) له . وفى الاكثر يتولى الادارة باسم الوالى .

تكلمنا على الولاة فلا نعيد القول . وينيب الوالى من يقوم مقامه عند الذهاب الى الحروب ، فيسمى (قائممقام الوالى) كما ان الذى يتقدم الوالى لاستلام المنصب يسمى (متسلما) ، وكذا يطلق هذا على المتصرف ...

فنكتفى هنا بالاشارة والولاية لها السلطة على جميع الفروع ، وتتكون تشكيلاتها من الكهية أو الكتخدا ،[١] وهو معاون الوالى وردؤه . كان يأتى معه ويعزل بعزله فاذا سخط الاهلون من عمل من اعماله ورأى الوالى خطرا عدل وخفف من الشدة ، فلم يقطع أملا ولا يجعل الامر حتما ... ومن رئيس الكتاب ، وأقلام المالية ، وأقلام التحرير ، وقد جمع الديوان الخطاطين البارعين ، والمنشئين الماهرين ، وأرباب المواهب المختارة .

وكتاب الديوان لهم التفوق فى التحرير ، والمعرفة الماليــة ، وفى أنواع الخطوط مما يبهر فى اتقان الصنعة ، وهم مزودون بكفاءة علمية وأدبية فائقة . وهناك (كاتب الفارسية) ، و(كاتب العربية) . وكلها تابعة لرياسة الديوان . ويقال له (ديوان أفنديسى) .

هذا وأسماء ولاة بغداد مرت واما ولاة الموصل والبصرة وسائر الايالات الاخرى فاننا لا نعرف الا بعضهم فى غالب الاحوال .

٢ ـ ماليــة العراق

اننا بكل صعوبــة تمكنا من تدوين بعض الحوادث ، وبيان الاوضـــاع السياسية وغيرها فمن العسر جدا أن ندون عن مالية العراق فى عهد انقطعت

---

(١) ويقال كدخدا ، وكخوه أو جخوه . ومعناه فى اللغة الفارسـية الكبير القدر ، المقدم بين الناس . وعندنا قديما عرف بـ (الكيا) والكيا الهراسى من العلماء . وذكر فى ابن خلكان . وهذا يعين المصطلح فى الادارة . وفى حقائق الدقائق لابن كمال باشا وبرهان قاطع ما يوضح أصـله ومعناه . وفى مجموعة عمر رمضان غلط التصرف بلفظ كتخدا . وهذا غير صواب منه .

عنا فيه الوسائل ، وفقدت الوثائق لاسيما فى موضوع الامور المالية وجل ما تيسر معرفته أن ندرك بعض الحالات المالية ، والموظفين الماليين • ونعلم شيئا عن النقود والضرائب فتحصل لنا المعرفة الاجمالية ، أو الوقوف نوعا على ما هنالك لا بوجه الاستقصاء ، وجل الوثائق لا تفى بالغرض ، ولا تؤدى الحاجة •

التمسنا المعرفة من طريق الضرائب المفروضة ، ومن بعض الفرامين ، ومن قوانين آل عثمان مما يتعلق بأصل الدولة ، ومن ترتيب الدولة فى الامور الماليه ، ومن ذلك الدفتريون ، ونوع الضرائب والنقود ، ومن العلاقات الدولية والعهود والروابط الاقتصادية •

ومن أكبر ما هنالك وضع العراق المالى فى ثروته الطبيعية ، وفى علاقته بايران وجزيرة العرب ، وما يرتبط به القوم من علاقات بحرية واتصالات بالهند ، والبلدان القريبة والنائية • فمثل هذه لا تنكر حالاتها ، ولا تهمل قيمة الاوضاع الحاصلة بسبب دولة البرتغال ، وما ولدت من خلل مالى ، وانقطاع الروابط بالهند من جراء الاخلال بما كان مألوفا •

وتصعب جدا المعرفة التاريخية المطردة ، وانما الوقائع فى جميع العصور تنبه الى الحاجة ، وتميط اللثام عن وجه الغرض ، وتعين الوضع بأجلى مظاهره ، بل ان الحروب العظمى الاخيرة قد كشفت عن ماهية العلائق ، وأوضحت ما للعراق من مكانة مالية ، وما عليه من أوضاع متصلة ، فندرك حصار المغول الاقتصادى ابان الحروب المتطاولة ، وأيام الانقياد لهم وفتح الطريق ، وما تولد من ذلك ، كما شوهد مع البرتغال ، وكذا العلاقات الاقتصادية بالمجاورين وبالهند ، ومثلها بالشام وبالحجاز ، وبايران والترك وما وراء ذلك •

لا شك أن الحالة الطبيعية ، والوضع الجغرافى فى العراق جعل الصلات المالية مقرونة باقطار عديدة لا تدع ريبا فى مكانتها وأهميتها الاقتصادية ، وحالتها التى كانت عليها ، وما فيها من أقوام متنوعى الرغبات ، موصولى التاريخ لا انفكاك للواحد عن الآخر •

وكل هذا يؤدى الى بعض الانكشاف ، ويوضح بعض الايضاح ،

فنعرف المعرفة العامة ، ولولا التاريخ فى وقائعه الكبرى لما استطعنا هـــذه المعرفة .

ومن المهم أن نعرف الخصائص الخاصة ، والحوادث لهــذا العهد ، لنتمكن أكثر ، وننال حظنا من الوقوف على ماليتنا أكثر باستنطاق تلك الوسائل ، فنعرف المناصب المالية ، والضرائب ، والنقود ... وبذلك ما يفسر أكثر ، ويؤدى الى هذه المعرفة .

ومن الصواب أن لا نقف عند معرفة مالية العراق وعلاقتها بالسلم والحرب وانما يهمنا أكثر أن نعرف (مالية الدولة العراقية) ، وعلاقتها بأصل الحكومة العثمانية ، وطريق ادارتها ، وتشكيلاتها المالية ... فان هذا يهمنا كثيرا ، وجل ما نقوله فى هذا الباب النشاط لاول الامر ، وأثر الفتح ثم اختلال الحالة فى أصل الدولة ، واضطراب المالية عندنا تبعا لها وما الى ذلك من أوضاع وظواهر قطعية .

ومن ثم نجد الضرورة ماسة الى معرفة مالية أصل الدولة العثمانيــة ، ومالية العراق من جراء تلك الصلة الا أننا يؤسفنا أن ما تمكنا من تدوينه قليل ، يكاد يعد تافها بالنظر للقطر العراقى العظيم فى تطوراته ، وربما كان ظهور الثورات والمنازعات أو المشادات بين بغداد والدولة العثمانية يعد من أجل ظواهر تلك الدولة وعلاقاتها بأصل الدولة . وهذا لا شك فيه ولا ريب .

وما كتب فى أصل مالية الدولة من مثل (آصفنامه)، و(قانونامهٔ آل‌عثمان)، وما جاء فى التواريخ العثمانية من حوادث كثيرة ، وما ذيلت مؤخرا به تلك القوانين مثل (قانونامهٔ عثمانى) لمؤذن زاده المعروف بـ (عينى على) ، و(قوانين أبى السعود) و(قوانين آل عثمان درمضامين دفتر ديوان) ، ورسالة قوچى بك ، ودستور العمل لاصلاح الخلل ، ونصائح الوزراء والامراء ... كل هــذه وأمثالها مما يعين الحالة ، والشكوى فى آخر العهد تدل على ما عليه الحالة من

خلل فى المالية ••• وان هذا الأمر سرى مفعوله الى العراق فلم ينج منه ••• وعمت البلوى بما كان ينسب الى الموظفين من الارتشاء ، فكانت البلية أكبر •••

١ ـ الدفتريون :

من أجل المناصب المالية فى العراق منصب الدفترية ، أكبر منصب فى المالية ، فاذا كان عندنا اليوم وزير المالية ، ومدير المالية العام ، فان الدولة كان لها هذا المنصب ويعد بمنزلة وزارة المالية ، وعندنا الدفتريون بمكانة أقل نوعا من دفترى الدولة فى عاصمتها ، ولكنه لا يختلف عنه فى مهمة الايالة مثل بغداد ، وان التشكيلات المالية هنا مصغرة من تلك بلا كبير فرق •••

وان الدفتريين كانوا مجهزين بأكمل المعرفة ، والاطلاع القانونى ، والثقافة البالغة حدها ، والاطلاع المكين على المعتاد المالى للدولة ، وربما فاق منهم كثيرون فى مختلف الآداب وولدوا نهضة فى مملكتهم ، وغالب هؤلاء من متخرجى ديوان المالية ، وكلهم عارف بما هنالك من تعاملات محلية لكل قطر ودراسة عملية ••• فجاءت هذه الأعمال تابعة لنهج مالى ، ولفرامين قطعية ، وحقوق شرعية فى الضرائب ، وقوانين آل عثمان ، فلا يتجاوزونها مراعين المعاهدات الدولية فى العلاقات الخارجية •

وكل هذه تعين مهمتهم ، وتبين وضعهم ، وتجعلهم فى غنى عن معرفة أخرى ، ولا ريب أن ذكر جملة من هؤلاء مما يؤدى الى الاطلاع على سيرتهم، وانهم كانوا مالكين زمام الأمور ، وان النقص فى بعضهم غير مؤثر فى أصل المنصب وقيام أصحابه بما توحيه الكفاءة ، ويلهمه العمل •••

وهذا المنصب من أصل تشكيلات الدولة العثمانية والا فان التشكيلات المالية عندنا تابعة رأسا للوزير ، وان رجال الديوان ـ القسم المالى ـ يقومون بها ، ويؤدون واجبها ، ويعينون الأعمال ، وينظمون الادارة المالية • والاصل فى هذه المعرفة كفاءة الوزير ، وفى الغالب يكون من رجال الديوان ، أو أنه يعول على من يقوم بالمهمة ممن اكتسب من التعامل ، ومن المعرفة والثقافة المالية ، والاطلاع على الاحكام الشرعية وقد جهز بكفـــاءة وقدرة لا مزيد

عليهما بل ان هذه المعرفة تكشف للمرء الطريق وتبصره بما لم يكن يعلم . ولا شك أن الهام العمل مقرونا بالعلم يفتح ما يزيد في اتقان العمل بل يؤدي الى علم جديد ...

وهؤلاء أشهر الدفتريين :

١ ــ عالى افندى الدفترى . وسماه روحى البغدادى (عالى بك) .

٢ ــ سليمان افندى الدفترى وكان شاعرا وأديبا .

٣ ــ محمد بك من غلمان السلطان سليمان . عين دفترى تيمار ولقب (فيضى) . وعرف بالنظم والنثر .

٤ ــ أحمد أفندى ابن محيطى افندى . عين دفتريا لبغداد سنة ٩٩٦ هـ ، وشعره معروف بغزله ، ومقطوعاته جميلة ورقيقة وكان ممن توطن بغداد .

٥ ــ حسن بك الدفترى . ولروحى البغدادى قصيدة فى رثائه .

ومرت الاشارة الى ذكرهم فى الحوادث أو المباحث المذكورة فى صلب هذا الكتاب . وهؤلاء لم نتمكن من تواريخهم جميعهم بالضبط ، ولا أدركنا أوضاعهم ، وقل من عرفنا التفصيل عن حياته مثل ما عرفنا عن عالى افندى الا أننا علمنا من نتف حياتهم بعض ما يظهر لنا القدرة والكفاءة والمعرفة الكاملة فى العلوم والآداب ، فاذا كان الديوان قد دربهم الى المعاملات، وما كان يجرى فى الدولة ، فانهم هذبوا انفسهم بشتى المعارف ، وجهزوا القدرة العملية بالمعرفة العلمية والأدبية ، فنفعوا ، ووضعوا أسسا مالية قويمة فسارت الدولة على نهج مطرد ، وضبطوا تعامل كل قطر ، وما درج عليه من خطة ... وكان نصيب العراق منهم وافرا ...

ويهمنا أن نشير الى أن العراق ، وأخص ايالة بغداد قد اكتسبت مكانة فى التشكيلات المالية كما فى التشكيلات الادارية ، فكان يوجه منصب الدفترية فى بغداد الى أكابر رجال الدولة المعروفين فى مهمتهم ، فيقومون بالغرض أجل قيام ، وكانت أوضاعهم محدودة نوعا ، فلا يستطيعون التصرف بالمالية

كيف شاؤوا أو اختاروا ، فقد مشت مالية العراق على اطراد أشبه بالمألوف من القوانين .

٢ ـ الفرامين :

وهذه تعين سيرة الدولة فى الامور المالية ، أو المعاهدات المرعيـة فى الضرائب الكمركية ، أو التعامل المحلى ، وهكذا ، وفى العراق جرت بعض هذه الفرامين ، وسارت على خطة مقبولة ، ونهج صحيح . ومثل هـذه المنقولات فى الضرائب ، وسائر المعاملات .

ومن أقدم ما وصل الينا من الفرامين ما يبين الحالة الماليـة فى بعض صفحاتها ، وجاءت هذه مؤيدة خصوصيتها فى العراق ، وتدعو للالتفات من جراء أنها تتعلق بماليته ...

١) الفرمان المؤرخ فى سنة ٩٥٩ هـ ـ ١٥٥١ م . كان قد أصدر الى والى البصرة قبل حرب البرتغال أيام سيدى على . وكان العراق آنئـذ متصلا بالهند فى تجارة معتادة جارية على سنن مطرد ، فأراد البرتغال أن يحولوا الوضع اليهم ، وان تكون التجارة الخارجية على يدهم ...

٢) الفرمان المؤرخ فى سنة ٩٨٢ هـ ـ ١٥٧٤ م . وهذا لا يختلف عن سابقه ، فيكادان يتفقان فى مضمونهما .

وهذه الفرامين لم تفرق بين الضرائب الخارجية والداخلية ، وعينت مقدار الضريبة وما يجب أن يستوفى . وكل ما فى ذلك بيان وتفصيل لمـا يؤخذ على الأموال التجارية داخلا وخارجا ... وفيـه ما يعين الفروق أيام العباسيين وأيام الدولة العثمانية . وأشارت الفرامين الى أن المأخوذ قديما كان واحدا من اثنى عشر فصار يؤخذ ٥ ./. وفى بعضها مثل الجوخ كان يؤخذ عنه ٢٠ ./. فصار يستوفى واحـد من خمسـة عشر والأمتعـة الأخرى يؤخـذ عنهـا ٥ ./. كمـا انه يؤخـذ من عينياتهـا ١ ./. باسم (غلمانية) . والرسوم والضرائب لم تكن قاسية ، قربتهـا الدولة من

الأحكام الشرعية ، وتسهيل أمر الأموال ودخولها المملكة برسوم كمركية قليلة تشويقا لأصحابها ليأتوا بالبضائع ...

وعلى كل حال اذا كانت رسوم الدولة معروفة فى الوثائق المارة ، فلا شك أن هذه الفرامين قد عينت بوضوح ما كان يؤخذ من ضرائب عن الأموال التجارية كما أن المعاهدات من تاريخ فتح بغداد سنة ٩٤١ هـ – ١٥٣٥ م الى سنة ١٠٣٣ هـ – ١٦٢٤ م قد أوضحت ما جرت عليه الدولة فى علاقاتها التجارية .

والضرائب الأخرى لم يختلف المعتاد فيها عن النهج الشرعى ، وان التبدل قد يحدث ولكنه لا يمضى زمن حتى يعود الى حالته الشرعية فى موارد الحكومة فى العراق ... وجل ما نعلمه ان مقرر الضرائب بوجه عام لا يختلف عما فى أصل الدولة ، أو التعامل الجارى ، أو المعاهدات الدولية المعقودة مما لا مجال لبسط القول فيها هنا .

٣ – الضرائب :

وهذه يصعب تحديدها من كل وجه ، وان (الضرائب التجارية) قد مرت الاشارة اليها فى نصوص الفرامين ، وأما الضرائب الاخرى فهى على المعتاد فى ضرائب المغروسات ، وضرائب الزروع ، وضرائب الحيوانات وتسمى (الكودة) وضرائب الرؤوس (الجزية) ... وان (كتب الفقه) بوجه عام ، والوثائق والقوانين العثمانية تعين طريقة الأخذ وهكذا نهج الموظفين القائمين بأمرها ... فهى شرعية أكثر منها حكومية خاصة دون أن يتطرق اليها الخلل ... أوضحنا ذلك فى (الضرائب وتاريخها) فى رسالة خاصة[١] .

٤ – ممتلكات الدولة :

وهذه تظهر أكثر فى الاراضى الاميرية ، وفى الأموال الاخرى من

(١) ضرائب الاموال التجارية ذكرتها فى مجلة غرفة التجارة . وكمرك بغداد ووثائق تتعلق به للاستاذ يعقوب سركيس . كما انه نشرها فى (رسالة خاصة) .

غنائم وغيرها ... وفى هذه قوانين وحالات مقررة قبـــل أن ينشر قانون الاراضى .

٥ ـ النقـــود :

وهذه تعتبر كميزان لمعرفة مالية الدولة ، وكانت النقود فى العراق قد تأثرت بمختلف الدول التى تناوبته ، وأثر الماليـة ظاهر فى النقود بصورة قطعية ، ولكن بوجه تقريبى لا يحتمل أن يختلف عن الأمر الصحيح المتعين .

والدولة تأثرت بالفتح ومنهـا تتبين علاقاتنـا الاقتصادية ، وتتوضح أوضاعنا من وجوهها الاخرى كما ان العراق تأثر بنقود المجاورين ، والدول المتصلة بنا من طريق البحر ، فالصلات بادية ...

ومن ثم يتجلى لنـا فى النقود ثلاث ظواهر نقودنا ، ونقود الدولة العثمانية ، والنقود الاجنبية فكل هذه تعين الصلات ، وبالتعبير الأولى تدل على العلاقات الاقتصادية والمالية بالعراق وتؤكد ماليته ولو بطريق التقريب .

والنقود العراقية فى هذا العهد (الدينار البغدادى) عثر على المضروب منه سنة ٩٥٠ هـ ، و٩٥٨ هـ وسنة ٩٦٠ هـ فى بغداد والموصل أيام السلطان سليمان . وهكذا فى أيام السلطان سليم الثانى . ومثله أيام السـلطان مراد الثالث سنة ٩٨٢ هـ ببغداد ، وبالموصل وفى عهـد السـلطان محمد الثالث سنة ١٠٠٣ هـ ، والسلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٥ هـ وسنة ١٠٤٣ هـ فى الحلة وبغداد . و (الدرهم البغدادى) فى مختلف أيام السلاطين لهذا العهد ، و(الفلوس البغدادية) وهذه لم نعثر على نماذج منها واضحة .

ونقود الدولة العثمانية (الشاهية السليمانية) من ذهب ، والآقچـــة العثمانية ، أو العثمانى أو الدرهم العثمانى ، والفلوس العثمانية . و(الهشتى) وهو ثمن الآقچة . شاع البغدادى للدرهم ، والعثمانى للآقچة العثمانية او الدرهم العثمانى .

وأما النقود الاجنبية فالايرانية منها (الدينار العباسى) . و (العباسية) الايرانية من فضة . والعباسية من الفلوس النحاسية ... و (الفلورى) أصله أجنبى .

ولا أطيل القول فان الدولة فى النقود تستوفى ضريبة غير مباشرة ، وفيها تدمج السياسة ، ويظهر شعار الدولة وقد بسطت البحث فى (كتاب النقود العراقية لما بعد العهد العباسى) الا أنى أقول هنا لم يبق تعامل فى النقود القديمة وقد شاعت نقود العراق من ضربه ، ونقود الدولة ، وكذا النقود التى دعت اليها الحالة الاقتصادية للتعامل .

وهنا لا أمض دون بيان عن النقود المضروبة سنة ٩٢٦ هـ أيام السلطان سليمان القانونى ، فهذه كانت ضربت أيام ذى الفقار . استعان بالدولة العثمانية بعد أن ثار على الشاه طهماسب سنة ٩٣٤ هـ ، ودامت حكومته فى بغداد الى سنة ٩٣٦ هـ ، ثم استردها منه الشاه طهماسب . وضربها فى التاريخ المذكور للدلالة على جلوس السلطان .

ودار الضرب وتسمى (السكه‌خانه) فى هذا العهد كانت فى القلعة كما يفهم من وقفية جامع القلعة . والظاهر أن محلها لم يتغير لما قبل هذا التاريخ . وفى أيام المماليك عرفنا أن دار الضرب صارت بقرب خان مرجان فى سوق السكه خانه . ثم اندثرت دار الضرب .

٣ ـ القضاء فى العراق

١ ـ القضاء بوجه عام :

القضاء فى المملكة يعين أن السيرة جارية على شريعة أو ما نسميه (قانونا) . فلم تكن الامور تابعة للاهواء . والقضاة تابعون للقضاء الآلهى ، ولم يختلف فى الازمان وتطورها الا بقدر ما يعرض للفكر البشرى من تطور فى التفسير الفقهى وهذا قليل جدا .

والعهد العثمانى لم يختلف فيه القضاء عما كان عليه فى الاقطار الاسلامية جمعاء ، وان المؤلفات الفقهية من متون وشروح وحواش ، وفتاوى ، وصكوك وأحكام متماثلة ... تعد المرجع للكل ، وان التشكيلات القضائية من استخدام حاكم منفرد جارية فى كل الاقطار لقلة الحكام الذين يحملون فكرة حقوقية ناضجة ، والتسجيل وتنظيم الاعلامات والحجج سار

على طريقة مطردة ، وسنن واحد ، وان القـدرة تابعة للمعرفة والمواهب فى التصرف والتوجيه الشرعى مما أيد مكانة القضاء ولم يضطرب أمره • فتعين الغرض الفقهى ، ويصح أن يستـخدم القاضى فى مختلف الاقطار دون أن يرى صعوبة فى تطبيق الشرع • ووقع ذلك فعلا •

وعندنا الفقهاء فى مخلداتهم قاموا بأمر التوجيه ، وأعدوا المادة الفقهية للقضاة ، وعملهم تطبيقى وتعيين للاحكام فى الوقائع النازلة ، والقضايا الخاصة ، ويستعين القضاء أحيانا بالمفتين للتبصر بالرأى ، والتمكن من الاستدلال الفقهى •

والعهد العثمانى التزم مذهبا بعينه وهو مذهب أبى حنيفة ، وكان الشائع فى العراق ولا يزال (المذهب الشافعى) وقبله كان الصوت للمذهب الحنبلى ، وهذا لا يخلو من اعتلال ، وان كان الفقه سار سيرة قانونية ، وأدى واجبا ثابتا لا يتزعزع ، ولا يعتريه أى خلل فى نهجـه وفى معلومية أحكامه • فالقضاء ارتكز على هذا الاصل الفقهى ، وان (المشيخة الاسلامية) ، و(دار الفتوى) قد سيطرتا على الحالة ، فلم تدعا مجالا للتشويش فمضى الفقه والقضاء على حالة تطبيقية فى مراعاة نهج قطعى لا يتغير •

والدولة العثمانية رأت المدارس الكثيرة فى بغداد ، وفى الشام ، وفى مصر فانبهرت بمقايسها لتمكين الفقه ، وتقوية القضاء • فبذلت فى هـذا السبيل ما أمكن من قدرة ، وحاولت التفوق بالسلاح العلمى وسارت سيرة موفقة ، فأسست المدارس ، وشـيدت صروح العلم ، فلم تمض مدة حتى تمكنت من ناصية العلوم ، وظهرت بمظهر العظمة • وهكذا لم يعوز الدولة • وكانت الكل فى الكل فى ادارة الثقافة فسهلت طريق (خزائن الكتب) ، فبدأ السلاطين بالوقف ، وبجعلها عامة ، ومالت الرغبة اليها ، فلم تمض مدة حتى اقتنت آثارا لا تحصى ، ولم تكتف بالمدارس وحدها فتكاملت العلوم جمعاء ، فنهجت فى الفقه نهجا صالحا مقبولا ، وان التجارب جعلتها تستقر على مؤلفات معتبرة فى الفتاوى لتأمين السيطرة القضائية ، وان لا يركن القضاة الى الميول

النفسية ، فقبلت الفتاوى المعتبرة لاكابر الفقهاء ، ولم تترك الأمر الى القاضى بلا قيد ولا شرط ، فيرجح القول الضعيف باقترانه بحكم الحاكم .

ويخطأ من يظن أن القضاء لم ينل عناية أو رعاية من العثمانيين لما رأينا مؤخرا من انحلال . فهذا الانحلال لم يقتصر على ضرب من ضروب الادارة ، بل لم يسلم منه القضاء . ومن أهم العوامل الحروب الخارجية والفتن الداخلية . فالداء كان عاما شاملا فى اضطراب جسم الدولة . وفى أول الامر أى فى بدء الفتح العثمانى للعراق لم تكن الحالة كذلك ، فقد سيطرت مؤخرا المشيخة الاسلامية ، ودار الفتوى على المرافق العلمية والفقهية ومن أجل أركانها المدارس والقضاء ...

٢ - القضاء فى بغداد :

هذه مكانة القضاء فى المملكة العثمانية . كانت احتفظت به الدولة وصارت تنصب القضاة فى بغداد ولو كان فيها من الفقهاء الأكابر من يصلح الا أن سياستها كانت تدعو الى ذلك . ولعل فى هذا وفى الدفترين ما يعين لها الحالة لأخذ المعلومات ، والانتباه الى الحوادث بعناية زائدة ، كما احتفظ العراق بالافتاء فى أكثر الاحيان ، وكانت تختار لقضاء بغداد قضاة متميزين فى العلوم معروفين فى الفقه والعلوم الاسلامية ، فيعدون من الصنف الأرقى ، وعلاقة القضاء بالسياسة كبيرة جدا ، فلا تريد أن تجلب الدولة النقمة عليها من علماء بغداد بحرمانهم من جميع المرافق العلمية ، ورجال الافتاء عندهم كثيرون وصلاح الدولة مرتبط بجميع نواحيه فلم تتهاون فى أمر من أمورها .

وهؤلاء القضاة كانت سلطتهم واسعة فى الامور العلمية . وفى أول الأمر بهرتهم المدارس وتوجيهها ، والأوقاف وحسن ادارتها واستقرارها ، والاوضاع العلمية وحالاتها ... فاقتبسوا ما كان ، وأصلحوا ما عندهم ، ورعوا الأوقاف والمدارس حق رعايتها ، ونهجوا بالعلوم والآداب النهج المشهود ، فنقلوا غالب ما وجدوا ضرورة لنقله ، واقتبسوا وخدموا العلوم والآداب ، وصاروا يبذلون الغالى والرخيص فى سبيل الحصول على ما يرفع المستوى العلمى

والفقهى عندهم ، وتجمعت الثقافة فى عاصمة الدولة ، ولم تمض مدة حتى بلغت مكانة مقبولة ، فظهر من القضاة جماعة توالى ورودهم بغداد ، وتكاثر عددهم بتوالى الحكم وامتداده • ويهمنا من كان فى العاصمة ويعدون من أصحاب الدرجة الأولى فى المقدرة ويختارونهم ممن عرف بالعلم الوافر من أهل الكمال • وكانت ادارة المدارس بأيديهم أيضا •

ومن المؤسف اننا لم نتمكن من معرفة قائمة كاملة فى القضاة ولا الوقوف على كثيرين منهم وقوفا علميا ••• ولكن معرفة المدارس فى أصل الدولة والاهتمام بمتخرجيها وظهور جماعة منهم مما يجعلنا نقطع فى المعرفة • ونعين الضعف ومبدأه فينا •

وممن عرف بالقضاء فى بغداد :

١ ـ كان أول قاض ببغداد (المولى مصلح‌الدين مصطفى النيكسارى) مدرس مغنيسا[١] •وأعيد لقضائها سنة ٩٤٧ هـ وعزل سنة ٩٥٤ هـ وتوفى سنة ٩٦٩ هـ[٢]

٢ ـ منلا كمال چلبى • وكان عالما فاضلا حميد الخصال توفى ببغداد[٣] •

٣ ـ أمين زاده كوسه‌سى منلا يحيى • ولى قضاء بغداد • ثم ولى تدريس دار الحديث باستانبول وصار مدرس السلطان • وكان فاضلا كاملا[٤] •

كان هؤلاء القضاة فى أيام السلطان سليمان القانونى • وهكذا توالوا •••

٤ ـ السيد محمد قاضى بغداد • ذكره فضولى البغدادى الشاعر فى ديوانه •

٥ ـ توقيعى زاده لطف‌الله بن أبى الفتوح القاضى ببغداد • وفى أيامه أصدر وقفية السيد الشيخ شمس‌الدين الكيلانى سنة ٩٥٥ هـ •

---

(١) تاريخ روضة الابرار ص ٤٢٥ •
(٢) سجل عثمانى ج٤ ص ٤٥٢ •
(٣) مرآة كائنات ج٢ ص ١٣٣ •
(٤) مرآة كائنات ج٢ ص ١٣٣ •

٦ ـ الشيخ عبدالله بن محمد أمين توقيعى زاده القاضى ببغداد . وفى أيامه سجلت فى ١٥ رجب سنة ٩٧٨ هـ وقفية السيد الشيخ زين‌الدين ابن السيد الشيخ شرف‌الدين القادرى المتولى على أوقاف الحضرة القادرية .

٧ ـ يوسف القاضى . ولى قضاء بغداد . كان فى أيام السلطان سليمان القانونى وتوفى فى عهده(١) .

٨ ـ القاضى دولگرزاده محمد . ولى قضاء بغداد فى ربيع الآخر سنة ٩٦٩ هـ وفى المحرم من سنة ٩٧٤ هـ أحيل للتقاعد . وتوفى سنة ٩٧٧ هـ . وهو عالم وشاعر بالتركية والعربية . وخطاط أيضا .

٩ ـ ميرزا مخدوم . ولى قضاء بغداد وافتاءه ، والتدريس فى مدرسة مرجان وألف كتاب النواقض فى بغداد أيام قضائه سنة ٩٨٧ هـ . وهو فى رد الشيعة . وظهرت ردود عليه جاء ذكرها فى خزانة المشهد الرضوى برقم ٨٩١ و١٠٠٣ وجاء بعضها فى كتاب الفوائد الرضوية عند الكلام على عبدالعالى الكركى . وأصل اسم هـذا القاضى معين‌الدين أشـرف الحسنى الحسينى . ويرجع نسبه الى السيد الشريف الجرجانى . وتوفى سنة ٩٩٥ ، أو ٩٨٨ وهو شيرازى حنفى(٢) .

١٠ ـ محمد بن على المعرورف بـ (ابن السپاهى) أو (سپاهى زاده) . أصله من بروسة ، صار فى موطنه مدرسا ، وفى سنة ٩٩٢ هـ ولى قضاء بغداد ، وتوفى سنة ٩٩٧ هـ فى أزمير . ويعد من القضاة المعروفين ، متقنا للغات العربية والتركية والفارسية ، وله قدرة على النظم .

ومن أهم مؤلفاته :

١) أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك . أتمه فى رجب سنة ٩٨٠ هـ .

٢) نموذج الفنون .

---

(١) سجل عثمانى ج٤ ص ٦٥٤ .
(٢) الكاكائية فى التاريخ ص ٧٥ .

٣) حاشية على شرح التجريد •

٤) حاشية على شرح حكمة العين •

٥) تقويم البلدان •

١١ – فضيل چلبي • ويعرف بـ (جمالى زاده) ابن على الزنبيلي • ولى قضاء بغداد وبلدان أخرى • توفى سنة ٩٩١ هـ وله مؤلفات عديدة(١) •

١٢ – القاضي رضوان • ولى القضاء وعين الملا غانما البغدادى مدرسا فى المستنصرية •

١٣ – يحيى نوعى • من ذرية پير على نصوح • ولد سنة ٩٤٠ هـ • وولى قضاء بغداد • توفى سنة ١٠٠٣ هـ وله مؤلفات عديدة(٢) •

١٤ – نعمان القاضى ببغداد • وهذا ذكره روحى البغدادى • وعده من رجال الأدب •

١٥ – سعدى زاده محمد • ولى قضاء بغداد • وهو ابن قلعه جكلى سعدى أفندى • وتوفى سنة ١٠١٨ هـ فى المدينة وكان قاضيها(٣) •

١٦ – نورى القاضى ببغداد • وكان أيام بكر صوباشى قاضيا وان نائبه (نائب المحكمة السيد محمد) • وفى خلاصة الاثر نقل بحثه عن الشيخ عثمان الخياط البغدادى •

١٧ – قاضى بغداد مذكرهجى زاده مصطفى • جاء ذكره اثر فتح بغداد من السلطان مراد الرابع فى وقفية جامع القلعة المؤرخة فى ١١ رمضان سنة ١٠٤٨ هـ • ورأيت ختمه الموقع فى هذه الوقفية مؤرخا سنة ١٠١٣ هـ • وما جاء فى فذلكة كاتب چلبى من انه موسى غير صواب لما هو مذكور فى الوقفية • وفى تاريخ نعيما •

١٨ – (محمد قدسى رمضان زاده) محمد بن أحمد بن محمد بن رمضان

(١) سجل عثمانى ج٤ ص ٢٤ •

(٢) سجل عثمانى ج٤ ص ٦٣٤ •

(٣) سجل عثمانى ج٤ ص ١٤١ •

آل نشانجى . ولى قضاء بغداد للمرة الاولى فى جمادى الاولى سنة ١٠٠٤ هـ ، وللمرة الثانية فى ٢١ جمادى الثانية سنة ١٠٢٠ هـ . وهو صاحب تاريخ (مرآة الكائنات) . توفى سنة ١٠٣١ هـ .[١]

ومن أهم ما رجعنا اليه وقفيات تعين أسماء القضاة منها وقفية السيد شمس الدين الكيلانى ووقفية السيد زين‌الدين الكيلانى . وهما من أقدم الوقفيات . ووقفيات أخرى . وتواريخ ، وربما نحصل على ما يعين لنا عددا آخر من القضاة . وكل من هؤلاء له المكانة ، وكانت الدولة اختارت أكابر الرجال لمثل قضاء بغداد ومصر والشام موطن الفقه ، ومحل المباحث العلمية ... فلا تريد الدولة أن تضيع سمعتها ، ولا أن تشترى التنديد الذى يوجه اليها من استخدام من هو غير صالح بل نرى أنها اختارت فى غالب الاحيان ولاة كانوا صدورا ، ولم تهمل أمر القضاء ، وجاءت التصريحات بذلك فى مواطن عديدة .

ومن ثم نقطع أن من أركان التشكيلات الادارية (القضاء) . اكتسب مكانة فى أصل الدولة ، وعنى به عناية كبيرة . ولا يهمنا أن نتعرض لما يتفرع فى مواطن أخرى من العراق ، فان ذلك بلاريب كان أقل اهتماما وتدوينا ، وان كان وسيلة لظهور الرجال الأكابر ، فكان تجربة علمية وقضائية معا ... والمقصود ذكر (قضاة بغداد) ومن عرف أمره منهم ، واشتهر ونشاهد الفواصل طويلة ، ولم يتيسر الوقوف على الكثيرين .

ومن مؤلفات العراق فى هذا العهد كتاب (ملجأ القضاة فى ترجيح البينات) لغانم البغدادى من علماء بغداد وجه به القضاء ولاشك أنه قام بحاجة ماسة . وتوالى التأليف فى الموضوع . ومثله (كتاب الضمانات) ويعد من أجل الآثار فى موضوعه الفقهى وخدمته للقضاء ، فلم يقطع العراق أمله ، ولا أهمل العلوم النافعة للقضاء واكمال مهمته .

---

(١) عثمانلى تاريخ ومؤرخلرى ص ٢٨ـ٢٩ المسمى بـ (آيينهٔ ظرفا) تأليف جمال‌الدين . طبع بمطبعة اقدام سنة ١٣١٤ هـ . وسجل عثمانى ج٤ ص ٥٧ .

والتاريخ مناه النقل ، وقد أعوزتنا مطالب عديدة تستدعى توضيح أمر القضاء أكثر • وليس لدينا ما نستعين به فلم نستطع أن نوضح اكثر مما علمنا • وأما القضاء فى البلدان الاخرى فانه بلا شك يستمد قوته من عاصمة العراق • تابع لها فيما سوى الموصل ، والبصرة بل ان البصرة تابعة أكثريا لبغداد فى قضائها •••

٤ - الجيش

ان الدولة العثمانية عسكرية • لم تتوضح فيها قوة الجيش ، ولم تنفصل عن الشرطة الى أمد قريب منا ، وانما يقوم الجيش بالمهمتين الداخلية لحفظ الامن ، والخارجية لدفع العوادى • استخدمت قديما جيشا يقال له (الينگچرية) أى الجيش الجديد من سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م •

تأسس أيام السلطان أورخان ، واكتسب نظاما ، وتوزع الى صنوف • وبهذا تمكنوا من استخدام جيش غير الجيش التركى تابع لتربيتهم ، وأصله من لقطاء أولاد الاجانب ، تربوا تربية اسلامية وعودوا على الحروب ، ومالوا الى هذه التربية لما رأوا من الحاجة لانعدام الكثيرين من رجالهم ، فأكلتهم نيران المعارك ، ومن جهة أخرى الحروب المستمرة كانت تتطلب ذلك ، ولا نجد دولة لم تستخدم الاقوام لصالحها وان كانت ذات قوة وسلطان ، وسمى هذا الجيش بـ (الينگچرية) ومعناه الجيش الجديد (ينگى) جديد و(چرى) بمعنى جيش أو جند[1] •

وتشكيلات الجيش فى العراق لا تختلف عن أصل الدولة من ترتيبات الا أن الوالى هو المسيطر وان أمير الجيش التابع له هو (اغا الينگچرية) ، ويستخدم الجيش الاهلى أيضا ، وهو المعروف بجيش الولاية ، وأحيانا يتولى الوالى القيادة بنفسه فى القضايا المهمة ، وينيب منابه (قائممقاما) يسمى (قائممقام الوالى) ، يتولى أعماله مدة غيابه •

---

(١) شاع بين بعض الكتاب المصريين أن يكتب بلفظ (انكشارية) ولكن العراق استعمل اللفظ قريبا من أصله من مدة طويلة •

وفى القضايا العظيمة والمدلهمات الكبيرة الشأن تعين الدولة الوالى ، أو تقوم بنفسها فى الحروب ، وتدعو الولاة المجاورين • وان هـــذه تدل على التناصر لاخماد ثورة ، أو حرب ناشبة ، وبعد انهـــاء الواجب يعود كل من الولاة المجاورين الى محله • وفى حوادث عديدة ما يشير الى ذلك •

ان جيش الينكچرية دام الى ما بعد هذا العهد أى الى سنة ١٢٤١ هـ ، ثم حل محله (الجيش النظامى) وهذا لحقته تبدلات عديدة ومهمة فى تنظيمه ، وتحول التمرين الحربى ، وتبدلت معداته وأسلحته الى أن انقطعت العلاقة من العراق سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م •

والدولة العثمانية معروفة بأنها دولة محاربة ، فلهـا مهارة فى التدريب العسكرى • واكتسبت شهرة عالمية وهذا الجيش تمكن من التوغل الى أواسط أوربا ، فحاصر (فينة) أو (ويانة) ، ثم أخفقت فى الحروب بعدها وأصابهـا تحول كبير فى الانحلال والتدهور ، فقدت المزايا ، وأضاعت ممالكها المفتوحة الواحدة بعد الاخرى •

حاولت فى تجارب عديدة أن تستعيد القوة ، أو تحرس المملـكة ، فلم تفلح ، وخذلت مرات عديدة ، فكانت محاولاتها عبثا ، وان الينكچرية كانوا سبب الاحتفاظ بسلطتها ، فأدى وضعهم الاخير الى انحلالها ودمارها ، وصارت عبرة المعتبر فى نشاطها وفى انحلالها ، وكلاهمـــا مدار الانتفاع قطعا ، فاذا كان جيش المغول لا يخلو من نقص طرأ عليه ، وجيش تيمور انحل للسبب نفسه ، فالجيش العثمانى لا يخلو من بواعث لنشاطه وانحلاله • ومجموع ما هنالك يكون عبرة عظيمة فى التنظيم والنقص والسـيطرة والتدهور كما أن الجيش العباسى قد طرأ عليه ما طرأ ••• !

وفى هذه التجارب خدمة لادارة الجيش ، وتدارك لما يحتمل أن يطرأ من انحلال بتلافى الأخطار والتجارب وأن لا يقع الخلل والاضطراب ، بل ان جيوش الامم وتشكيلاتها كلهـــا مدار عبرة العصور ، وطريق التوصل الى الغرض من اصلاح • وفى مثل هذه الحالة لا يراعى الترتيب المنطقى والعقلى

المجرد ، وانما هناك تجارب عملية خلال عمر طويل مضى على البشرية لا يستهان بها يصح أن يعول عليها ...

والعراق فقدت منه ادارة الجيش وزعامته وقضى عليه من تاريخ التغلب في العهود العباسية ، وتسلط المغول ومن تلاهم فقد القدرة والسيطرة على الموقع ، وأن يكون سيد بلاده ، وقائد جنده ، وغاية ما صار جنديا تابعا أي جيشا أهليا تابعا لجيش أصل الدولة ففي سنة ٩٤١ هـ دخل جيش الترك العثمانيين ، فظهر في فتوحه بقدرته . وهذا لم يكن يتصور تسلطه وتغلبه الا في نظامه وطاعته وحسن ادارته . ومتى فقد هذا الجيش السيطرة من قواده ، وركن الى الجموح وعدم الاذعان من جنده حرم القدرة من الفتوح ، ومن حراسة المملكة او الممالك المفتوحة ...

وحياة الأمم قائمة بحياة جيشها ، وادارتها ثابتة بثبوت هذه الحياة ، والتمكن من السيطرة على الجيش حذر أن يجمح والا انحل ، وانفرط عقده ، وتبعثر أمره ، وزالت وحدته وحاكميته ... والبقاء ودوام الحياة العليلة انما تكون أحيانا مقرونة بعلة المقابل ، وانحلاله فلم تعجل أمور الوفاة ، وقد يصح ، وتعود له القدرة بسرعة موت المقابل الند له... وكل هذه مفسرة لحياة الجيش في أطواره ، وقد مضت الامثلة العديدة لاول العهد ، ولآخره ... ومن الأولى في هذه الحالة أن ندرس (نفسية الجيش) في نفسية قواده ، ودرجة قدرتهم للتمكن من السيطرة على الموقف ، ومراعاة النظام وعدم التهاون به ... والحوادث المارة أمثلة مشهودة .

والجيش التركي من سلجوقي ، وأتابكي ، ومغولي ، وتركماني ... قد عرفت مكانته في القوة والشجاعة والفتح . وحب النظام ، والطاعة ، مع قوة وتمرن في الافراد . ومن ملك جيشا مثله ملك العالم ، بل تمكن في الدرجة الاولى من حفظ استقلاله ، ووقف بالامم عند حدودها ، فلا تستطيع أمة معتدية أن تنتهك حرمة مملكته ، أو تتجاوز عليه ، وقد ظهرت هذه في السيطرة على أقطار عديدة بما يملك أمراؤها من نفسية ، وما استطاعت بها

أن تحمل الجند على الطاعة التامة ، وأن تنسق الجيش تنسيقا فى أقصى حدود التنسيق ، فأذعنت لها الامم رهبة أو رغبة .

والترك العثمانيون لا يختلفون عن سائر الاتراك الذين وصفهم الجاحظ ، وابن حسول (١) وغيرهما لما ملكوا من سجايا ، ومن أهمها الشجاعة ، والتنظيم الحربى ، والطاعة الكاملة ، ولم تنعدم من هؤلاء تلك الاوصاف ، بل لا تزال موجودة بارزة للعيان بالرغم من وجود الضعف والانحلال ، فالمزايا الفردية لا تزول وانما يذهب أمر الوحدة ، والنشاط العام . والتنظيم المشترك . فلا تظهر المزايا الشخصية بل تنقلب الى ما يعجل بالقضاء على الامة ، ويسهل للاجنبى أن يحكم او يتحكم . وهذه السنة موجودة فى الكل ولعل فى تفوق المقابل ما يدعو لانتصاره ، ولكن السجايا الفردية لم تمت ، فترى الجيش المغلوب يدمر ، ويوقع بالعدو كما يوقع المنتصر ... والوحدة والنشاط نلحظها فى نفسية القائد ، وفى مقدار نشاطه ، أو درجة عنايته وعنائه فى التنظيم . فالعلاقة غير مقطوعة . والتعويض عن هذه القدرة بقائد محنك أمر لا ينكر . والامم راعت الطريق فى الكل وجعلت الحالة سائرة باطراد لازالة ما وقع فيه الاقوام من انحلال فى جيوشها .

وفى غالب الحروب يتولى السلطان الامر بنفسه ، والامور البحرية فى الاكثر يودعها الى (قپو دان پاشا) او قبطان باشا وكان هذا يستمد قوته من السلطان ، وفى بعض الاحيان يودع الامر الى الصدر الاعظم ويسمى بـ(السردار) وتوزع القيادة الى الولاة فى الاكثر لتعدد المواطن ، فكل وال قائد جيشه ...

والجيش العثمانى يتكون من :

١ ـ الحرس الملكى (قپو قولى) .

---

(١) رسالتان فى فضائل الجندية عند الترك احداهما للجاحظ طبعت مرارا والاخرى عثرت عليها وقدمت لها مقدمة ترجمت الى التركية وطبعت بأنقرة فى مجلة (بلله‌تن) مع الاصل العربى وطبعت باستانبول مستقلة أيضا . كان نقلها الاستاذ المرحوم محمد شرف‌الدين رئيس الشؤون الدينية بأنقرة . وهى (تفضيل الاتراك على سائر الاجناد) لابن حسول .

٢ ـ الينگچرية •
٣ ـ جيش الولايات •
٤ ـ القوة البحرية •

وكل من هذه يتفرع الى طوائف أو صنوف يقال لكل منها (أوجاق)، وهو الجيش الذى تودع اليه مهمة خاصة من أعمال الجندية ، فالجيش يوزع الى صنوف (أوجاق) ، ويقال لرئيس هذا الصنف (اغا) ، او (أغا الاوجاق) • وهو الضابط او الرئيس أو الآمر ، وهناك أغا المتفرقة ، وأغوات الداخل (الأندرون) ، وأغوات الخارج (البيرون) •••

وفى الولايات كل صنف من هذه يسمى بأسم كتلك ، فالوضع أشبه بالصنف المصغر من هذه ، فهى موجودة فى الولايات إلا انها بقلة ورئيسها يقال له (اغا) ولا يخرج هؤلاء عما هو فى أصل الدولة • ويختص جيش بغداد بل وسائر الولايات بـ (جيش الولايات) وبين هؤلاء (الحرس الأهلى) أو ما يسمى (يرلى قولى) وهم مشاة ومنهم ما يسمى بـ (طوپر اقلى) وهؤلاء خيالة • ويتكون من العزب • وهم غير متزوجين ، ويشترط أن يكونوا كذلك و(السكبانية) وهؤلاء دون من سبقهم ، ثم أهمل أمر هؤلاء فوضع محلهم البندقيون (التفنگچى) ، ويقال لأحدهم (سرحشمه) بل يسمون (احشامات) • وهكذا صنف منهم يسمى بـ (المأجورين) أو (المتطوعة) وهم مدفعية ورئيسهم (اغا المدفعية) ، ومنهم اللغمچية اصحاب الالغام ، ومنهم المسلمون ويسمون قديما (الجرخچية) ويكونون فى صحبة الجيش لتسوية الطرق والمعابر وتعميرها ••• ومنهم المرابطون فى الثغور ويقال لهم (سرحدلى)• ومن هؤلاء الدليل ويسميه الترك (دلى)، والمتطوعة ••• ومنهم البسلية ورئيسهم يقال له (دلى باشى) ، و(الاى بگى) يتولى عدة وحدات من الدلية ، ويقال له (سرحشمه) أيضا • وهكذا (الخيالة الطوپراقلية) وهؤلاء يتكونون من جانب أهل التيمار والزعامة ، ويسمى بعضهم (قوريجى) أو متطوع (كوكللى) •

هذا • ولا محل لذكر أرزاق الجيش ومخصصاته ولا بيان كسوته

فهذه كلها متبدلة ، وغالبها لا يهمنا الاطناب فى وصفهـا . وكـذا الاسلحة والتفصيل عنها ، فاننا نوضح ذلك عرضا والا فالموضوع واسع يحتاج الى بحث خاص ليس هذا محله .

٥ ـ الشرطـة

كانت لها المكانة فى الدولة العباسية وما قبلها وكانت تعـد من أركان الدولة ، وان الخليفة المنصور كان يعظم أمرها ، ويوليهـا اهتمامه كثيرا . وهكذا امتدت الى أمد . وفى الدولة العثمانية لم تفصل الشرطة عن الجيش الا فى ايام التنظيمات الخيرية ، ولم تكن لها تشكيلات خاصة ، وانما أغـا الينگچرية يقوم بأمرها كما يقوم بادارة الجيش لمحاربة العشائر ، ويكون تحت سلطة الوالى فى المحاربات الدولية ...

وعلى كل حال فى هذا العهد لم نجد تفريقـا بين الشرطة ، وأعمال الجيش ، فلا محل لافراد هذا الصنف ببحث خاص ، وانمـا أفردناه لنعين مكانته من الدولة وكيف كانت تقوم بمهمة الامن الداخلى ... ؟ !

٦ ـ الحسـبة

مصلحة ادارية لتنظيم أعمال المدينة ، ومراقبة هـذه الاعمال لتجرى بوجه الصحة ، وان تلاحظ ما يقع من غش فى المعاملات ، أو ما يضر بالصحة أو بالنظافة ، وسائر ما من شأنه ان يراقب مثل البيوعات وسـائر الامور المدنيـة ...

سارت على النهج الشرعى ، وبالوجه المبين فى كتب الحسـبة ، ولم تفترق عما هنالك ، ولكنها فى الايام الاخيرة طرأ عليها ماطرأ من تبديل ، وما عرض من تعديل وتحويل مما سنتناوله فى مباحث أخرى [(١)] .

علاقة ايران بالعراق
فى هذا العهد

ان الشرق الادنى كانت تتنازعه الحكومة الصفوية والدولة العثمانية وابتدأت بينهما المقارعات بحروب ودعايات شديدة لا سيما فى العراق . ففى

(١) فى مجلة العالم الاسلامى البغدادية ذكرت مقالات فى (الحسبة) . وبيان المؤلفات فيها .

سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٩ م دخل فى حوزة ايران واستمر حكمها فيه الى سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م تخلله بعض الاضطراب كثورة ذى الفقار . لم تثبت قدم الصفويين وخلص للعثمانيين . وطال النزاع على العراق وتداولته الايدى الى سنة ١٠٤٨ هـ ـ ١٦٣٩ م أيام السلطان مراد الرابع ولعله العامل الوحيد فى ضعف الحكومتين لما بذلتاه من الجهود فصار العراق تابعا للحكومة العثمانية...

وخلال هذه المدة لم تتوضح السياسة الخارجية بوجه صريح وغاية ما يقال عن هذه الحكومات انها مصروفة الى التغلب وكل حكومة تحاول الانتصار على الاخرى بل القضاء عليها دون أن تتقيد بعهد أو ميثاق استفادة من ضعف احداهما أو قوة الاخرى فلم تدعا وسيلة تتوسلان بها الا فعلتاه ، واستخدمتا المذهب آلة قوية بدافع جذب معتنقيه فصارت الواحدة تكفر الاخرى وتستحل دماءها وأموالها وأعراضها كأنها بعيدة عن الاسلام أو غريبة عن الانسانية ، والفتاوى تصدر تترى تهييجا لمنتحلى عقيدة كل ناحية ، والغرض الاصلى التغلب والظفر على المخالف المنازع ، والسعى للقضاء على أهل الحزبية الاخرى أو عدها محكومة الزوال ، ونرى القسوة بالغة أشدها .

وفى هذا كله نرى العراق فى حالته الراهنة عند استيلاء أحد الفريقين لم ينل ادارة ذاتية ، أو حكومة شعبية ولو لصنف من صنوفه ... الا ان الحكومة العثمانية كانت أوسع صدرا لادارة الشعوب المختلفة لتمرنها فى مملكتها الاصلية على مثل هذه الادارة كما انها تحترم مقدسات الاخرى دون العكس مما خذل سياسة ايران وأحبطها فى غالب الاحيان فى وقائع تاريخية مختلفة .

مضى ما جرى بين الحكومتين فيما يخص العراق ونجد الحكومة العثمانية فلت من غرب الايرانيين وعركتهم عركة بعثرتهم . وكان ذلك فى وقعة چالديران عندما كانوا فى ابان نشاطهم وتمكنهم من الاستيلاء على ايران والعراق ودخولهما فى حوزتهم ... ثم أعقبت الحكومة العثمانية ذلك بضربة أخرى عام ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م على يد السلطان سليمان القانونى

فاستولت على العراق بالوجه المشروح ثم طرأ ضعف على الحكومتين معا الا أن الحكومة الصفوية أيام الشاه عباس الكبير (سنة ٩٩٥ هـ - ١٥٨٧ م : ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٩ م) تمكنت من استعادة النشاط والقوة . هاجمت بغداد فاكتسحتها . انتزعتها من بكر صوباشي . ثم بذلت الحكومة العثمانية جهودها لمحاولة الاستعادة لسنين حتى نهض السلطان مراد الرابع بنفسه بعد أن نظم ادارته الداخلية ، وأمن الحالة الخارجية بمعاهدات عقدت مع المجاورين الآخرين وتفرغ بعد ذلك كله لحرب ايران فكانت وقيعته بايران مؤلمة قاسية جدا لم تقم لايران بعدها قائمة تذكر مدة حكم الصفويين ...

ومن ثم عقدت المعاهدة مع ايران وتأسس الصلح . وبهذا تبتت المواثيق والعهود فزالت حالة اختلال الموازنة وان الواحدة كانت تحاول امحاء الاخرى والسيطرة على ممالكها . كانت آمال كل واحدة قوية وخيالها واسعا ... فلا تريد أن تلتزم بعهد ما ...

وعلى كل حافظت الدولتان المتجاورتان على هذا الوضع لمدة ...

التقسيمات الادارية

لا تظهر سلطة الدولة الا فى تشكيلاتها الادارية . وهذه توزع الى وحدات ادارية يتألف من مجموعها سلطة الولاية(١) ، فتتجمع فى شخص الوالى .

والتقسيمات الادارية فى العراق وزعت الى ايالات واعتبرت وحداتها

---

(١) لخصنا هنا ما في جهان نما وأوليا جلبي ج٤ ص٤١٣ وما في رسالة (عيني على) المتوفى سنة ١٠١٦ هـ وكان من أمناء الدفتر . وتسمى هذه الرسالة بـ (قوانين آل عثمان ، در خلاصهٔ مضامين ديوان) . رأيتها مخطوطة باستانبول وعندى نسخة مطبوعة منها ... تحوى مطالب مهمة فى التشكيلات الادارية وفى مالية الدولة ... طبعها شناسى أفندى مع (كتاب دستور العمل لاصلاح الخلل) لكاتب جلبى ... وكل هذه ترجع مباحثها الى هذا العهد .

بوجه عام مقتبسة من أصل تشكيلات الدولة وان كانت لم تتغير البلدان وما كان يدخل ضمنها من أعمال ٠

وهذه تقسم الى خمس ايالات ٠ ومنهم من عدها أربع ايالات باخراج ايالة الاحســاء ٠

١ـ ايالة بغداد

وتقسم الى ثمانية عشر لواء (سنجاقا) وفيها دفترى لخزانتها ، ومعاون، ودفترى تيمار وأمين الدفتر ٠ وهذه ألويتها :

١) لواء الحلة من الالوية المهمة ٠ وله مكانته فى وقائعــه وعلاقاته الأخرى ٠

٢) لواء زنك آباد أو (زنــكى آباد) ٠ ويراد به معمورة زنــكى قال أوليا چلبى : « فى خلافة هرون الرشيد كان قــد بناها خازنه زنكى فسميت باسمه وقيل لها زنكى آباد او بلا ياء ٠٠٠ » ومن توابعها قزلرباط (ناحيــة السعدية) ولا تزال بعض الآثار قائمة مثل (كوشك زنكى) ٠ وان البلدة اندثرت(١) ٠

٣) لواء الجوازر ٠ (الجزائر) كان بيد ابن عليان أمير طىء ٠ فتغلبت عليه الدولة ٠

٤) لواء الرماحية ـ جاء بلفظ (روماهيــــة) ٠ وفى موطن آخر (روم ناحية) ٠ والرماحية معروفة قبل أن يأتى السلطان سليمان الى العراق ٠

٥) لواء چنكولة ٠ من الالوية المجاورة للعجم ٠ تداولته الايدى ٠ وكان مدة فى حوزة أمراء الفيلية ٠ والآن ليس به عمارة ٠ خربته الحروب بين ايران والعراق ٠

٦) لواء قرەطاغ ٠ أو قراداغ ٠ والآن قضاء تابع للواء السليمانية ٠

---

(١) رحلة المنشى البغدادى ص ٤٢ ٠

وهذه في ألويتها زعامة وتيمار كسائر الممالك . ويقال لهـا (أرض المملكة) .

وباقي الالوية ليس فيها زعامة ولا تيمار الا أن فيهـا خاصا لامراء الالوية ، وتعطى فيها بعض القرى والمزارع (المقاطيع) على وجـه التخمين وغالبها عليها مقرر يسمى بساليانه (صليان) . وهذه ألويتها :

١) درتنك . الآن بيد العجم . وهي المعروفة قديما بـ (حلوان)(١). ويجوى زهاو وما جاورها وقلعة شاهين . وقصر شيرين ...

٢) السماوة . وردت بلفظ (سماوات) والآن قضاء .

٣) البيـات . الموقع المعروف الآن . وكان من أماكنهم (بيات ، وده‌ليران) . وهو في أيدي العجم ويعود للفيلية والبيات اليوم في لواء كركوك .

٤) درنه . الآن بيد العجم . وتجاور درتنك وهما يعدان لواءا واحدا .

٥) ده‌بالا . الآن بيد الفيلية . وتقع في أعلى پشتكوه أو (كوركوه) . أي الجبل الكبير .

٦) واسط . الآن (لواء العمارة) ، و(لواء الكوت) .

٧) كرند . الآن (بيد العجم) . وتلفظ (كرنت) .

٨) دميرقپو .

٩) قزانيـــة . الآن تعد من مندلي او (بندنيجين) .

١٠) گيلان العراق . ويسمى گيل ويقع ما بين ايران وكركوك .

١١) آل صاح . كذا وردت . وفي عيني علي أفندي آل صايح ونعلها الصلاحية (كفرى) . وكانت تسكنها قبيلة (الصالحية) فهي محرفة عنها . وتسمى هذه القبيلة بـ (ساله‌يى) . تسكن هذه القبيلة في (التون كوپري) .

١٢) العمادية . في القسم الشمالي من العراق . ليس فيها تيمار ولا زعامة وانما يتصرف بها بوجه الملكية أمراء بيدهم فرامين سلطانية لا يعزلون .

---

(١) راجع ملحق الجلد الثاني من تاريخ العراق بين احتلالين ص ٦ .

وينتسبون الى العباس . قال ذلك أوليا چلبى . ومن المقرر أن تشترك العمادية فى الحروب تابعة لولاة بغداد .

بلغت هذه الايالة ١٨ لواء أوضحنا تشكيلاتها الادارية وتاريخها وخاصها فى موطن آخر .

أما الالوية الاخرى فانها تعتبر ملحقة بلواء بغداد وتحت ادارة أمير أمرائه . يعينون لها أمير لواء ليدبر شؤونها نظرا لبعدها عن المركز ولانها عاصمة فى الأصل (١) .

٢- ايالة البصرة

وهذه الايالة كان يتصرف بها على وجه الملكية . وفى سنة ٩٤٥ هـ انقادت للدولة . وفى سنة ٩٥٣ هـ صارت تابعة رأسا وانقرضت امارتها ، واعتبرت ايالة . ولا يزال فيها دفترى لماليتها ، وكتخدا الچاوﺅشين ولم يكن فيها تيمار ولا زعامة ولا أمير ألاى ولا (اغا الينگچرية) ، وكافة أراضيها فى التزام الوالى . ثم تغلب عليها المتغلبون من آل أفرسياب فصارت تابعة اسميا .

٣- ايالة الاحساء

يتصرف بها على وجه الملكية بلا زعامة ولا تيمار وانما يقدم المتصرف هدايا فى كل شهر لوالى بغداد وقبل هذا كان يتصرف بها أمير أمراء من جانب العثمانيين فتغلب عليها المتغلبون . ومن آثار أمراء العثمانيين فى الاحساء المسجد القديم المعروف بـ (مسجد الدبس) لقربه من سوق الدبس و(مسجد النرك) وتاريخ بنائه سنة ٩٦٢ هـ بناه متصرف الاحساء من جانب العثمانيين .

ثم ذكر أوليا چلبى عمان ، وكوج ، ومكران ، والجزائر فبين أن حكامها يتصرفون بوجه الملكية الا انهم يقدمون للسلطان هدايا سنوية ولوزير بغداد

---

(١) عينى على وأوليا جلبى ج٤ ص ٤١٤ .

تقدمات شهرية كما هو قانون السلطان سليمان . والاحساء ذو علاقة بنا . وتأتي حوادثه في حينها .

٤- ايالة الموصل

وهذه في عهد السلطان سليمان كانت ستة ألوية . ليس فيها أرباب ديوان وانما فيها الاى بكى ، واغا الينگچرية وألويتها :

١) لواء باجوان . و(باجوان) قبيلة في الموصل . وفي خانقين تسمى (باجلان) وجاءت بلفظ (باجوانلو) . وتحوى قرى عديدة ، ذكرتها في عشائر العراق الكردية ، وفي (الكاكائية في التاريخ) .

٢) لواء تكريت .

٣) لواء اسكى موصل (الموصل القديمة) .

٤) لواء هرور .

٥) لواء بانه .

هذا . فاذا أضيف اليها نفس الموصل بلغت ستة ألوية[١] .

٥- ايالة شهرزور

لها أرباب ديوان ، وفيها ألاى بكى ، واغا الينگچرية ، وهذه ألويتها :

١) سروجك .

٢) اربل .

٣) كسنان .

٤) شهربازار .

٥) چنكوله . بعد تكون ايالة شهرزور صارت من ألويتها .

٦) جبل حمرين .

٧) هزارمردود .

٨) الحوران . (هو رين) هو المعروف اليوم .

---

(١) عينى على أفندى .

٩) مركاره •

١٠) حرير •

١١) رودين •

١٢) تيل طارى •

١٣) سبه زنجير

١٤) عجور •

١٥) ابرومان •

١٦) پاق •

١٧) پرنلى •

١٨) پلقاص •

١٩) أوشنى •

٢٠) قلعه غازى •

وغالب هذه الالوية لا يعرف اليوم ، ولا شك أن نطاق حكمها كان أوسع •

و(شهرزور) يقوم بادارتها پاشا يستقر فى نفس شهرزور • وفى اللواء عشائر ليس لها طبل ولا علم • وفيها ما يزيد على مائة أمير يحكمون كأرباب الزعامة • يحضرون الاسفار مع أمير اللواء ويتوارثون الامارة تنتقل الى أولادهم أو أقربيهم وعند الحاجة تعطى لهم الزعامة والتيمار • ونرى تبدلا فى التقسيمات وتابعيتها لايالة بغداد ، أو لايالة شهرزور • هذا والايالات المذكورة كما يستفاد من الحوادث جاء ذكرها متأخرا ، واقرارا لما وقع • فلم يكن ذلك كله أيام السلطان سليمان •

الدولة الصفوية

كانت ظهرت على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الاول سنة ٩٠٧ هـ • وهذا علا سعده ، وتمكن بسهولة من الاستيلاء على بغداد فى ٢٠ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ • كاد يقضى على الدولة العثمانية أو يكتسح أكثر ممالكها لولا أن السلطان سليم المعروف بـ (ياوز) تمكن من تدمير أعوان الشاه الدعاة

له فى الاناضول ، فكسر شأفتهم كما انه قهر الشاه فى واقعة (چالديران) سنة ٩٢٠ هـ وكانت آماله كبيرة ، وأطماعه واسعة المدى . لم يستطع ابنه بعده أن يقف فى وجه السلطان سليمان ، فكان يتهرب من وجهه ويفر منه حتى استولى على بغداد سنة ٩٤١ هـ ، ولم يجسر الايرانيون أن يجابهوا العثمانيين فى حرب حاسمة الى أن ظهر الشاه عباس الكبير بمظهر عظيم فوجد الفرصة مواتية فى نهضة بكر صوباشى فجدد المقارعات . اتخذ وسيلة المساعدة له ، فاستولى على بغداد سنة ١٠٣٢ هـ ولم تمض الا بضع سنوات على الفتح حتى توفى الشاه عباس ، ودامت بغداد بيد خلفه الشاه صفى مدة قليلة ، فلم يطل حكمهم الى أكثر من سنة ١٠٤٨ هـ . ومن ثم استعادها السلطان مراد الرابع ، فخلصت العراق للعثمانيين .

وهذه قائمة بأسماء شاهاتهم :

١ ـ الشاه اسماعيل الاول . سنة ٩٠٧ هـ ـ ١٥٠٢ م

٢ ـ الشاه طهماسب الاول . سنة ٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤ م .

٣ ـ الشاه اسماعيل الثانى . سنة ٩٨٤ هـ ـ ١٥٧٦ م .

٤ ـ الشاه محمد خدابنده . سنة ٩٨٥ هـ ـ ١٥٧٨ م .

٥ ـ الشاه عباس الاول (الكبير) . سنة ٩٩٥ هـ ـ ١٥٨٧ م .

٦ ـ الشاه صفى الاول . سنة١٠٣٧هـ ـ ١٦٢٨م : ١٠٥٢هـ ـ ١٦٤٢م .

وهذا الأخير انتزع العثمانيون بغداد منه وبقيت فى أيديهم الى آخر أيامهم فى العراق . وتعد الدولة الصفوية الوحيدة المجاورة للعراق . أزعجته بحروبها ، وأقلقت أوضاعه ، وشوشت أمره .

وفى هذا العهد لم تدون لكل دولة الا كثرة الفتوح ، وزيادة الاطماع . تنهب الدولة الاخرى بغزو أشبه بغزو العشائر . فلم تهدأ القلاقل والحروب بل دامت الى ما بعد هذا العهد ، فكانت سبب دمار الدولتين .

الدول الهندية ـ البرتغال

الدول الهندية علاقاتها بالعراق والبلاد الاسلامية قديمة جدا . وان دولة البرتغال شوشت هذه العلاقة وقد ذكرنا ذلك بتفصيل . وجاءت تواريخ الهند

ومنها تاريخ كجرات وتواريخ ملوك الهند باللغة الفارسية كثيرة وبينها المخطوط والمطبوع • وعندي جملة منها •

وان الاستاذ الفاضل صديقنا كوركيس عواد اطلعني على كتاب (تحفة المجاهدين في أخبار البرتكاليين) للشيخ زين‌الدين بن عبدالعزيز المعبري كان فرغ من تأليفه سنة ٩٩٣ هـ وطبع في مطبعة التاريخ في حيدر آباد دكن سنة ١٩٣١ م • ويعد من أقدم المراجع في هذه العلاقات وعين الناشر مكانة هذا الكتاب ونقله الى اللغات الاجنبية ودرجة الاهتمام به •

وفيه بيان علاقات الهند بدول المسلمين في مصر ، وغيرها كالدولة العثمانية ... وكلامه على سيدي على رئيس جاء مبتورا وغير صحيح • ومن المهم بيانه أن الناشر قدم قائمة في تطبيق الاسماء ولما لم أطلع عليها الا عند طبع هذه الملزمة اقتضى أن أشير الى لزوم مراجعتها •

هذا • واشكر الاستاذ على ما أطلع عليه • فقد كتب باللغة العربية • وفي كتاب (دول اسلامية) ما يعين حكومات الهند • وعندي مخطوط في دولة (أورنك زيب) من ملوك الهند والمطبوعات كثيرة جدا • وفيها ما يوضح العلاقات •

الثقافة
أو
الآداب والعلوم

ان تمكن الثقافة في المملكة ، وظهورها كان كبيرا ، وفي الوقت نفسه تابعا في الدرجة الاولى للغنى والتبدل العظيم في سبيل هذه الثقافة والطمأنينة وحسن الجوار في العلاقات بين الاقطار القريبة • وكلها فقدت في هذا العهد في عاصمة المملكة العراقية أو أم بلاد القطر ، وأعظم سبب آمال المجاورين وطموحهم في الاستيلاء على مدينة السلام بل قسوتهم فيها وحرصهم الزائد في التغلب عليها مما ألجأ الى الميل الى دولة أخرى قوية بأمل ايقاف تلك عند حدودها ، أو قهرها وارجاعها خائبة • وبالتعبير الاولى تنازع الصفويون والعثمانيون على بغداد •

وبعد جدال عنيف ، وحروب طاحنة تسلطت الدولة العثمانية ، فلم يجد

القطر بدا من الاذعان ، ولم ينل حقوقه كاملة موفورة ، ولكنها كانت أهون الشرين القتل أو السلب فلم يسع العراق النجاة بوجه ، بل لم يخل من تشويش لطلب النجاة ، وكلما أراد أو حاول ظهرت الدولة الصفوية بعنفها وقهرها ، فلم تدع مجالا له للحياة ولا للراحة . وهكذا كان بتوالى الازمان ما جرى بين الدولتين . ودام النزاع حتى قضى عليهما ، بل كان ذلك داعية دمار الشرق كله ، وهما متسلطتان عليه .

وحالة كهذه فى تطاحن وتنازع لا يؤمل منها فلاح ، ولا يتيسر نشاط أدبى أو علمى ، وانما طريق النجاح معروف فى استقلال المملكة وحياتها الحرة ، وهى مفقودة منها ، بل منغصة بوقائع مؤلمة تهدد الحياة بحيث لا مجال للالتفات على قاعدة «ومن نجا بنفسه فقد ربح» ، فلا مجال للأمة أن تنظر الى حاجتها العلمية والادبية . ولم تجد طمأنينة أو راحة .

وهذا القطر فى ثقافته الحاضرة كان نتيجة عهود اسلامية عريقة فى ثقافتها ، من أول الاسلام الى أيام دخول العثمانيين العراق سنة ٩٤١ هـ . خدمت بغداد الثقافة وغذتها . وخلفت ميراثا أدبيا علميا للاقطار كان من خير المواريث ، فكيف محته الحوادث ، وأبادت الكثير من آثاره ؟

لاشك ان الحوادث لها دخل كبير فى هذا التدمير ، وان ضياع الاستقلال قد نقل الآثار الى المتغلبة ، أو قضى عليها ومحاها ، فصارت نهبا بيد المتسلطين ، ولا يهمنا أثر الثقافة وتأثيرها عليهم كما لا تنكر بوجه فى هذا . وكل واحدة من الدولتين تريد ان تضارع بغداد فى معرفتها ، وان الوقائع الوبيلة والحوادث القاهرة قد أنست من الالتفات الى الثقافة عندنا . وهكذا كان شأن الثروة والحضارة وسائر المؤسسات مما انتابته أيدى العدوان والكل ذو علاقة ، الامر الذى جعلنا لا نستطيع أن نعد أدباء أو علماء كثيرين .

وأمر واحد لم يستطع هجوم المتغلبة عليه أو تخريبه أعنى (الجوامع والمدارس) ، فهذه أصل (مناهج تعليمية ثابتة) ، ومؤسسات دينية لا تتناولها أيدى العدوان فى الاكثر ، وان الحرمة للمساجد ، والمدارس مرتكزة فى النفوس

ولكنها لم تسلم دائما بل لم يصبها الاعتداء من كل الوجوه ، ولا القضاء المبرم ، ولا تزال قائمة بالرغم مما وقع من اعتداء ٠

ومن مدارسنا ما قوى على الأرزاء ، وصبر على المكاره ، وبعضها لايزال وصل الينا الكثير منها من العهد العباسى ، أو من عهود المغول والتركمان مما يغذى هذه الثقافة ، ولم يكن العهد منفصلا بوجه عن ماضيه ليقال انه حديث العهد ، يحتاج الى جهود ، وفى هذا العهد لم تعمر من جديد الا مدرسة الامام الاعظم ، ومدرسة الشيخ عبد القادر وبعض المساجد التى خربتها أيدى العدوان ٠ وسبق من الحوادث ما يشير الى العناية بهما أو بالمراقد المباركة لأمور اقتضتها السياسة الجديدة للدولة العثمانية أو لسابقتها ٠ والعراق يملك جملة وافرة من هذه الجوامع وهى محل تدريس فى الغالب ، والمدارس تقوم بمهمة التعليم وتكمل ثقافة المساجد ، فلا يخشى زوال العلم والآداب منه ٠

وان تضعضع الحالة ، وارتباك الامور لم يدم طويلا ، وان زاد دوامه على المعتاد فى هذه الايام ، فلا تهدأ الحالة حتى تظهر المؤسسات العلمية والادبية ، أو المعاهد الخيرية فتؤدى واجبها ٠ ولا نستطيع أن نعد جديدا من هذه المؤسسات لهذا العهد فان الجوامع والمدارس والتكايا فى بغداد لما قبل الفتح العثمانى كثيرة جدا ! ٠ تدل على عناية الامة واتصالها بعقيدتها وبثقافتها وكان عملها كبيرا فى سبيل تحقيق الأمرين بث العقيدة وتأكيد الثقافة ٠ وغالب ما عملته الدولة تجديد ما اندرس من هذه المعاهد من الوقف ٠ فاكتسب بعضها اسما جديدا ، والبعض الآخر فقد اسمه القديم وعرف باسم من عمره ٠

وجاء ذكر جملة مما أعيد تجديده ومنها :

١ ـ جامع الشيخ عبد القادر ومدرسته ٠

٢ ـ جامع الامام الاعظم ومدرسته ٠

٣ ـ جامع الوزير ٠ وهو (جامع حسن پاشا ومدرسته) ٠

٤ ـ جامع الصاغة ومدرسته ٠

٥ ـ تكية المولوية ٠

٦ ــ جامع الكاظمين ٠

٧ ــ تكية خضر الياس للبكتاشية ٠

٨ ــ جامع السراى ٠ الجامع السليمانى أو جامع جديد حسن پاشا ٠

٩ ــ جامع الشيخ شهاب الدين السهروردى وهـذا كانت فيه تكية فأمر السلطان مراد بتعميره ٠

١٠ ــ جامع القلعة ٠

وهذه تضاف الى ما ذكر سابقا مثل مسجد قمرية ٠ والمدرسة النجيبية ، ومدرسة السهروردى ومدرسة جامع الفضل ، وجامع مرجـان ، والوفائية ، ومدارس اخرى أوضحنا عنها فى (تاريخ العراق) ، وفى تاريخ (المعاهد الخيرية فى العراق) ٠

وكل هذه ثروة علمية لا يملكها قطر تعد العلماء والادباء ولم يكن لأمة نصيب وافر كهذه المدارس فى العدد وتكوين الثقافة ، وان رغبة العراق وحبه للثقافة هو الذى أبقاها ، ومكن الامة منها ، فلا تخشى سطوة الجهل ، ولا ترضى أن تستبدل بها بديلا ٠

وهى منبع الادب ، وأس العلوم ، ولولاها لما ثبتت أو استقرت لنا ثقافة بل نرى الاقطار الاخرى قد بهرتها هذه التشكيلات المنظمة للآداب والعلوم دون عناء أو كلفة ، وانما تتزاحم ٠ وتبدى القدرة ، ويقوم كل بواجبـه ، ويظهر ما هنالك من عظمة وقدرة علمية ، وكفاءة بالغة الحد ٠

تحاول كل مملكة أن يؤسس فى أمهات مدنها مثل معاهدها الخيرية للعبادة والدين والعلوم والآداب والكل متلازم ٠

ومما هو جدير بالذكر أن هذا العهد بالرغم مما حدث قد حفظ قسما من آثاره الأدبية والعلمية ، أو احتفظ بها ، فكانت غذاء العصور التالية ، ولم تنعدم كلها ، أو تزول من البين ، ولا تزال لحد الآن تتمتع بهذه الآثار ، وغالبها محفوظ فى الجوامع والمساجد ، أو لدى بعض الأسرات القديمة أو الحديثة ٠ وان الحوادث العلمية تعين مقدار العناية بها عناية لا مزيد عليها كما أن أهل البر

بين حين وآخر يقدمون للوقف ما عندهم من مؤلفات وكتب وأموال حبا بالأجر ونيل الثواب والحرص على ثقافة الأمة .

١ ـ الادب العربي والآداب الاخرى :

ان الأدب العربي أصل الآداب الأخرى . وان المدارس تمده في التنظيم والتدريب ، والآثار والمخلفات تغذيه بعناية ، وان آداب الاقوام في العراق تستمد من هذا الادب الذي سار سيرة علمية ، وتستقي ثقافتها منه فلم تهاجمه ، وفي هذا العهد ظهر التوقف في الأدب الا أن الاتجاه قد غلب الأمة الايرانية ، والأمة التركية أن تأخذ بنصيب منه ، فمالت الهمة الى ترجمة الكثير من آثاره في اللغة وهي الأصل ، والتوغل في القواعد النحوية ، وعلوم البلاغة ...

والأدب العربي لا يرضى بهذا التوقف ، وان كان الغذاء تاما ، والمادة وافية ، فلم يقف عند الماضي ويريد أن يظهر دائما ، وينال السيادة الا اننا لم نشاهد ما يصلح للتمثيل بكثرة أو يعد نتاج العصور ، وموطن الاستفادة .

ولا يخلو الأدب العربي من اتصال بالأدب الفارسي وبالأدب التركي فيقتبس معاني جديدة ويغترف مما عند الامم . والكردية متصلة بالفارسية ومثلها التركية . وهكذا الأدب العربي فالتأثير مشهود جدا ، والاتصال مكين .

ـ نعم ان العصور الماضية أمدته ولكن وثائقنا في الانتفاع منه والانتاج قليلة بل لم نطلع على كل ما هنالك من مخلفات للاسباب التي سردناها . وكفى أن يحتفظ العراق بالغذاء الماضي . وفي هذا ربح لنا بل لو كان الامر ما ذكر لقلنا بعقم العصر ، وتوقفه وجموده ، بحيث صار في حالة لا نستطيع أن نعد له مخلفات وهيهات ...

اننا في سعينا المتواصل والتتبع الكثير وبذل الجهود يتأتى لنا أن نقدم مجموعات كبيرة من هذه الاشتغالات ، تعين درجة العناية باللغة العربية وعلومها وهذه لم تكن كل ما عرف ، فالامل أن نعثر على مخلفات عديدة تجلو عن الحالة ، وتكشف عن العهد ، وبيدنا أسماء آثار من المحتمل القوي أن تنال مكانتها ،

وتكتسب أهميتها • ولا يترك الميسور الآن بالمعسور • وقد أوضحنا أشهر ما عرف في هذا العهد من المؤلفات في التاريخ العلمي والادبي •

وان شعراء العصور السابقة (شعراء المغول والتركمان) قد خلفوا مقادير وافرة سار التالون على منوالها ، ومن أشهر من ظهر :

١ – فضولي البغدادي • مر الكلام عليه • وفي هذه الايام ونحن في طبع هذه الملزمة ظهر (كتاب فضولي) باللغة التركية للدكتور عبدالقادر قراخان تناول حياة فضولي بسعة زائدة فكان آخر ما اطلعنا عليه • وهو كتاب مفيد نفيس ومصور طبعته كلية الآداب في جامعة استانبول سنة ١٩٤٩ فنكتفي بالاشارة اليه ، وبيان عناية الترك بفضولي • وسنوضح عنه في كتابنا (تاريخ الادب التركي في العراق) •

٢ – ابنه فضلي البغدادي •

٣ – شمسي البغدادي • وله ديوان قدمه للسلطان سليمان نظمه باللغة الفارسية جاري فيه نظامي الشاعر الكبير •

٤ – عهدي البغدادي •

٥ – روحي البغدادي •

وآخرون ورد ذكر بعضهم مع بعض الكلمات فيهم • وان مخلدات هؤلاء دواوين معروفة • ظهروا في الادب الفارسي والتركي •

أما الأدب العربي فان مخلفاته قليلة جدا ، وبالتعبير الأولى لم يصل الينا منها الا النادر • والقطر لم يخل من أمثال الأدباء في العهود السابقة أو التأثر بهم ، والعراق قد حفظ تراثا أدبيا وافرا في البصرة والانحاء المجاورة لها ، وفي الأحساء والبحرين وفي النجف وبعض الانحاء البعيدة عن العدوان والتخريب من جراء الحروب بين الصفويين والترك العثمانيين •

ويصح أن نعد في النظم :

١ – ديوان فضولي • وهو عربي غير دواوينه في الفارسية والتركية • والآن موجود في مجموعة محفوظة في لنينغراد •

٢ ـ ديوان الخطى • ومن له علاقة بهم • وهذا من أهل البحرين ـ وكانت تابعة للعراق •

٣ ـ قطر الغمـــام •

٤ ـ دواوين بعض أدباء البصرة والحويزة ومؤلفاتهم •

وللنثر العربى أمثلة كثيرة ، من ديباجات الكتب المؤلفة ، وبعض الآثار الادبية • وقد أوسعناه بحثا فى (تاريخ الادب العربى) فى العراق • ولا يهمنا الاكثار منه ، أو بيان الامثلة العديدة ، فانه لم يختلف عن العصور السابقة من مراعاة السجع ، وفقدان القدرة ، وعدم التمكن لاكتساب سليقة مكينة •••

وفى هذا العهد تهمنا الاشارة الى أنه حدث فيه تجدد أدبى نوعا • ومن ذلك (البنود العراقية) وقد بحثنا فى موضوعها برسالة خاصة • والآثار الادبية الاخرى قليلة مثل (زاد المسافر) •••

ومن أدباء هذا العهد :

١) حسن السنباتى •
٢) ولده الشيخ على بن حسن السنباتى الحميرى •
٣) محمد بن عبدالملك البغدادى •
٤) الشيخ على بن أحمد الهيتى •
٥) فضـــولى •
٦) الخطـــى •

٢ ـ العـــلوم :

وهذه سارت على اطراد • ويغلب عليها الفقه ، وكتب العقائد ، ولم تظهر لنا مؤلفات فى الفلسفة ، ولا فى سائر العلوم الا أن الكتب المدرسية العامة شائعة والتدريس مقتصر عليها وهى معروفة ، ولم يناقش العلماء الآراء فى مؤلفات خاصة ، ولم تظهر فى هذا العهد من المؤلفات ما يدل على تجدد كبير ، وان كانت قد ظهرت فى عهد متأخر عن هذا العهد ، أو لم يصل الينا ما يصلح للبحث •

وهذه العلوم كثيرة الا أن كل علم بحياله لم تظهر فيه مؤلفات تعين مجراه، أو اتصاله بأكثر من أعمال مدرسية ، وأمور لا تتجاوز حدود التعليم . استقرت (الكتب المدرسية) ، ولم يدخلها التعديل والتبديل وهكذا تولد الجمود المدرسي ، فأعقبه الجمود العلمي ، بسطنا القول فيه في (التاريخ العلمي) .

وجل ما نقول أنه ظهرت بعض المؤلفات الدينية من جراء خدمتها للسياسة مثل الردود بين أهل السنة والشيعة وكذا صدرت فتاوى في تجويز قتل أحد الطرفين ، وأسر المسلمين مما لم يسبق له نظير في الاسلام . والردود مثل (النواقض) و(السيف الباتر) في رد الشيعة . ويطول بنا ذكر ما هنالك بل نرى بعض علماء الطرفين حتى الآن متمسكين بمثل هذه استغلالا للعوام وأمل نيل المكانة بينهم . تمكنوا من خدمة السلطة لتوليد العداء . والآن وجهوها للاستفادة من العوام . فكانوا كما قلت آلة شحناء ، وطريق تفرقة ، وواسطة عداء على خلاف ما هو المأمور به شرعا . نفروا ولم يبشروا ، وكفروا ولم يتورعوا ...

وموضوعنا خاص بالعراق فلا نتجاوز حدود بحثه .

واكبر خصيصة للعصر أنه حفظ قسما من التراث العلمي السابق ، ولا نزال نتمتع به .

ومن المؤلفات الفقهية في هذا العهد :

١ ـ كتاب الضمانات .

٢ ـ ترجيح البينات .

هذا . وكان عهدنا محدودا بزمان خاص ، فلا نتجاوزه ، ولكننا نقول كلما تقربنا من العصر الحاضر كثرت المادة ، وأمكن البحث بسعة مما يدل على اندثار وثائق عديدة ، وذهاب مؤلفات الى خارج المملكة ، فنحتاج دائما الى الاثارة ، والى التحري الوافي عما هنالك ليضاف الى الموجود من كل ما يعثر عليه .

ولما كنا أفردنا (رسالة في الموسيقى) ، وكتابا في (الخط) فلا نرى لزوما للبحث في هذه الصناعات اكتفاء بما كتب .

٢٩٦

خاتمـــة القول

زاد هـذا العهد على المائة سنة وفى خلاله كـان النزاع بين العثمانيين والصفويين قائما . بلغت فيه الحروب أقصى حدود قسوتها ... وفى خـلال ذلك حاول بعض الثوار أن يستقل ببغداد لما شوهد من استقلال (آل أفراسياب) فى البصرة . وقيام (الجلالية) فى الاناضول على الحكومة وغيرهما مما شـجع قيام (بكر صوباشى) استفادة من ضعف الدولة العثمانية ولكن الايرانيين اغتنموا الفرصة واستولوا على بغداد .

والعراق لم يمت أهلوه ، ولا انقطع العلم منهم بسبب مدارس الاوقاف ، وعناية الدولة بها ارضاء للأهلين . وعلماء بغداد والمدرسون فيها ساروا على ما سار عليه أسلافهم ولا عبرة بالمقياس القليل ، أو الكثير ... والنتائج لم تعدم ولا بخل الزمن من ظهور نبغاء فى علوم مختلفة وفى الآداب العربية الا أن تغلغل الفارسية والتركية كان قويا جدا . قدمنا جملة صـالحة من أدبائهما فى هذا العهد . والكل من المتعلمين المتوغلين فى التركية والفارسية جرفتهم آدابها ، واستولت عليهم أفكارها فى التصوف وغالبه غال ... مما أضر بنشاط الروح ، وأخمد الجذوة المتوقدة ... ومع هذا لا يخلو العهد من مؤرخين أو خطاطين أو أدباء وشعراء وما ماثل ... وليس للعربيـة سـوق ولولا أنها لغة الدين ، وأنها واسطة تقدم الفارسية والتركية لصارت فى خبر كان ...

والحالة ساءت أكثر مما عليه فى العصور السابقة . ركد الروح علميا ، أو قل انتشر الى الخارج واستفادت الاقطار الاخرى بل اقتطفت ثمارها ، وما ذلك الا لقلة أيام الراحة ، وكثرة الاضطراب وتداول أيدى حكومات مختلفة المشارب والمناهج الادارية والثقافية ...

والعشائر لم تظهر بمظهر القوة الا قبيلة طىء وقبيلة قشعم . وكذا بعض الامارات . فهى لاتزال محافظة على مكانتها الى هذا الحين وبعده .

وأهل المدن كانوا فى عناء ووبال لم يروا راحة بل هم فى اضطراب . والوقائع تعين نفسياتهم وأحوالهم ...

كانت الآمال مبشرة بالراحة والطمأنينة بسبب هذا الفتح ثم عقد الصلح فانتعش الرجاء . وتولد النشاط فى الاهلين بالرغم من انهم اشتعلوا بنيران الفريقين المتحاربين . نالهم ما نالهم مما لا يستطيع القلم وصفه ، أو يسع المقام تعداد ما فيه من نكبات أو ما أصاب من حيف ... مللنا من تعداد ما هنالك بل الذاهب عنا اكثر ... والعراق لم يتمكن فى هذه المرة من نصيب فى الادارة أوفر ... وفى هـذه الحروب تعينت الحقـوق الدوليـة وابرمت المعـاهدات واستقرت الاحوال نوعا الى أمد ليس بالقليل ...

هذا واجتزىء بما تقدم . والله ولى الأمر .

تم المجلد الرابع

ويتلوه :



المجلد الخامس

يبحث فى وقائع العراق من سـنة ١٠٤٩ هـ ـ ١٦٣٩ م الى سنة ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٩ م من سياسـية وثقافية وعشـائرية وصلات بين الاقطـار وحروب ومعاهـدات ...

(معـد للطبع)

فهارس الكتاب

١ - فهرس المواضيع

٢ ـ فهرس الكتب

٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع

٤ – فهرس الاشخاص

٥ – فهرس الشعوب والقبائل والدول

٦ – فهرس الألفاظ والمصطلحات

ملحوظة : لم نستقص جميع الارقام .

٧ ـ فهرس الصور

استدراك أغلاط

الصفحة	السطر	الصواب
٣	٧	الاحن
١٥	٢٠	ما وراء
١٧	٥	تحذر
١٧	٢٣	ضعف
٢٦	٢	بخلعة
٢٨	٧	كادت تحبط
٣٨	٧	رقيبا عليه
٤٢	٦	تمكن
٥٥	٩	ليل نهار
٧٨	١٤	بحر عمان
٨٣	٢	جدة
٨٧	١٧	واستيلاءه
١٠٣	١٢	معتزلا
١٠٦	٤	أطاعته
١١٠	٤	به فحول
١٣٤	١٨	على العودة
١٤٢	١	اختير
١٥٨	٩	وپياله پاشا
١٦٤	١	بن
١٧٣	١٣	لتنفيذ
١٧٦	١١	الى
١٧٨	٢١	نرى تفاوتا
١٨٣	١٢	فتسلم
٢٠٣	١١	المنجمين

الصفحة	السطر	الصواب
٢٠٤	١٧	فلم يستطع
٢٠٥	١٢	نوغاى
٢٠٥	٢٣	وكذا الترك
٢١٤	٥	واحدا
٢٢٥	٢	نيكده
٢٢٩	٨	بضع مئات
٢٣٢	٢١	التذكره‌جى
٢٣٣	٢٠	عظيم
٢٣٤	٧	يحيى
٢٣٥	٢٥	الى العاصمة
٢٤١	١٩	واذ
٢٤٤	٦و١٨	حسينا
٢٤٧	٢١	أغاظه
٢٥٠	١٢	وتفريجا
٢٥٤	٢	وله
٢٥٦	٢٦	القزلباش
٢٦٠	٧	الدولية
٢٦١	١٨و٢٠	قانونِنامهٔ
٢٦٩	٣	ويخطىء
٢٧١	٩	وافتاءها
٢٧١	١٦	المعروف
٢٧٩	٢٦	مقالافى الحسبة و
٢٨٥	١	تقدمات
٢٩٥	٢٤	رسالة

١ ـ الكتب المطبوعة

للمحامى عباس العزاوى

	سعر الجلد الواحد فلس
تاريخ العراق بين احتلالين ٤ مجلدات	٥٠٠
عشائر العراق ـ مجلدان	٥٠٠
منتخب المختار ذيل الخطيب البغدادى	٢٥٠
رحلة المنشى البغدادى ـ نقلت من الفارسية	٢٠٠
مجموعة عبدالغفار الاخرس فى شعر عبدالغنى جميل	٢٥٠
الكاكائية فى التأريخ	٢٥٠
النبراس فى خلفاء بنىالعباس لابن دحية	(نفد)
تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم	(نفد)

٢ ـ الكتب المعدة للطبع

تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الخامس فى العهد العثمانى ·

تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم (بتصحيحات ومطالب جديدة) ·

تاريخ أربل (اللواء والمدينة) ·

تاريخ شهرزور ـ السليمانية (اللواء والمدينة) ·

تاريخ الادب العربى فى العراق فى عهد المغول والتركمان والعثمانيين ·

تاريخ الادب التركى فى العراق ·

تاريخ الادب الفارسى فى العراق ·

النقود العراقية فى العهود التالية للعباسيين ·

عشائر العراق المجلد الثالث ·

تاريخ العمرانى فى الدولة العباسية ·

كتاب النخل ·

تعليقات واستدراكات

أو

الملحق الثالث

(لتاريخ العراق بين احتلالين)

للمحامي

عباس العزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام
على من لا نبى بعده وآله وصحبه
ومن تبعه باحسان الى يوم الدين •

ينظر الى التاريخ اليوم بنظر الوجهة العالمية والعلمية والاجتماعية والسياسية ... والتعصب فيه سائر الى الزوال ، فلم تقبل الاهواء ، ولا الرغبات الجائرة • وهذا التاريخ لم ينقطع الاتصال به بل زاد ، وكثرت عليه التعليقات والآراء • وفى هذه الحالة لم أتردد فى قبول الصواب • من تلك الوجهات • وأشكر من ساهم من الأفاضل •

ولا يهمنى المتهوسون أو أرباب النزعات أو النزغات ، فلم أتعرض لأمثال هؤلاء • وحكاية الملا نصر الدين فى محاولته ارضاء الجميع مشهورة • تنبىء عن مختلف النفسيات ، وتشير الى ما يحمل كل امرىء من رغبة ، أو يميل اليه من هوى • كان ركب دابة تارة ، وأركب ابنه مكانه تارة • وركباها معا مرة ، وتركاها أخرى ، فكانا سخرية الساخر ، وتقريع الجاهل الصلف ، وهدف الناقد الجائر ، فلم يسلم من تنديد ، ولا رضى عنه أو عن ابنه أحد •

وأمر التاريخ والآراء فيه أعظم وأجل ، ولم يسلم من أمثال هؤلاء الطائشين أحد • وخير لنا فى هذا أن نراعى الرغبات العلمية بقدر الامكان ، فنرجع الى النصوص ، ومراعاة الاتجاهات المقبولة فى النهج التاريخى مما اعتقدت صحته ، ولم يبق الا تقدير أهل العلم ورضاهم • وكفى ذلك • والمغرضون ومن فى قلوبهم مرض لا يرضون •

١ — المجلد الأول

مضت عليه مدة فى خلالها حصل انكشاف فكرى عظيم بما ظهر من وثائق ، وما جرى عليه من استدراكات ، فاقتضى أن يكتسى حلة جديدة ، ويبدو بشكله الأخير اللائق • وفى الوقت نفسه قلت نسخه ، فالمطلوب أن يجارى

الزمن فى جدته . فأعددته لطبعة جديدة . ولا أزال فى حاجة الى ما يجلو عن غوامضه ، أو يدعو للتوجيه الحق .

والآراء لم تنقطع من الاتصال به . ومن أجل من يذكر فى هذا الأستاذ الجليل الأمير جعفر الحسنى عضو المجمع العلمي العربى بدمشق ، فقد أولى هذا الكتاب مزيد عنايته ، وأبدى تعليقات مهمة عليه جديرة بالالتفات . أوردها فى قائمة نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (ج١٨ ص ٤٦٨) . ولما كنت على استعداد لطبعه مجددا فقد أرجأت المراجعة لهذه القائمة ، ولم أعاودها هنا بل أنا معتز بها فى تصحيح الأصل فأكتفى بالاشارة الى من أراد النظر .

ومن الجهة الأخرى لا يزال نصب عينى توجيهه الحق فى لزوم اعادة النظر فى الأمور التى تعرض لها مما يجب أن يطوى أو يثبت مراعيا فى ذلك الحاجة التاريخية مؤملا أن يتم بالوجه المرغوب فيه ، وأن يجارى التحول الفكرى وضرورة ما يحتم الالتفات اليه .

ولن أنسى ما أبدى الأستاذ من رأى فى الكتاب . قال :

« جمع المؤلف فى هذا السفر أخبارا مبعثرة مشتتة ليس من السهل الاهتداء اليها ، فوفر على الباحثين عناء كثيرا ، ووقتا طويلا . ويصح أن يعتبر هذا الكتاب من المراجع الموثوق بها ، ومن أجل الكتب العلمية التى أنتجها العرب المعاصرون . » اهـ

وهناك أساتذة آخرون سوف لا أغفل ذكرياتهم وفضلهم على التاريخ . أما آراء الآخرين فلا أستطيع تلبيتها ، فلا يكون التاريخ طوع ارادة أحد ، أو طبق مرغوبه ، فيكتب كما يريد .

والملحوظ أن الأستاذ الشيخ كاظم نوح خطيب الكاظمية كان أبدى بعض الاعتراضات على هذا التاريخ الا أن غالب ما ذكره يتعلق بالتاريخ العلمى . وفيه ما يخص الخواجه نصيرالدين الطوسى فأجبت على مثل ذلك فى ملحق المجلد الثانى فى الصفحة ٢٤ . ولا يزال الأغاخانية الاسماعيلية يعدونه من أكابر رجالهم وأنه ولد من أبوين اسماعيليين ، ومنتشر ذكره فى مؤلفاتهم

(الفلك الدوار) ، للشيخ عبدالله بن المرتضى الاسماعيلى ، وكتاب (نور مبين حبل الله المتين) وهذا من تأليف (على محمد جان چنارا) فى الامامية الاسماعيلية النزارية ، طبع فى ٢٤ تشرين الثانى سنة ١٩٣٧ م .

وفى الملحق أحلت الى كتاب (روضة التسليم) للخواجة الطوسى فى عقائد الاسماعيلية كما أن كتابه (مطيع المؤمنين) خاص بعقائد الاسماعيلية النزارية، وكذا أوصاف الأشراف للاستاذ المؤلف فى أيام المغول . وليس من شأننا أن نغفل أمرا تاريخيا . وانما التمحيص العلمى يوضح العلاقة فلا نعجل بالأمر . وأما فلسفته فانها أيضا من موضوع التاريخ العلمى .

وفى نقد الأستاذ الشيخ ما يتعلق (بالزريرانى) المذكور فى الصفحة ٥٠٧ فقد اعترض على النص الوارد على انه كانت انتهت اليه رياسة العلم ببغداد ، وأقر له الموافق والمخالف وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به ، ويستفيدون منه فى مذاهبهم ، ويتأدبون معه ، ويرجعون الى قوله ، ويردهم عن فتاويهم ، ويذعنون له ، ويرجعون الى ما يقوله حتى ابن المطهر شيخ الشيعة كان يبين له خطأه فى نقله لمذهب الشيعة فيذعن له ...) ، فاستغرب ذلك . ولم أقله من تلقاء نفسى . وانما أوردت نصوصا تاريخية كان الأولى أن يبدى الأستاذ وجه الطعن بها . لينظر فيها . وما وجه الغرابة فى هذا ؟ وهل انقطعت المواهب أو عدمت من الأمة ...! وترجمته جاءت فى منتخب المختار أيضا .

والنص التاريخى لا يهدمه الا ما هو أقوى منه . ولا شك ان الكلام فى هؤلاء العلماء يحتاج الى دراسة عميقة فى الفقه الاسلامى ومذاهبه ، وفى الزريرانى ، وفى العلامة الحلى (ابن المطهر) . ومن ثم يوجه هذا القول أو يفند بالاستناد الى الدليل . وموطن ذلك التاريخ العلمى أيضا .

أقف بهذا المجلد عند البحث المذكور ، وأترك التعليقات والتصحيحات الأخرى الى محلها من التاريخ .

٢ ـ المجلد الثانى

فى هذا المجلد جاءت تعليقات عديدة ، من أهمها استدراكات الأستاذ الأمير جعفر الحسنى . وفيها أكد أيضا ان هذا المجلد ضم فى طياته الوثائق

القيمة المنقولة عن أمهات المراجع العربية والأعجمية ، وبعضها مخطوط وعزيز المطلب . ثم قال :

« وقد عثرت على أغلاط ربما وقعت سهوا . رأيت من الفائدة الاشارة اليهـا . » اهـ .

وهنا تشاهد الأخلاق الفاضلة واضحة فى بيانه ، وأهم ما جـاء فى المستدرك يتعلق باللر ، وبدولة الجغتاى وبغيرهما من الدول التى لا تخص العراق . ولا شك أن هذه القائمة مهمة وتستدعى الالتفات فأكتفى بالاشارة اليها . جاءت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشـق (ج ١٩ ص ٧٨) وسأتناول بعض المطالب منها ...

شاه شجاع من آل مظفر ص ١٤٥ ـ ١٥٠ :

جاء فى ص ١٤٩ أنه فى عام ٧٥٥ هـ ... بايع ـ مبارزالدين محمد ـ الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله ، وقرأ الخطبة باسمه وبايعه علمـاء فارس ويزد ... » اهـ

وفى هامش ص ١٥٠ نقلا عن الغياثى ذكر ما يخالف ذلك ، وكان غلطا ومقتضبا ، فلم يأت مبارزالدين بشخص وانما بايع الخليفة العباسى بمصر . كما أن قوله (ثم قبض عليه ولده شجاع وكحله) مقتضب . وهنا المقصود أن شاه شجاع قبض على والده فسمله وكحله . وسياق الكلام أنه قبض على الخليفة المصطنع ... وهذا الأخير ليس بصواب .

وفى نقود هذه الدولة جاء ذكر المعتضد ، والسلطان شاه شجاع الا انه لم يعين فيها تاريخ ضربها لما فيها من ملس واتصل أمراء آخرون بالخلافة تقوية لنفوذهم وتثبيته ... وفى (تاريخ محمود كيتى) عقد فصلا فى بيعة الأمير مبارزالدين وانه بايع وكيل الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى بكر سـنة ٧٥٥ هـ ، وقرئت الخطبة باسمه وكانت عطلت من تاريخ ظهور المغول فمضى على ذلك نحو مائة سنة الى أن قال وفى سنة ٧٧٠ هـ بايع الشاه شجاع ومن معه الخليفة القاهر بالله محمد بن أبى الربيع . وفى هذه البيعة كتب العلماء محاضر ورسالات ... والقاهر بالله هو المذكور بلقب (المتوكل على الله) المذكور فى

قائمة الخلفاء . وجاء في تاريخ ايران للأستاذ عباس اقبال انه القاهر بالله تابع تاريخ محمود كيتي كما جرى على ذلك الايرانيون في تواريخهم . وفي كتاب (قانون السياسة ودستور الرياسة) المقدم الى السلطان شاه شجاع نعته بأنه كفيل أمور المسلمين ومعين أمير المؤمنين .

وقع في مثل غلط الغياثي الأستاذ أحمد الكسروي فانه وجد نقداً نشر عنه في جريدة پرچم جاء فيه ذكر (الخليفة) في الأعلى من صفحة النقد و(أمير المؤمنين) في الأدنى . وما بينهما (السلطان شاه شجاع) فظن أن شاه شجاع في هذا النقد أعلن الخلافة لنفسه وقرأه (الخليفة السلطان شاه شجاع) ، وهذا يدل على أنه لم يقف على مجرى (كتابات النقود) ، فتبجح كأنه اكتشف اكتشافا مهما . ولو أنه راجع النقود والتواريخ لدولة آل مظفر لما قال بهذا ولتبين له وجه الغلط .

هذا . وجاء في تحقيقات الأستاذ الأمير جعفر الحسني أن الشاه شجاع توفي في ٢٤ شعبان سنة ٧٨٦ هـ .

ابن قشعم (ص ٢٠٨) :

في تاريخ ابن الفرات في حوادث سنة ٧٩٥ هـ جاء ذكر لابن قشعم (ثامر) تألم من الامير نعير ومن حكومة الشام ، فأمر عربانه بالرحيل الى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها . وهناك تفصيلات عن آل مري وعن نعير وأولاده مما لم نره في غيره [١] . وهكذا يستمر بسعة في حوادث بغداد والسلطان أحمد ... وفي هذا ما يعين أول علاقة لابن قشعم وامارته بالعراق ، ولم يذكر اسم هذا الأمير في سلسلة الرؤساء الموجودين في صفحة ٥٠ من المجلد الرابع ، فجاء في هذا ما يبين عن أحد رؤسائهم .

البصرة والبحرين (ص ٢١١) :

جاء ذكر هذه الوقعة في تاريخ ابن الفرات . فورد اسم الأمير صالح بن حولان بدل (صالح بن صيلان) ، ولا تزال التسمية بـ (حولان) معروفة .

---

(١) تاريخ ابن الفرات المجلد التاسع الجزء الثاني ص ٣٢٥ و٣٤٢ .

قبائل زبيد ـ العزة (ص ٢٢٢) :

ورد ذكر قبيلة بنى عزة فى الجامع المختصر لابن الساعى ، وفى كتب تاريخية مثل عشائر العرب للبسام ، وتاريخ نجد للاستاذ الآلوسى ، وعنوان المجد فى تاريخ بغداد والبصرة ونجد ، وجزيرة العرب ، وقلب الجزيرة ... ومنهم الآن فى نجد ، وفى القدس عند حدود شرقى الاردن ، وفى العراق فى غالب ألويته فى ديالى ، وكركوك ، والموصل ، والدليم ، والحلة ، وبغداد ، والكوت والتفصيل فى عشائر العراق .

جامع الوفائية ـ مسجد الاسماعيلية (ص ٢٣٥) :

لا يسمى (جامع الوفائية) بجامع الاسماعيلية . وانما هذا الجامع هو جامع الصاغة . وكان يسمى (جامع الاسماعيلية) . وهذه التسمية متأخرة . وللتفصيل محله من كتاب (المعاهد الخيرية فى العراق) ، والمجلدات التاليه من تاريخ العراق .

٣ ـ المجلد الثالث

كثرت التعليقات والاستدراكات على هذا المجلد . ضاق المجال والامل أن أعود للبحث شاكرا الأفاضل فى ما أبدوا .

الشهيد محمد بن مكى العاملى (ص ٧٠) :

كنت صححت ما جاء فى المجلد الثانى فى صفحة ٧٠ فعلق الأستاذ الدكتور مصطفى جواد أن علماء الشيعة هم الذين أفتوا بقتله . ذكر ذلك فى كتاب مفصل أرسله الى . وبهذا أكد ما قيل سابقا . وهنا النصوص تكون موضوع البحث وتناقش علميا . وجاءت ترجمته فى روضات الجنات موسعة . ومحل ذلك (التاريخ العلمى) .

بقايا الجلائرية (ج٢ ص ٣١٢) وج٣ ص ٨٢) :

قلت فى تاريخ العراق ج٣ ص ٧٤ ان النصوص فيهم مضطربة ولا شك أن لتنبيه الأستاذ الأمير جعفر الحسنى المكانة اللائقة كما أشار فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (ج١٩ ص ٧٩) . ولا تزال الوثائق تدعو للالتفات فى

اختلاف نصوصها • ومن أهم ما يصح الرجوع اليه (كتاب أحسن التواريخ) الفارسى ، وعندى منه نسخة مخطوطة ونفيسة جدا • تعرض لهم كثيرا • وربما عدت الى البحث للعلاقة بامارة (المنتفق) عند بيان حوادثهم •

النقود العراقيـــة (ص ٢٤١) :

فى أيام دولة آق قوينلو ظهرت نقود أوضحت عنها فى (تاريخ النقود العراقية) فى عهودها المتأخرة الا أن بعض النقود اضطربت فيها الأفهام • ومن هذه ما جاء فيها ذكر « على ولى الله والحسن والحسين سبطان (كذا) رسول الله صلى الله عليه وسلم » • وضربت فى بغداد وجاء تاريخها غير واضح • ومحل الاشتباه فى (الآحاد) • وأما العشرات والمئات فهى (٨٧٠) • ولا شك ان الاضطراب فى بغداد أدى الى اظهار المسالمة للمشعشعين • وجاءت الحوادث سنة ٨٧١ هـ الى سنة ٨٧٥ هـ وما بعدها فى تاريخ العراق ج٣ ص ٢٤١ من مؤيدات ذلك • رأيت نقدين من فضة تتعلق بهذه الأيام • وفى المتحفة البريطانية فى كتاب نقودها عدها من نقود المغول ، وفى كتاب (مسكوكات قديمه اسلاميه فتالوغى) فى ص ٤٦٩ وص ٤٧٠ لم يستطع المؤلف أن يعين أمرها ، فزال التردد • أوضحت عنها مفصلا فى (تاريخ النقود) •

وحصلت على وثيقة مؤرخة سنة ٨٨٩ هـ جاء فيها بيان عن (نقد غريب) وهو (تنكه) نقد فضى استعمل فى الفلوجة من أنحاء بغـداد التابعة اليوم للواء الدليم • وفى هذه ما يؤكد أن هذا النقد شاع بلفظة (تنكه) دام تداول اسمه من عهد المغول الى هذا الحين أو الى ظهور الدولة العثمانية و(تنكچه) مصغر هذا اللفظ الذى ورد جمعه بلفظ (دناكش) الوارد فى المجلد الأول ، فعرفنا الصلة التاريخية بهذا النقد ، وانها لم تنقطع الى هذا التاريخ •

جامع قنبر على (ص ٢٦٥) :

تأسس هذا الجامع فى سنة ٨٨٥ هـ ، وأوضحت عنه مفصلا فى (كتاب المعاهد الخيرية) •

أكتفى الآن بهذا ، والله ولى الأمر •

